



بحوث ومداخلات الاجتماعين الثالث والرابع
للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي

تنسيق وتحرير
د. فيصل الحفيان

معهد المخطوطات العربية
القاهرة ٢٠٠٢

التراث العربي: قضايا الحاضر وآفاق المستقبل (بحوث ومناقشات الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي - الاجتماعين الثالث والرابع (١٥، ١٦/١١/١٩٩٨ و٢٥، ٢٦/١٠/٢٠٠٠)، تنسيق وتحرير د. فيصل الحفيان. القاهرة: معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م/ ٣٧٣ ص.

ط/ ٢٠٠ / ١٠/ ١٠٠

التراث العربي

قضايا الحاضر
وآفاق المستقبل



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ما بين دفتي هذا الكتاب ثمرة اجتماعين من اجتماعات الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي،هما الثالث والرابع: الثالث عقد بالقاهرة يومي ١٥، ١٦ من نوفمبر ١٩٩٨، والرابع عقد بالقاهرة أيضًا يومي ٢٥ و٢٦ من نوفمبر ٢٠٠٠.

وقد جاءت طباعة مادة هذين الاجتماعين على فترة من انعقادهما، فقد أردنا أن نطبعها في كتاب مستقل (طُبع الاجتماع الثاني الذي عقد في القاهرة يومي ١٨ و١٩ من ديسمبر ١٩٩٦، ضمن مجلة المعهد - المجلد ٤١ - الجزء الأول - مايو ١٩٩٧) وأن نجعل منها وثيقة صادقة وأمينة، تجمع البحوث، وتقيِّد التعقيبات، وترصد المداخلات، ولا تترك شيئًا مهما دَقَّ، مادام في صلب المحاور والموضوعات التي بحثها وناقشها المجتمعون.

والحق أن المطالع للمادة يلحظ - دون لأي - الآفاق الفكرية البعيدة التي ارتادتها، والنقاط التخصصية الدقيقة التي غاصت فيها، وهو ما يعكس جدوى هذه الهيئة ومشروعيتها بوصفها آلية واسعة المدى للعمل العربي المشترك في مجال التراث على مختلف أصعدته، وهو أيضًا ما يفسر اعتزاز المعهد بها وحرصه عليها.

ولعل هذه الآفاق والنقاط هي التي جعلت المعهد يعدل عن أن يعنون الكتاب باسم الهيئة، لأنه أحس تفلُّت المادة من إسار مثل هذا العنوان الذي قد يوحي بأن ما تحته حصيلة اجتماعات من نوع تلك التي لا تتجاوز كلمات وتقارير وتوصيات. وليست وقائع الهيئة من هذا النوع،

فهي تبحث خططًا واستراتيجيات عامة، وتثير قضايا فكرية رفيعة المستوى، وفي الوقت نفسه تدخل في حِمى الموضوعات العلمية الدقيقة. عنوان "الهيئة" إذن أضيق من أن يتسع لمحتواها الحقيقي، ومن هنا كان العنوان الذي اخترناه، ليكون أدق وأصدق في التعبير، مزيلاً ما قد يوهم به عنوان آخر.

وإمعانًا في أن تكون بحوث الهيئة ومناقشاتها ومداخلاتها معبرة عما يمور به المجتمع التراثي، لم نتدخل في ما احتوته من فكر، سواء اتفقنا معه أم لم نتفق، وتركنا لأصحاب الفكر الآخر أن يردوا بحرية على ما ورد من آراء، لا تعبر عن وجهة نظر المعهد، ولا توجهات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بل تمثل أصحابها، وتعكس آراءهم.

أخيرًا هذا هو الكتاب، الذي نحسب أنه سيكون إضافة إلى المكتبة التراثية العربية بكل ما تضمنه، فقد تجاوز التقارير عن أوضاع المخطوطات، ومتابعة ما جدَّ من شؤون تراثنا في البلاد العربية إلى إثارة قضايا عامة من مثل تتبُّع المواقع الحرجة للتراث العربي المخطوط، ومنها - بالطبع - فلسطين، ووضع مشروع لخطة شاملة لهذا التراث، وإنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث، ودور المراكز التراثية الخاصة، وإشاعة الثقافة التراثية.

ولا يسع المعهد إلا أن يتوجه بالشكر أولاً للمنظمة الأم، التي ترعى المعهد، وتسدد خطاه، إدراكًا منها لقيمة هذا التراث ودوره في عصر العولمة الذي نعيشه.

والله من وراء القصد دائمًا.

المحرر

الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي

(الاجتماع الثالث)



الفهـرس

* * *

المشاركـــون

*** الافتتاح والختام :**

أ. محمد الميلي (المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

د. عبد الله يوسف الغنيم (رئيس الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي).

*** التخطيط والتنظيم :**

د. أحمد يوسف أحمد محمد (مدير معهد المخطوطات العربية بالإنابة).

د. فيصل الحفيان (منسق برامج معهد المخطوطات العربية).

*** رؤساء الجلسات [على وفق ترتيب الجلسات] :**

د. غسان اللحام (مدير عام مكتبة الأسد الوطنية - دمشق).

د. محمود فهمي حجازي (أستاذ في كلية الآداب - جامعة القاهرة، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. عبد الله محارب (مدير معهد المخطوطات العربية سابقًا، ومستشار مركز البحوث والدراسات الكويتية).

د. عبد الله يوسف الغنيم.

د. أحمد نظيف (نائب رئيس اللجنة الاستشارية لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء المصري).

*** أصحاب التقارير والبحوث [على وفق ورودها] :**

د. خالد ماغوط (مدير معهد التراث العلمي العربي - حلب).

أ. دحيد ولد القاسم (نائب مدير المعهد الموريتاني للبحث العلمي - نواكشوط).

أ. أسامة ناصر النقشبندي (مدير دار صدام للمخطوطات - بغداد).

د. منى كامل البطل (مديرة المكتبة الوطنية اللبنانية).

د. نوفان رجا السوارية (القائم بأعمال مدير مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - عمان).

د. حمد أحمد عبد الله (عميد مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ببيت المقدس).

أ. عصام محمد الشنطي (مدير معهد المخطوطات الثاني سابقًا، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

أ. محمد إبراهيم الشيباني (رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت).

د. كمال عرفات نبهان (مدير مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن).

د. عدنان درويش (مدير التراث القديم بوزارة الثقافة السورية).

د. يوسف زيدان (مستشار التراث والمخطوطات بالهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. عباس صالح طاشكندي (عميد شؤون المكتبات بجامعة الملك عبدالعزيز- جدة).

د. أيمن فؤاد سيد (مستشار الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

*** المعقبون وأصحاب المداخلات [على وفق ورود أسمائهم في المرة الأولى] :**

د. غسان اللحام.

د. أيمن فؤاد سيد.

أ. حسين المزوغي (المدير المساعد بدار الكتب الوطنية - تونس).

د. محمد مرسي عبد الله (مدير مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي - أبو ظبي).

د. حامد عبد الرحيم عيد (مدير مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية - جامعة القاهرة).

د. عبد الله يوسف الغنيم.

د. عبد الكريم عوفي (أستاذ معهد اللغة العربية وآدابها - جامعة باتنة).

أ. أسامة ناصر النقشبندي.

أ. محمد إبراهيم الشيباني.

د. عدنان درويش.

د. محمود علي مكي (أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. محمود الطناحي (رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة حلوان، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. سعيد مغاوري (المشرف على البردي في الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية).

د. نوفان رجا السوارية.

د. حسن حبشي (أستاذ بكلية الآداب- جامعة عين شمس، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. يوسف زيدان.

د. حمد أحمد عبد الله.

أ. عصام الشنطي.

د. عادل سليمان جمال (أستاذ الأدب العربي القديم بجامعة أريزونا - أميركا).

د. فيصل الحفيان.

د. عبد الله حمد محارب.

د. عبد الستار الحلوجي (عميد كلية الآداب ببني سويف - جامعة القاهرة).

د. محمد عبد الرحمن الربيع (وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض).

د. محمود فهمي حجازي.

د. مراد الرماح (مدير المخبر الوطني لصيانة المخطوطات وترميمها بالقيروان- تونس).

أ. إجلال بهجت (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء المصري).

* * *

الجلسة الأولى:

الافتتاحيـــة



كلمة د. أحمد يوسف أحمد محمد

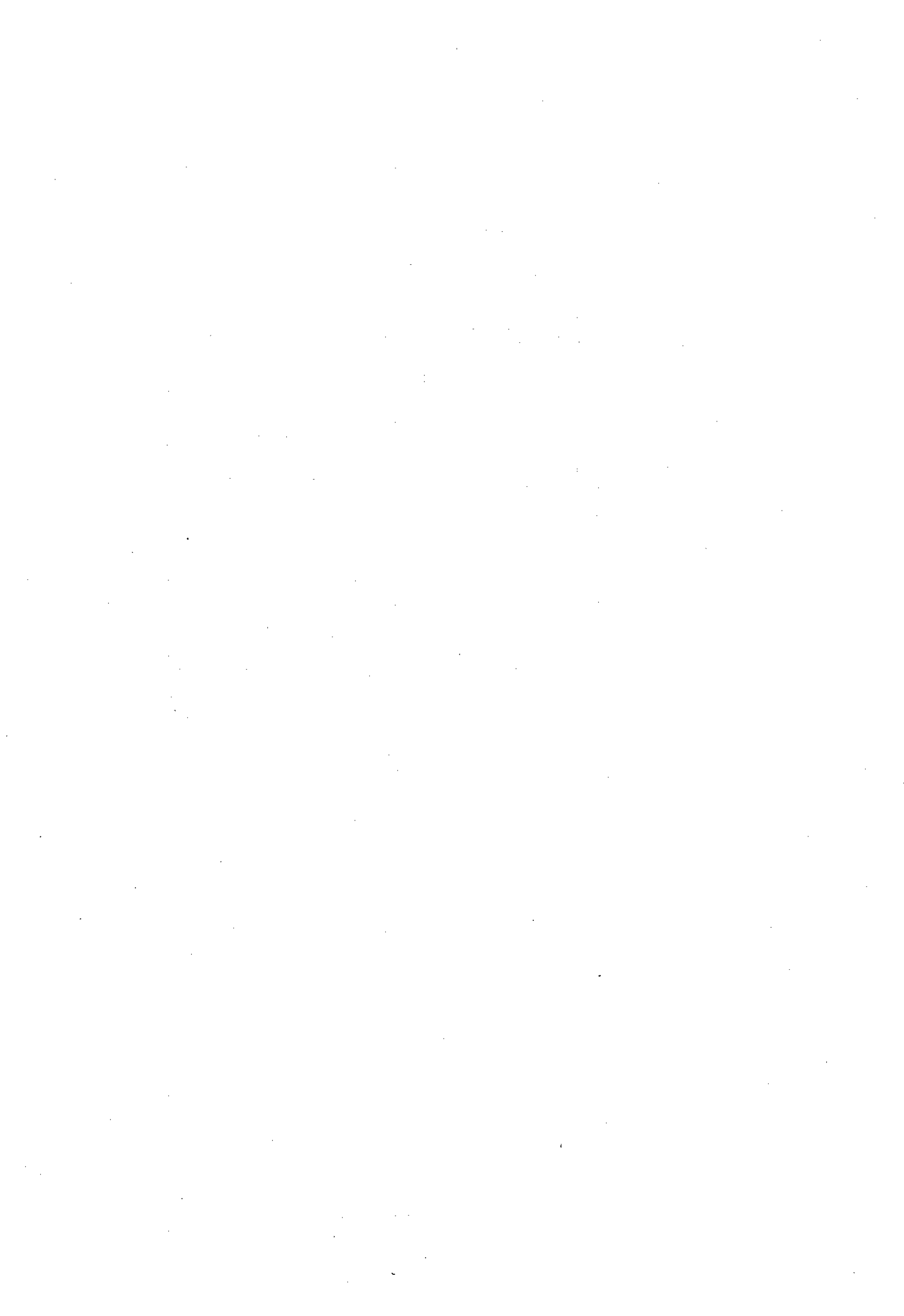
باسم الله نفتتح الاجتماع الثالث للهيـئة المشتركة لخدمة التراث العربي الذي ينعقد في رحاب الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

ويسرني باسمي شخصياً وباسم المعهد أن أرحب بمعالي الأستاذ محمد الميلي المدير العام للمنظمـة العربية للتربيـة والثقافة والعلوم ، الذي نشـرف بحضوره بيننا اليوم ، مقدرين لمعاليه حرصه الدائم على حضور اجتماعات الهيئة.

كمـا يسرني أن أتوجه إلى حضـراتكم جميـعًا بالشكر على قبـولكم دعوتنا لحضور هذا الاجتماع، وأخص أولئك الذين تجشموا مشقة السفر وعناءه.

تبدأ جلسة الافتـتاح - كما هو موضح في جدول الأعمـال - بكلمة معالي الأستاذ الميلي، تليها كلمة د. عبد الله يوسف الغنيم. فليتفضل الأستاذ الميلي.

* * *



كلمة الأستاذ محمد الميلي

أبدأ كلمتي هذه بالإعراب عن بالغ سروري بلقاء هذه الكوكبة اللامعة من المسؤولين عن مراكز المخطوطات ومؤسسات التراث داخل الوطن العربي وخارجه، ومن كبار العلماء والخبراء وأساتذة الجامعات الذين انضموا إليهم ليشكلوا مزيجًا من ذوي القرار والعلم، وذوي الخبرة والدراسة الأكاديمية الرفيعة.

إن هيئتكم الموقرة هي إحدى الآليات التي رأت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ضرورتها، وقام معهد المخطوطات بتنفيذ الفكرة، وإظهارها إلى الوجود. والحق أن الوعي بالفكرة كان مبكرًا، فقد أُنشئت «الهيئة» في مطلع الثمانينيات، والمعهد في الكويت، وعقدت أول اجتماعاتها هناك. وشاءت الظروف أن يكون الاجتماع الأول هو الاجتماع اليتيم طيلة أكثر من عقد من الزمان، إلى أن جاء عام ١٩٩٦، وشعرت المنظمة مجددًا بأنه لابد من إحياء هذه الآلية، وبعث الروح فيها لتقوم بدورها، وتجمع أهل البيت التراثي، ليعيدوا ترتيب أوراقهم، وينظروا في شأن قضاياهم.

وجاء الاجتماع الثاني، الذي شرفت بافتتاحه قبل عامين، في ديسمبر ١٩٩٦، وها هو الاجتماع الثالث ينعقد اليوم، ليؤكد جديتنا في أن تنتظم هذه الهيئة، وتقوم بدورها المأمول.

إن الأشياء بطبيعتها تبدأ صغيرة، وتنتهي كبيرة. وأنا أعتقد أن هيئتكم هذه قد بدأت كبيرة، سواء على مستوى عدد الدول العربية الممثلة فيها، أو على مستوى أعضائها، وهم من أهل المكانة في خدمة التراث العربي في بلادهم،

ويتمتعون بعلم ودراية بأوضاع هذا التراث ومشكلاته.

لكننا لم نقنع بالهيئة التي ولدت كبيرة، وأردنا أن نزيدها قوة وغنى وتأثيراً، فضممنا إليها أعضاء جدداً من بلدان لم تكن ممثلة مثل الجزائر وموريتانيا وقطر والسودان فزادت قوة، وضممنا أعضاء جدداً أيضًا من البلدان الممثلة من قبل وفقًا لاعتبارات عديدة. ولم نكتف بذلك، فرفدنا «الهيئة» بعدد من كبار الأساتذة من أعضاء الهيئة الاستشارية للمعهد وغيره. ووسَّعنا الدائرة فاحتوينا عدداً من المسؤولين عن مراكز المخطوطات ومؤسسات التراث الخاصة سواء تلك التي تعمل في البلاد العربية، أو في الخارج، وذلك إدراكًا منا لدور هذه المراكز والمؤسسات في خدمة التراث، واقتناعًا بضرورة أن تعمل المراكز مع المعهد، ومع المراكز الحكومية يداً بيد لتحقيق الأهداف المشتركة.

لقد أصبحت الهيئة - بلا شك - أكثر قوة وقدرة وغنى، وما تحقق في السنتين الماضيتين سيتحقق - إن شاء الله - أضعافه في العامين المقبلين، وسيكون ضمن ما نسعى لتحقيقه فيهما البحث في وسائل جديدة لإثراء الهيئة ومضاعفة قوتها.

إن برنامج اجتماعكم حافل بعدد من القضايا بالغة الأهمية، ستدلف - إن نحن أحسنا درسها وبحثها وتوظيفها - بنا وبالعمل التراثي إلى القرن الحادي والعشرين بخطوات واثقة واعية، تعرف غاياتها، وتتجه إليها من أقصر الطرق.

بين أيديكم أربع قضايا: إنقاذ مخطوطات فلسطين، وإنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث، وإشاعة الثقافة التراثية، وآفاق دور المراكز الخاصة في خدمة التراث. ودعوني أعرض لكل منها في إيجاز شديد.

إن «فلسطين» التي تعاني سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، تعاني أيضا «ثقافياً» و«التراث» - كما قلت في افتتاح اجتماعكم السابق - جزء رئيس وهام من ثقافتنا. وهو يتعرض هناك في الأرض المقدسة للنهب والتدمير والضياع،

يتعـرض لذلك كله وأكثـر لأن من يغتصـبون الأرض واعون تمامًـا بضرورة أن يغتصبوا مع الأرض عقل أصحاب هذه الأرض وماضيهم وهويتهم. تلك أولى القضايا.

أما ثانيتها فإننا في المنظمـة، وفي معهد المخطوطات العربية، ولا شك أنكم معنا في ذلك، نحس وقع خطى القرن الذي يسرع نحونا. إننا نعيش عالماً أولى سماتـه التفجر المعـرفي. وهذا التفجر المعـرفي شأن عصري، ولتـراثنا العربي نصيب منه، ففضلاً عن قـضايا حصر هذا التراث ومعرفته وفهـرسته وجمعه، ومـا يتصل بذلك هناك المطـابع التي تقذف كل يوم بعـشـرات الكتب التراثيـة والدراسات المتصلة بالتراث، والفهارس والنبليوجرافيات والإصدارات الأخرى، والباحث المعني بل المؤسـسـات أنفسها تقف عـاجزة لا تدري كيف تلاحق كل ذلك وتتابعه. إذن لابد من «شبكة عربيـة لمعلومات التراث تُعنى بكل ما يتصل بالتراث، وتجعل الحصول على المعلومة أمرًا متاحًا للجميع.

وننتقل إلى القضية الثالثة: إشاعـة الثقافة التراثية. تعلمون تلك المصطلحات الجديدة التي بدأت تنتـشر في الأوساط الثـقافية: العـولمة والكوكبة والمثاقـفة، والتي تعكس الكثير ممـا يمور به العالم حولنا. ولسنا في معـرض مناقشة ذلك وتخطئتـه أو تصويبه. لكن الذي لا شك فيـه أبدًا أن خصوصيـتنا لا ينبغي أن تذوب، وهويتنا لا يجـوز أن تطمس، ومـلامـحنا يجب أن تبـقى واضحـة. وسبيلنا إلى ذلك هو الارتباط بتراثنا، وإحياء قيمه، والإيمان به، والإفادة منه، في بناء الحاضر وصنع المستقبل. إذن لابد من إشاعة الثقافة التراثية بين الأجيال الجديدة والانتقال بالتراث من إسار النص إلى فضاء الخطاب.

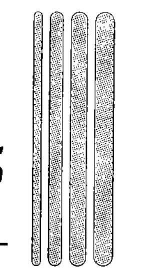
ونأتي إلى القـضية الرابعـة: دور المراكز الخاصـة في خدمـة التراث. إننا لا ننكر الدور الذي تقـوم به هذه المراكـز، ولكننا نريد له أن يتـعـمق ويزداد ثراء وغنى، وذلك أمر سـهل وميسور إذا مـا تحقق التكامل بين معـهد المخطوطات

العربية الجهاز القومي الذي ندبته المنظمة لخـدمة التراث، ومراكز التراث العربية الحكومية الخاصة من ناحية، والمراكز وبعضها من ناحية أخرى.

المسؤولية كبيرة، والأمانة عظيـمة، ولن نقوم بها إلا بالتعاون، والإخلاص، والغيرة، والتكامل. وأنتم أهل لذلك كله.

وفقـكم الله، وسدد على سـبيل الخـير خطاكم، وكل تمنيـاتي القلبيـة لكم ولاجتماعكم المبارك هذا بالتوفيق والنجاح.

* * *



كلمة د. عبد الله يوسف الغنيم

يسعدني أن أتحدث إليكم اليـوم في لقاء جديد لهذه الهيئة المباركـة : «الهيئة المشتركة لخدمـة التراث العربي» التي تنعقد للمرة الثالثـة في موعدها المحدد من كل عام. وهو دليل على انتظام عمل هذه الهيئة وأهمية الموضوعات والأهداف التي يسعى إليها جـميع المشاركين في أعمالها، خدمة لـلتراث العربي، وإحياءً لتراث الأمة وجذورها العلمية والثقافية.

إن تضاعف عدد أعضـاء هذه الهيئة واتساع قاعدة البلدان المـمثلة بها - عما كان عليـه الأمر قبل عامـين - هو دليل على ما لقيتـه التوصيات السـابقة من ترحيب في الأوساط المهـتمة بالتراث في الوطن العربي، بالإضافـة إلى المتابعة الجادة والمخلصة من قبل القائمين على المنظمة العـربية للتربية والثقافة والعلوم، ومعهد المخطوطات العربية على وجه الخصوص.

ويسعـدني في هذا اللقاء أيضًا أن تتـحول المراكز التـراثية الخاصة من صـفة عضو مراقب في الهيئة إلى شريكة لأعضائها الأساسيين، فالجميع يعمل لهدف واحد وقضـية واحدة، ولابد من التكامل والتـعاون وبناء المشروعات المشـتركة التي من شأنها الوصول إلى الغايات المأمولة.

يدور لقاء اليوم حول ثلاثة محاور رئيسة:

أولها: استكمال الحـوار حول أوضاع المخطوطات العربيـة في الوطن العربي والعالم الإسلامي، ومتابـعة الجهود المبذولة لحمايتها والمحـافظة عليها، وتبادل الرأي حول السبل الملائمة لإنقـاذ المخطوطات المعرضة للأخطار، ومن هنا جاء المحور الجديد الذي نناقشه في الجلسة الثالثة وهو «إنقاذ مخطوطات فلسطين».

تنفيذاً لتوصية سابقة أقرتها هيئتكم الموقرة.

والمحور الثاني: هو مناقشة ما سبق أن أوصيتم به في اجتماعكم السابق حول ضرورة الإفادة من التقنيات الحديثة في خدمة التراث المخطوط خاصة والتراث عامة. ومن هنا جاء المحور الجديد في اجتماعنا هذا لنعمل على وضع ذلك الأمر موضع التنفيذ عن طريق دراسة الجدوى وبحث إمكانات إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث.

أما **المحور الثالث** فيتصل بقضية إعداد الأجيال الجديدة وبنائها لتقبل التراث وفهمه واستيعابه، وتتضمن الجلسة الخامسة موضوع إشاعة الثقافة التراثية والخروج بالتراث من اطار النص والدراسات الأكاديمية الخاصة إلى المجال الثقافي العام، أملاً في خلق وعي بقيمة التراث بوصفه أحد مكونات البنية الثقافية العربية.

وفي ختام كلمتي لا يسعني إلا أن أتوجه إليكم جميعًا بالشكر والتقدير على استجابتكم الكريمة لحضور هذا اللقاء.

وإن مثل هذه الاجتماعات سوف تقرب الكثير من وجهات النظر وتفتح آفاق التعاون بين المؤسسات والمراكز المعنية بالتراث، وإنني على يقين من أن الاتفاقات الثنائية التي ستتم بين تلك المؤسسات والمراكز من شأنها تعزيز الروابط الثقافية بين البلدان العربية والحد من تكرار الجهود وتبادل المنافع الجادة. وقد كان للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وعلى رأسها معالي الأخ الكريم الأستاذ الميلي، ومعهد المخطوطات العربية برئاسة الأخ الأستاذ الدكتور أحمد يوسف أحمد محمد الفضلُ في التئام هذا الجمع الطيب من العلماء والخبراء، فلهم ولجميع القائمين على تنظيم هذا الاجتماع كل الشكر والتقدير.

* * *

الجلسة الثانية

حال التراث المخطوط في البلدان العربية



حال التراث المخطوط في البلدان العربية

■ **د. غسان اللحام (رئيس الجلسة) :**

أبدأ هذه الجلسة بتقديم الشكر إلى القائمين على المعهد لإتاحتهم هذه الفرصة للاجتماع وتبادل الآراء بما يخدم مصلحة تراثنا العربي.

لدينا في هذه الجلسة خمسة متحدثين، هم على الترتيب: د. خالد ماغوط، دحيد ولد القاسم، أسامة ناصر النقشبندي ، د. منى كامل البطل ، د. نوفان رجا السوارية ، ثم مداخلات أعضاء الهيئة عما جَدَّ في حال التراث،ثم حوار مفتوح. أدعو د . الماغوط أولاً.

* * *

■ **د. خالد ماغوط :**

أنشىء معهد التراث العلمي بجامعة حلب عام ١٩٧٦ ، وعُهدت إليه عدة مهام تتعلق بالتراث العلمي العربي ، من حيث جمعه وتصنيفه وتحقيقه ونشره، وإعداد الباحثين المتخصصين فيه، ومنحهم الدرجات العلمية من ماجستير ودكتوراه.

وحقاً أن معهد المخطوطات العربية يهتم بالتراث العربي على اختلاف مشاربه، فيهتم بالتراث العلمي، ويمنحه بعض اهتمامه، إلا أن معهد التراث العلمي بجامعة حلب قد تخصص - إذا صحَّ القول - في الاهتمام بهذا الجزء من التراث.

يمنح المعهد - كما سبق القول - درجات الماجستير والدكتوراه، وكان ذلك ابتداء من عام ١٩٨١ ، وقد حصل حتى الآن ستة من الباحثين على درجة الدكتوراه، وعشرون آخرون على درجة الماجستير .

أما إصدارات المعهد، فإن لدينا ما يقرب من ٥٩ إصداراً ما بين تحقيق ومؤلف حول التراث العلمي، وذلك بلغات عديدة، منها الفرنسية والإنجليزية والألمانية، بالإضافة إلى لغتنا العربية بالطبع.

كما أن للمعهد مجلة للعلوم العربية، أصدر منها حتى الآن أحد عشر مجلداً، إلى جانب نشرة يصدرها، تحوي أخباره ونشاطاته، ومنها حتى الآن ما يقرب من ٧٩ عدداً.

ولا يقف نشاط المعهد عند مسألة الإصدارات، وإن كانت في غاية الأهمية، بل يتجاوزها إلى عقد المؤتمرات العلمية السنوية، وقد عقد المعهد حتى الآن ١٩ مؤتمراً حول تاريخ العلوم، ويعمل الآن لإقامة مؤتمره العشرين، وذلك في شهر إبريل من عام ١٩٩٩.

ويحضر هذه المؤتمرات المهتمون بالتراث العلمي من المتخصصين وغيرهم، وأنتهز هذه الفرصة، فأدعو حضراتكم جميعًا إلى مؤتمر المعهد القادم الذي أشرتُ إلى قرب انعقاده.

وبالإضافة إلى المؤتمرات السنوية، يعقد المعهد ندوات علمية كل أربع سنوات، وقد عقد منها حتى الآن ست ندوات، كان آخرها ندوة عُقدت برأس الخيمة، في شهر ديسمبر، من عام ١٩٩٦.

وفي ما يخص ثروة المعهد من المخطوطات، فليس ثمة مخطوطات أصلية يملكها؛ لأن هذا أمر من الصعوبة بمكان كما تعرفون، غير أنه يعمل بكل وسيلة للحصول على مصورات ميكروفيلمية من المخطوطات الهامة، ويعلم د. غسان اللحام أن لدينا في معهدنا عدداً من هذه الميكروفيلمات غزيراً جداً.

والحق أن عملية التصوير هذه ليست سهلة في كل الأحوال، فقد نلاقي في سبيلها صعوبات كثيرة، كالتي نلقاها في التعامل مع الأتراك، عندما نريد تصوير بعض المخطوطات التي لديهم، غير أننا عن طريق الاتصال بالقناصل الأتراك في سورية نستطيع الوصول إلى بغيتنا.

■ **دحيد ولد القاسم:**

تُعد الجمهورية الإسلامية الموريتانية أحد معاقل المخطوطات الأصيلة، فقد تنافس الشناقطة منذ القدم في اقتناء الكتب وتأليفها واستنساخها تكريسًا للمسيرة الثقافية العربية التي بدأت منذ ما يناهز ألف سنة ، فتأسست إثرها حركة حضارية ضاربة في أعماق التاريخ، تمثلت في مكتبات خصوصية ووقفية في مختلف الحواضر والأرياف، ساهم في التئامها الموقع التجاري المتميز للبلد.

وحرصًا من السلطات الموريتانية على صيانة هذه الخصوصيات، استُحدث المعهد الموريتاني للبحث العلمي في أواسط السبعينيات لتناط به - من بين مهمات أخرى - مسؤولية الاعتناء بالمخطوطات، جمعًا وجردًا وحفظًا ودراسة وتحقيقًا ونشرًا، فشرع منذ إنشائه في مباشرة هذه المهمة الصعبة والنبيلة، وتمكن إلى حد الآن من جمع ما يناهز ٧٠٠٠ مخطوط في مكتبته، وتصوير ثلاثة آلاف على الميكروفيلم، و٢٦٠ على الميكروفيش.

إلا أن أكثر من ثلاثين ألف مخطوط مازالت تتردى في ظروف حفظ سيئة لضعف وسائل ملاكها وعدم توفر الخبرات الفنية لصيانتها.

وقد بادر المعهد منذ سنوات إلى تبني سياسة بحثية قام في إطارها بإحصاء دقيق لجميع المكتبات التي وصل عددها إلى ٢٦٠ مكتبة، ويوضح هذا المسح الموقع الجغرافي للمكتبة وتقديراً لمخزونها، ومن أهم هذه المكتبات، مكتبات المدن القديمة الأربع التي اعتبرتها اليونسكو منذ سنة ١٩٨١ تراثًا عالمياً وهي: شنقيط، وادان، تيشيت، وولاته ، وتحوي هذه الحواضر أكثر من ١٤ ألف مخطوط، من بينها ٧ آلاف في تيشيت وحدها.

كما شرع المعهد منذ سنوات بالتعاون مع الباحث الألماني ريبشتوك وجامعة تيبكن، في تصوير أهم نفائس المخطوطات في الداخل وأكثرها عرضة للضياع، وهو ما مكّن من تصوير مئات المخطوطات النادرة.

ومنذ نهـاية الثمـانينيـات سعى إلى تجـمـيع المخطوطات وخاصـة في المدن القديمة، ورصـد لذلك مخصصـات سنوية لإيجار بعض الدور الحصينة نسـبياً واكتتاب وتكوين عمال متخصصين لصالحها.

كما تمت فهرسة ٣٦٠٠ مـخطوط من مكتبة قسم المخطوطات، ونشر الجزء الأول منها سنة ١٩٩٦ ، وأنجـزت فهرسـة مكتبة الميكروفـيلم باللغتين العـربية والألمانية، إضافة إلى فهـرسة ٣٤ مكتبة خصوصية، هو مـجموع مكتبات المدن القديمة، بالتعاون مع مؤسسة الفرقان ومنظمة اليونسكو.

وطبـقًـا لتوصـيـة هيـئة الـتداول سنة ١٩٩٣ ، رصـد مـبلغ سنوي لشـراء المخطوطات، وتشجـيع ملاك نوادرها، وهو مـا مكن من استقطاب مـئات من نفائسها.

واستحـدثت منذ سنتين خلية كُلفـت بتحقيق المخطوطات، تضم فـريقًا من موظفي المعهد وباحثين من مؤسـسات التعليم العالي. وقد تمكنت هذه الوحدة حـتى الآن من تحـقيق بـعض المخطوطات النادرة، مـثل نوازل ولد بلعـمش، الحسوة البيسـانية فى علم الأنساب الحسانية ، تحفة الأطفـال في حل عقد لامية الأفعال.

ثم إن مجموعة كبيرة من هذه المخطوطات تناولها بالدراسة والتحقيق طلاب وأساتذة على شكل مذكرات وأطروحات، وذلك بالتـعاون والتنسيق بين المعهد وجامعة نواكشوط والمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

على صعيد آخر تربط المعهد علاقات عمل مـع هيئات وطنية وأجنبية مهتمة بمجالات اختـصاصه، ونذكـر من بينها على وجه الخـصوص: المنظمة العـربية للتربيـة والثقـافة والعلوم، فقـد تأسست شراكـة منذ شهـر مارس الماضي بين مؤسستنا ومعهد المخطوطات العربية بـالقاهرة عندما أوفد بعثة صورت أكثر من مئتي مخطوط على الميـكروفيلم، كما زودت القسم بمجموعـة كبيرة من الكتب

والفهارس والمجلات العلمية المتخصصة ، وقد لمست هذه البعثة ثغرات في مجال الحفظ والصيانة، فاقترحت على المعهد إرسال خبير في الصيانة، وقد أرسل هذا الخبير حقاً، وتمكن على مدى شهر من معالجة ٣٩ مخطوطاً. كما درب عشرة موظفين من قسم المخطوطات بالمعهد وعمال في مكتبات عمومية أخرى وخصوصية، وأهدى لنا كميات من المحاليل والمواد الكيميائية.

ونحن نتطلع إلى المزيد من التعاون مع معهد المخطوطات العربية، وخاصة في مجالات التصوير والترميم، كما نذكر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي مولت شراء معدات نفيسة من بينها جهاز للتصوير وقارئة ميكروفيش.

ونذكر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي التي مولت فهرسة مخطوطات المدن القديمة، ونجزت بفضلها فهرسة ولاته وشنقيط ووادان والنعمة.

ونذكر اليونسكو وقد مولت فهرسة مكتبات تيشيت في يناير الماضي، والتزمت بمواصلة هذا المجهود من خلال حملة عرفتها بـ «دعم وإحصاء المخطوطات الموريتانية».

وثمة تعاون مع إسبانيا التي رممت لنا ٢٥٠ مخطوطًا من نفائس المخطوطات ترميمًا نموذجياً والتزمت بالمزيد من العطاء في هذا المجال.

وظل الألمان إلى حد قريب شريك المعهد الوحيد في مجال الميكروفيلم، حيث قاموا بتزويدنا بجميع آلات التصوير من أجهزة تصوير وأفلام ومستلزمات إضاءة، كما دأبوا على تحميض الأفلام واستنساخها. ولايزال التعاون مستمراً في هذا المجال.

ويتطلع المعهد - وهو على بوابة القرن الواحد والعشرين - إلى الالتحاق بالركب من خلال الترتيبات التالية:

- إنشاء مراكز جهوية للمعهد تتولى رعاية وحفظ ومعالجة المخطوطات في المناطق الأكثر عزلة.

- تصوير المخطوطات بواسطة ماسح ضوئي وإدخالها في الحاسوب الآلي سعيًا إلى حفظها وتسهيل التعرف عليها والاستفادة منها. وقد يكون هذا الاستغلال على مستوى العالم العربي عن طريق شبكة عربية مرتقبة لتبادل المعلومات أو حتى بواسطة الإنترنت. وقد شرع المعهد في إدخال نماذج من هذه المخطوطات في الحاسوب الآلي.

- إنشاء مخبر يتولى ترميم المخطوطات وتحميض أفلام الميكروفيلم واستنساخها، وهو ما ساهم معهد المخطوطات العربية مشكوراً في تجسيد نواة له.

- تنظيم دورات تدريبية لتحسين الخبرة والتكوين لصالح العاملين في قسم المخطوطات في مجالي الترميم والتصوير.

■ **أسامة ناصر النقشبندي:**

تُعد دار صدام للمخطوطات الدائرة المركزية للمخطوطات في العراق، وتضم أكثر من ٤٥ ألف مجلد مخطوط موزعة على العلوم والمعارف العربية والإسلامية، من بينها عدد كبير من المخطوطات النادرة والفريدة والمزوقة والخزائنية التي كتبت لخزائن الخلفاء والسلاطين، وبعضها كتبت بأيدي مؤلفيها. وتعود مخطوطاتها لفترات تاريخية مختلفة ابتداء من القرن الأول للهجرة حتى مطلع هذا القرن.

كما أن الدار تشرف على المخطوطات التي بقيت في حيازة المكتبات الخاصة والعامة ولدى الأفراد ، والتي تم تسجيلها في سجلات خاصة بها تضمنت معلومات دقيقة عن كل مخطوط. وقد بلغت المخطوطات المسجلة أكثر من ٥١ ألفًا، تقوم الدار بالحفاظ عليها وحمايتها وصيانتها وتنظيم حيازتها، حسب أحكام قانون الآثار.

وتضم الدار عدة أقسام لتغطية نشاطاتها العلمية والفنية وهي:

قسم الفهرسة والتصنيف، قسم الحيازة والمتابعة والتدقيق، قسم الصيانة والترميم والتجليد وصيانة اللوحات والرقع الخطية، وقسم الحاسوب.

وقد أنجزت أكثر من «٢٠» فهرساً وصفياً موضوعيًا للمخطوطات . كما أعدت فهرسًا بطاقياً لكافة مخطوطاتها، رتب على الموضوعات لتكون في متناول المطالعين والباحثين، وأصدرت منذ بداية تأسيسها سبعة كتب محققة من نوادر مخطوطاتها ضمن سلسلة دار صدام للمخطوطات، وتوقفت السلسلة بسبب ظروف الحصار الحالية.

واقتنت خلال العامين الماضيين نحو «٢٨٥٠» مخطوطًا، أقدمها نسخة من القرآن الكريم كتبت على الرق بالخط الكوفي تعود إلى القرن الرابع الهجري، ومصاحف كريمة مزوقة ومذهبة، ومخطوطات أخرى بعضها نادرة ونفيسة وفريدة في مختلف العلوم والمعارف، مع مجموعة من الرقع واللوحات الخطية لمشاهير الخطاطين المعروفين.

كما أنجزت صيانة وترميم وتجليد «٢٣٥٠» مخطوطاً على وفق الطرق العلمية والفنية المتبعة في صيانة وترميم المخطوطات. واستحدثت وحدة لصيانة وترميم وتزويق مجموعة اللوحات والرقع والأدراج الخطية ، إذ إنها تحتفظ بأكثر من «١٥» ألف رقعة ولوحة خطية ، واستقبلت أكثر من سبعة آلاف من المراجعين والباحثين والمطالعين ، وأصدرت «٣٦» مخطوطًا من نوادرها التي لم تنشر ولم تحقق لعدد من الأساتذة المحققين تم حجزها بأسمائهم حسب الأصول المعمول بها ، وبعضها صورت لطلبة الدراسات العليا في الجامعات العراقية وطلبة الجامعات الوافدين من خارج العراق.

وباشرت الدار بإدخال معلومات الفهارس المطبوعة عن مخطوطات الدارعلى الحاسوب في إطار مشروع كبير تنهض بتنفيذه، وتم حتى الآن إنجاز فهارس اللغة وعلومها والفقه وأصوله والطب والبيطرة والصيدلة والفلك والتنجيم

والحساب والهندسة والجبر والتاريخ والتراجم والسير والأدب العربي والحديث النبوي الشريف وعلومه. وسيتم إدخال تكميلات الفهارس التي لم تطبع والمنظمة على بطاقات فهرسة خاصة. كما سيتم إدخال معلومات الخزائن الخاصة الموزعة في محافظات العراق من خلال الفهارس الصادرة عن تلك الخزائن أو من خلال قوائم الحيازة وبطاقاتها، وسيتم بذلك إنجاز فهرس شامل لمخطوطات العراق حسب موضوعاتها لتنسخ في مرحلة لاحقة على أقراص مضغوطة أو أقراص مرنة يمكن الإفادة منها وتبادلها مع خزائن المخطوطات في الوطن العربي والعالم.

وباشرت الدار كذلك بتصوير المنمنمات واللوحات الفنية الملونة والرقع الخطية النادرة بواسطة جهاز (الماسح الضوئي الملون).

واستطاعت رصد ومتابعة المخطوطات التي تعرضت للسرقة ومحاولة التهريب إلى خارج القطر في الظروف الحالية.

وأنجزت فهرسًا لمخطوطات الموسيقى والغناء والسماع الأصلية والمصورة التي تحتفظ بها، وهي جاهزة للطبع، وفهرسًا وصفياً آخر لمخطوطات علوم القرآن الكريم يحتوي علي وصف أكثر من ألفي مخطوط، وسيكون هذا الفهرس جاهزاً في نهاية هذا العام لطبعه. كما تمت دراسة وفهرسة مخطوطات التربية والتعليم ومخطوطات الكيمياء والأحجار الكريمة التي نأمل إنجازها في نهاية هذا العام.

وأنجزت أيضاً دراسة وصفية تحليلة لإجازات الخطاطين، تبلغ أكثر من خمسين إجازة لمشاهير الخطاطين العرب والمسلمين ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري حتى بداية هذا القرن.

وأقامت مجموعة من المعارض النوعية الخاصة بمخطوطاتها عرضت فيها المخطوطات النفيسة والمزوقة والنادرة، ومنها معرض دائم للخط العربي والزخرفة الإسلامية على المخطوطات، خُصص له أحد المباني التراثية

الملاصقة للدار وهو مفتوح للمواطنين . كما أقامت ندوات تليفزيونية وبرامج خاصة عن المخطوطات وجماليتها ونفاستها وأهميتها.

ونظمت عدداً من الدورات التدريبية حول فهرسة المخطوطات وتحقيقها وصيانتها وتجليدها، كانت آخرها «دورة المخطوطات العربية، فهرستها، صيانتها، حفظها، تأريخها».

■ **د. منى كامل البطل:**

تعرض لبنان - كما تعلمون - بعد الحرب، لنكبات رهيبة، ومنها المكتبة الوطنية التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي ، فقد لحق بها الكثير من الضرر، مما اضطرنا إلى أن نضع محتوياتها من كتب ومخطوطات، في صناديق، وكان ذلك في عام ١٩٨٢ ، ومنذ عام ونصف بدأنا في إخراج الكتب والمخطوطات التي وضعناها في الصناديق، وكانت - بكل أسف - في حالة مزرية.

ولقد عمدنا سريعًا إلى إعادة فهرسة هذه الكتب وتصنيفها وأصبح لدينا الآن ما يقرب من ١٠٠ ألف كتاب، وأربع مئة مخطوطة، نعمل الآن على تنظيمها وترميمها، في إطار إمكاناتنا المتواضعة.

ليست الدار الآن في مبناها النهائي الذي يجب أن تكون فيه، ولكنها موضوعة في شكل ورشة عمل لإعادة استنهاضها مرة أخرى، حتى يتيسر لمختلف طوائف الباحثين الإفادة منها.

ومما يؤسف له أن كثيراً من مخطوطات الدار قد سُرِق، وبيع بأغلى الأثمان، مثل الشاهنامة التي بيعت في لندن بمليون وست مئة جنيه إسترليني، وكتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي. بالإضافة إلى نسخة غاية في النفاسة، من القرآن الكريم، من زمن الحجاج بن يوسف، كُتبت في القرن الثامن الميلادي.

وعلى الرغم من هذه السرقات، فإن ثمة جهوداً نبذلها في الحفاظ على ما

تبقى بحوزتنا من مخطوطات، ونتوقع منكم أن تمدوا إلينا يد العون، لإنقاذ المخطوطات القيمة التي مازالت في صناديقها، في ظروف غير جيدة، كما أشرتُ آنفًا.

وأحب أن أنبه إلى أن الدار تعمل الآن على وضع ما نستخرجه من كتب ومخطوطات في صناديقها، على الكمبيوتر، بحيث تكون في متناول الباحثين، بشكل أكثر سهولة.

■ د. نوفان رجا السوارية:

يُعد مركز الوثائق والمخطوطات بالأردن، أحد المراكز البحثية الأكاديمية التابعة لرئاسة الجامعة الأردنية، وهو - على التحقيق - المركز الوحيد بالأردن، الذي يُعنى بالتراث العربي بشقيه المخطوط والمطبوع.

يخصص للمركز موازنة سنوية، هي جزء من موازنة الجامعة الأردنية، وكانت موازنته لعام ١٩٩٨ ٥٦٧٠٠ دينار، خُصص منها ٢٠ ألف دينار لشراء الوثائق والمخطوطات، و١٧٥٠٠ لشراء الأجهزة، غير أن نصف ما خُصص لشراء المخطوطات والوثائق تم تجميده بسبب الضائقة المالية التي تمر بها الجامعة.

أما عن نشاطاته فقد أقام بالتعاون مع كلية الآداب بالجامعة الأردنية، المعرضَ الأردني الأول للبرديات، وقد لقي هذا المعرض تجاوبًا كبيرًا من جانب المقبلين عليه، ونُقل إلى جامعة اليرموك، حيث تم عرضه هناك، وكانت جامعة آل البيت قد طلبت أيضًا إقامته في حرمها، غير أن ظروفًا حالت دون ذلك!

يُعنى المركز - في ما يُعنى به - بترميم الوثائق الرسمية التي يعود بعضها إلى الدوائر الحكومية، وذلك بطريقة يدوية، وكان قد طُلب منه ترميم كتابين تاريخيين نادرين، إلا أن قلة مواد الترميم، وتعذر الحصول عليها في الوقت الراهن، أدى إلى الاعتذار عن هذه المهمة، ومن ثم أُحيل الكتابان النادران إلى جهة نمساوية مختصة!

ولقد تم الانتهاء من تصوير جميع المخطوطات الأصلية على أفلام من قياس ٣٦ملم، وفُرغ من إعداد الجزء الرابع من فهرس المخطوطات العربية، وهو الآن في المراحل النهائية قُبيل الطباعة، ويصف هذا الجزء الجديد ما يقرب من ١١٠٠ مخطوطة.

وثمة كُتيب خاص قامت بطبعه جهة العلاقات العامة والثقافية بالجامعة تم توزيعه على مختلف الجامعات والمؤسسات الرسمية المعنية داخل الأردن.

وفي مجال خدمة الباحثين من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية وطلبة الدراسات العليا والباحثين العرب والأجانب يكثف المركز جهوده ونشاطاته لتأمين حاجاتهم من الوثائق والمخطوطات المصورة.

وأود أن أشير في هذا المقام إلى التعاون الوثيق بين المركز ومكتبة الأسد السورية، فإن ثمة كثيراً من الفهم والتجاوب بينهما، وذلك بفضل القائمين على أمر المكتبة، وأحب أن أوجه الشكر جزيلاً إلى د. غسان اللحام، فهو لا يدخر جهداً في تسهيل ما يطلبه منه مركزنا في الأردن، خدمة للباحثين، وتيسيراً عليهم.

والحق أن ميزانية المركز - كما سبق أن أوضحت - متواضعة، لا تفي بطموحاتنا الكبيرة التي نريد تحقيقها خدمة لتراثنا العربي الجليل من وثائق ومخطوطات. فهو - مثلاً - في حاجة ماسة إلى وحدة ترميم كاملة، بالإضافة إلى أنه شبه مُغَيَّب عن أخبار معهد المخطوطات العربية، فنشاطاته ونشراته لا تصل إلى المركز، كما أن أخبار الدورات القيمة التي يعقدها لا تصل إلينا إلا بعد فوات أوانها في كثير من الأحيان. وأعتقد أن المراسلات لو تمت باسم الجامعة الأردنية لزالت الغُمة، وتواصل المركز مع المعهد، وغيره من الجهات العاملة في حقل التراث العربي.

مداخـــلات

■ **د. غسان اللحام:**

أكـثرنا مــن الحديث عن المخـطوطات في دور الكتب الحكومـيـة ومراكـز الأبحاث ، وأغفلنا - في آن - الحديث عن المخـطوطات الموجودة في المكتبات الخاصة ، على الرغم من أنها قد تحتوي على نوادر من المخطوطات يبحث عنها المختصون بحثًا ، ولا توجد إلا في هذه المكتبات .

ومما يؤكد هذا الرأي عندي أننا في مكتبة الأسد نتلقى أحيانًا مكتبات خاصة سواء عن طريق الشـراء أو الإهداء ، ويكون فيهـا كثيـر من النفائس . ولست أعجب من هذا ،فكلنا يعلم أن المخطوطات - في ما مـضى - كانت محفوظة في مكتـبات خـاصة ، ثم اتجـهت إليـها عناية العـلماء والمسـؤولين وجامـعي المخطوطات ، فجمعوها بالأساليب التي تعرفون ، وأودعوها المكتبات العامة .

إن المكتبات الخاصة ليست تراث أصحابها وحدهم ، بل تراث أمة بأسرها ، ومن ثم وجب إيجـاد وســيلة لإخـراج هذه المخطوطات التي لـديهم ، ليس بالاستحواذ عليها من دونهم ، وإنما بمراضاتهم .

وقد اهتمت مكتبة الأسد اهتمامًا خـاصاً بهذه القضية ، فأعلنت في وسائل الإعلام المخـتلفة عن أن ثمة مـركزًا متمـيزًا لديها لصـيانة المخطوطات ، وأنه مستعد للقيام بهذه الصيانة لأصـحاب المكتبات الخاصة في مقابل الحصول على نسخة مصورة على الميكروفيلم من المخطوطة التي تتم صيانتها .

وعلى الرغم من الحملة الإعلامية الضخمة التي أشعناها ، فإن الاستجابة لـم تكن مشجعة ، فلا أستطيع أن أقول إن نسبة نجاحها تجاوزت ١٠ ٪ .

والسبب وراء هذا النفور من أصحاب المكتبات الخاصة ، ما وقر في نفوسهم من مخاوف حـول إمكانية أن تضع الحكومة يدها على مـخطوطاتهم إذا ما قدموها إلى جهة تابعة لها .

ومما يجـسد هذا الخـوف لديهم أنهم حين كـانوا يرغبـون في بيع شيء من مخطوطاتهم لم يكونوا يلجأون إلينا ، وإنما إلى تجار محليين ، على الرغم من العروض السخية التي كنا نعرضها عليهم.

الحلُّ - في ما أرى - سَنُّ نوع من التشريعـات من قِبل الحكومات العربية ، تعطي الضمانات لأصـحاب المكتبات الخاصة بالحفـاظ على مخطوطاتهم وعدم الاستحـواذ عليها إذا مـا قدموها إلى دور الكتب الحكوميـة بهدف صيانـتها أو تصويرها.

■ **د. أيمن فؤاد سيد:**

إن تاريخ دار الكتب المصـرية ومخطوطاتها مـعروف للجـميع ، فلا حـاجة لإعادة الحـديث عنه ، ولكن في شهر فـبراير عام ١٩٩٧ افتـتحت دار الكتب مركزًا من أكـبر مراكز صيانة المخطوطـات في الشرق الأوسط ، أهدته الحكومة الإسبانية إلى مصر ، وقد بدأ العمل فيه فور افتتاحه .

كما قامت دار الكتب باستكمال قاعدة مصغرة لبعض المخطوطات المصورة ، صورنا فيها أكثر من (٣٠) ألف مخطوطة من مخطوطات الدار ، بالإضافة إلى قاعـدة أخرى للكتب العلمية الخـاصة بتاريخ العلوم الموجـودة في الدار ، وقد تمت هـذه الإنجـازات في إطار مـشـروع ذاكـرة العـالم الذي تقـوم به منظمـة اليونسكو .

وفي هذه المناسبة أيضًـا ، أصدرت الدار كتابين : أولهمـا عن إصداراتها ، من فهارس وكتب تراثية وببليوجرافيات وغير ذلك . وثانيهما - وهو في طريقه إلى الصدور - عن مخطوطات الدار ، اختير فيه (٧٢) كتابًا كنماذج مختلفة .

وفي ما يتعلق بإيجـاد قانون لحماية المخطوطات ، فإن الدار قـدمت مشروع قانون في ذلك الشأن إلى مـجلس الشعب المصري للبَتِّ فيـه ، وهو في سبيله إلى الصدور ، وحال صدوره سيكون قد تحقق ما تمناه د. غسان ، ويصبح بين أيدينا تشريع يحفظ المخطوطات ، ويتيح لأي أحد أن يتداولها ؛ ولا يعني هذا إلغاء الملكـية الخاصـة ، ولكن يعني أن يسجل أصـحاب المكتبـات الخاصـة ما بحوزتهم من مخطوطات في المكتبة الوطنية ، ويسمح لها بأن تقوم بصيانة هذه المخطوطات وتصويرها إذا ما أرادت ، وذلك بإذن من صاحب المكتبة .

إن المكتبـات الخاصة في مصـر التي يُعتد بهـا ليست بالكثرة التي قـد يظنها البـعض ، فـأغلبـهـا أُهدي إلى دار الكتب ، حـتى إن نصف رصـيـدها من المخطوطات إنما جاءها من مكتبات خاصة تعرف بأسماء أصحابها في الدار .

وفي مجال نشـر التراث قامت الدار بنشر العديد من المخطوطات ، بعـضها استكمال لموسوعـات بدأتها الدار من قبل ، وبعـضها كتب جديدة تصدر لأول مرة .

■ **حسين المزوغي :**

في ما يخص دار الكـتب التونسيـة ، فقد قـامت خلال العـامين المنصرمين بنشاطات جمة :

في مجال تجميع التراث عنيت بتجميع التراث الوطني المخطوط بوسائل منها الشراء أو الإيداع القانوني أو التبادل أو الإهداء ، وقـد اشترت الدار مكتبة من المكتبات الخاصة ، تعرف بمكتبة «آل مازور» ، تضم (٢٢٠) مخطوطة ، تتوزع على مختلف فروع المعرفة ، وترجع إلى فترات تاريخـية مختلفة ، وفيها نسخ نوادر تجليداً وزخرفة .

وفي مجال الحفظ والصيانة ، انتهت الدار من ترميم (١٥٧) مخطوطة كانت في حالة مزرية .

أما تصـوير المخطوطات على ميكروفـيلم ، فإن الدار تملك مخـتبراً حـديثًا مجـهزاً بآلات حـديثة للتـصوير ، وقـد قامت بتـصوير ما يـقرب من (٣١٣) مخطوطة .

وفي إطار التـحديث والأخذ بسـبل التكنولوجـيا ، شرعت في إنـشاء نواة إعلاميـة منذ عام ١٩٩٢ ، وبعد تأسيسـها قامت بتخـزين ما يقرب من (١٥) ألف معلومة تتعلق بالمغرب الأقصى ، وذلك كنواة أولى لبنك معلومات شامل يتسع ، لكل مقتينات الدار .

وضمن منشـورات الدار صدر الفهـرس العام للمخطوطات : القـسم الثاني (الجزء الثامن).

إلى جانـب بعض النشرات التي تم إعـدادها بمناسبـة (شهر الـتراث) الذي تنظمه وزارة الثقافة التونسية كل عام .

وأما المكتبات الخاصـة وكيفية التعامل معها ، فـإن وزارة الثقافة لدينا تتصل بالعائلات التونسية المعروفة بامتلاكها للمخطوطات ، وبالتنسيق معها يتم تسهيل عمليات الصيـانة أو التصوير ، وثمة اتفاق بين الوزارة وتلك العـائلات بمقتضاه يتم السـماح للدار بالاسـتفـادة من مخطوطاتهم ، وفي إطار هذا الاتـفاق تم فهرسة مكتبة آل عاشور ومكتبة آل النيفر .

■ **د. محمد مرسي عبد الله :**

استطاعت المكتبة الوطنية في الإمارات - على حداثة نشأتها بالمقارنة مع دور الكتب في البـلدان العـربية الأخـرى - أن تجـمع مـا يقـرب من أربعـة آلاف مخطوطة ، منها خمسون نسخة نفيسة من القرآن الكريم .

بالإضافـة إلى السعي الحـثيث الذي تسـعاه المكتبـة نحو التـقنيات الحـديثة وتوظيفها توظيفًا رشيداً لخدمة المخطوطات العربية ، وقد تم وضع ما يقرب من (١٨٠) ألف بيت من الشـعر على (C.D) ، مما نظمه كبـار الشعراء ، ويجري

الآن وضع كتاب ياقوت الحموي (معجم البلدان) على (C.D) مع ما قد يتعلق بهـذا الكتاب من كـتب أخـرى ، وصولاً إلى هدف أكـبـر هو جمع التـراث الجغرافي العربي الذي لم يأخذ حظه بعد من الاهتمام والدراسة !

■ **د. حامد عبد الرحيم عيد:**

إن هذا الاجتماع له غـايتان هما: إنشاء شبكة عربيـة لمعلومات التراث على الإنترنت ، وإشاعة الثقافة التراثيـة ، ولقد قطع مركز بحوث ودراسات التراث بكلية العلوم في جامعة القاهرة ، شوطًا لا بأس به نحو تحقيق هاتين الغايتين .

في خـلال العام الفـائت كان أهم إنجـازات المركز جـولات له داخل مصـر وخارجها تم فيها إلقاء عديد من المحاضرات عن تاريخ العلوم .

كما استطاع المركز أن ينتقل بعدد مـن اللوحات ضمن معرض متنقل جال به الجامعات المصرية وعـدداً من قصور الثقافة ، وقضى أسبـوعًا في ألمانيا ، وآخر في إنجلترا ، إلى جـانب بعض المحاضرات عن أثر حضارة الإسـلام في الترقي العالمي ، وقد تركت هذه النشاطات أثرًا في نفوس من تلقوها .

ومما تمكنا من إنجـازه أيضًـا برنـامج أسـبـوعي في الإذاعـة المصـرية بعنوان «صفحات من تاريخ العلم» يتم بَثُّه بصورة ثابتة منذ سبعة أشهر تقريبًا .

بالإضافـة إلى وضع ما يقرب من (٧٠٠) صـفحة على شـبكة من شبكات الإنترنت في إنجلترا ، وقد تم اختيار موقعنا هذا ضمن عشرة مواقع متميزة من قبل إحدى الجامعات الأميركية .

ولقد أصـبح متاحًـا الآن لأي أحد أن يتصـفح هذه الصفحـات على شبكة الإنترنت ، فـينتقل بين مـوضوعـات مختلفـة في الطب والكيمـياء والصـيدلة وغيرها .

أما آخر إنجازات المركز - على تواضع إمكاناته - فهو اتفاقية أبرمها مع مركز

ألماني لتاريخ الطب بجامعة هيدلبرج ، ولقد رأينا الإسراع في إبرام هذا الاتفاق لما يمثله من كسب كبير لنا ؛ فهذا المركـز الألماني يحتوي على مخطوطات كثيرة وعلى جانب من الأهمية عن تاريخ الطب وتطوره عبر العصور .

■ د. عبد الله يوسف الغنيم :

انتشـرت تقنية جديدة خاصـة بترميم المخطوطات ، وذلك عن طريق مـركز جمعة الماجد في دبي ، تقوم على إعادة بناء الصفحات المهترئة من المخطوطات بواسطة تشبيعها بمادة السليلوز .

وقد جاءت هذه التقنية بنتائج باهرة ، ووفرت كثيراً من الوقت والجهد ، إلا أن ثمـة تخوفًـا يتولد لديَّ تجـاه هذه التقـنية ، إذ لا بد من قـياس سلبـياتهـا وإيجابياتها قبـل أن يتم تعميمها ، وخاصة أن كثـيراً من مراكز المخطوطات في دول عربية عديدة قد تبنت أسلوب الترميم هذا .

■ د. غسان اللحام :

إن ترميم المخطوطات ليس عـملاً آلياً ، بل يخضع لظروف عـدة ، منها ما يتـعلق بالبـيئـة والأجـواء التي تُحفـظ فيـهـا المخطوطات ، ومنها مـا يتـعلق بالمخطوطات ذاتها والمواد التي صُنعت منها .

من أجل ذلك فـإن الحـديث عن ترمـيم المخطوطات بشكل عـام ، إنما هو حديث عن تجارب ، وليس حديثًا عن مدارس لهـا ملامحها في هذا الصدد ؛ فثمة تجـربة فرنسية ، وأخرى ألمانية ، وثالثة إسـبانية ، وهكذا. وكل تجربة من هذه التجـارب لها مـزايا ولها عيـوب ، وعلينا الاطلاع على هذه التـجارب ، والانتفاع بالمزايا وتجنب العيوب .

■ د. عبدالكريم عوفي :

تأخر الجزائر - بالمقارنة بالبلدان العربية الأخرى - في الاهتمام بمخطوطاته ، غيـر أنه مـا لبث أن انتبـه إلى ضرورة هذا التـراث وإنقاذه من عـاديات الزمن

وجهل ملاكه الذين كانوا يُبقون عليــه في ظروف صعبة أدت إلى تلف كثير منه واستشراء عوامل البلى فيه . إلى جانب ما خَرَّبه المستعمرون منه .

وفي إطار مشروع أُشرف عليه بعنوان «إحياء التراث» تم وضع سبعة فهارس للمخطوطات لدينا ، وإعداد سبعة أبحاث تهتم بالتـعريف بمراكز المخطوطات وإشاعة الثقافة التراثية وتوعية الناس بأهمية المخطوطات وإخراجها إلى النور .

ولقد كان من أهم إنجازات هذا المشروع ملتقى تم عقده في عام ١٩٨٩ حول التراث ومناهج تحقيقه .

ويمكن القـول : إن مـشـروعنا هذا بدأ يؤتي أكله ، وظهـرت في الأعـوام الأخيرة بوادر وعي لدى الناس بأهمية المخطوطات .

ومما ينبغي الإشـارة إليه كـدليل على ما أصبـحت تحظى به المخطوطات في الجزائر ، ما أنشئ من مـقر جديد للمكتبة الوطنية وتزويدها بالـوسائل الحديثة وقاعـات مـتطورة تساعـد الباحثين عـلى الاستفادة من مـقتنيات المكتبـة بأيسر السبل .

ولقد كانت دورة الترميم التي عقدها المعـهد في سورية أمراً أفدنا منه ، فقد أوفدنا عضواً تدرَّب على أساليب الترميم .

بقي أمران أخيران أحب أن أشير إليهما : أولهما صدور قانون لحماية التراث الثقـافي بما فيه المخطوطات ، وبهـذا يصبح لدينا - لأول مرة - قـانون يحمي التراث الثقافي . وثانيهما ظهور بعض الجمعيات المعنية بالتراث ومشكلاته ، مما يعكس وعيًا كبيراً بدأ يسري في صفوف المجتمع الجزائري .

■ **أسامة النقشبندي :**

إن مشـروع القانون العربي للمخـطوطات مشروع قديم ، سـبق أن أثير في ندوة عقدها معهد المخطوطات في عام ١٩٧٤ ، عن كيفية الانتفاع بالمخطوطات وحمـايتها ، وقـد خلصت الندوة - آنذاك - إلى تشريع قـانون عربي مـوحد

للمـخطوطات . وفي عـام ١٩٧٦ عُقـدت لجنة أَلّفهـا المعـهد - وكنت أحـد المشاركين فيها - وانتهت إلى قانون عربي موحد للمخطوطات تم إقراره في عام ١٩٨٧ - على ما أذكـر - من قِبل وزاره التربية العـرب . إلا أني لم أسمع أن قطرًا عربياً واحدًا أخذ بهذا القانون .

وحقاً أن هناك قوانين في بعض الأقطار الـعربية تَعد المخطوطات آثارًا يجب حمايتها إلا أن هذا غير كاف ولا يغني عن قانون خاص بالمخطوطات .

وفي ما يخص صيانة المخطوطات فأنا أؤيد ما قال به د. عبد الله الغنيم ؛ إذ علينا أن نكون حذرين في التعامل مع المواد التي تدخل في عملية الترميم .

أما فهـارس المخطوطات في موريتانيا ، فأنا - للأسـف - لم أطلع عليها ، وأرجو أن تكون إحدى توصيات هذا الاجتماع أن يتم تعميم هذه الفهارس عن طريق المعهد .

■ **محمد إبراهيم الشيباني:**

تتـعرض المخطوطات العـربيـة في العالم للـتلف والدمار من جـراء ظروف نعرفها جميعًا ؛ فإذا مـا قام مركز من المراكز بصنع جهاز لترميم المخطوطات ، وكان فيــه فائدة - ولو جزئية - فـإن هذا أمر يُحمد له ، وعلينا التـعرف عليه تعرفًا كاملاً قبل الحكم بصلاحه أو بعدم صلاحه .

لقـد اطلعت على هذا الجـهاز الذي نتحـدث عنـه ، وهو - في عمـومه - جيد ، إلا أنه يعـالج فقط المخطوطات غير المائية ، أي المكتـوبة بأحبار لا تُزال بالماء .

أما الأثر السلبـي لهذا الجهـاز على المدى الطويل ، فلا أظن أن ثمـة دراسة جادة في هذا الشأن ؛ ولعل ما أصلحه هذا الجهاز قياسًا بما أفسده ، يجعلنا لا نتخوف كثيراً .

وللدكتور غسان أقول : إن مُلاك المكتبات الخاصة المحتوية على مخطوطات غير ملومين كثيراً في تخوفهم من التعامل مع المكتبات الرسمية ؛ فكثيراً ما تُسلب منهم مخطوطاتهم ولا تعود إليهم ، خصوصًا إذا كانت ثمينة .

والقول : إن المكتبات الرسمية قد تعرض عروضًا سخية على أصحاب المكتبات الخاصة إذا أرادوا بيع شيء من مخطوطاتها ، هو قول غير صحيح ؛ لأن المكتبات الرسمية تحكمها ميزانيات محددة .

■ **د. عدنان درويش :**

عالج المتحدثون الجوانب الإيجابية التي تتعلق بما لديهم من مخطوطات ، وليست هذه الجوانب - في ما أرى - إلا مجالاً للتباهي . أما الجوانب السلبية فلم يعرض إليها أحد إلا لمامًا ، على الرغم من الأخطار التي تتعرض لها المخطوطات في كل أرجاء الوطن العربي !

بقي سؤالان : أولهما يتعلق بموريتانيا ، فنحن نسمع أن هناك مخطوطات كثيرة لدى القبائل ؛ فما هي سبل الوصول إلى هذه المخطوطات ؟

أما السؤال الثاني فموجه إلى السيدة مندوبة لبنان ، فقد وصفت لنا حال المخطوطات في لبنان وصفًا مقتضبًا ، على الرغم من أن ثمة مخطوطات موجودة في لبنان لا يعرف الناس عنها شيئًا ؛ فكيف يمكن الوصول إلى هذه المخطوطات ، وما هي سبل الإفادة منها ؟

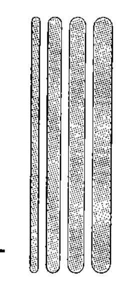




الجلسة الثالثة

إنقاذ مخطوطات فلسطين





إنقاذ مخطوطات فلسطين

د. حمد أحمد عبد الله يوسف

■ **د. محمود فهمي حجازي (رئيس الجلسة):**

أشعر بالسعادة لوجودي بين هذه الكوكبة من العلماء الأجلاء، وأتشرف برئاسة هذه الجلسة التي تتعرض لـ «إنقاذ مخطوطات فلسطين»، وهو موضوع في غاية الأهمية، يكشف عن أبعاده لنا كل من د. حمد أحمد عبدالله، والأستاذ عصام الشنطي، فليتفضل د. حمد بإلقاء بحثه.

* * *

تعرضت فلسطين خلال هذا القرن للكثير من الحروب والثورات والأعمال العسكرية التي مازالت دائرة رحاها حتى الآن، ونتج عن ذلك ضياع وتلف الكثير من المخطوطات والوثائق بفعل تلك الحروب ونشاط السماسرة الذين عملوا جاهدين على شراء المخطوطات وبيعها لليهود. يضاف إلى ذلك الإجراءات التعسفية واللاقانونية من قبل اليهود الصهاينة الهادفين إلى مصادرة الأرض والهوية العربية لأرضنا المقدسة، أرض الإسراء والمعراج، أرض أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وذلك بسرقة تراثنا وآثارنا ونسبتها إليهم، إلا أننا بفضل الله وجهود الخيرين من أبناء الأمة العربية والإسلامية سنبقى أوفياء لهذه الأرض وتراثها، محافظين عليه بدمائنا وأرواحنا ما أوتينا إلى ذلك سبيلاً.

إضافة إلى ما تقدم فإن المحتل الإسرائيلي عمل جاهداً منذ عام ١٩٤٨ على تجميع تراثنا والاستيلاء عليه بقوة السلاح حتى يحرمنا من تراثنا الذي نعتز به، لأن تراثنا كان مصدر إشعاع حضاري للعالم أجمع، وأيضًا حتى يحرمنا من هذا التراث الذي يعطينا الحق والشرعية في الأرض الفلسطينية عامة وبيت المقدس خاصة. وسأتناول أوضاع المخطوطات من عدة نواحٍ.

أولاً : يتركز وجود المخطوطات في فلسطين في عدة مكتبات موزعة عادة في المدن الرئيسة ومراكز المخطوطات أو في المكتبات الخاصة والبيوتات أو عند الأشخاص، وتحتوي المكتبات العامة على النزر اليسير من المخطوطات ومعظم المخطوطات موجودة في المكتبات العائلية، وعند الأشخاص، وهذا الأمر يسهِّل عملية تسريبها أو بيعها، ويحدُّ من معرفتنا بعدد المخطوطات الموجودة في فلسطين ، ويجعل من الصعوبة علينا أن نصل إليها لتصويرها أو فهرستها أو ترميمها. لذلك أقترح أن يصدر في فلسطين وفي مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي تشريع يقضي بجمع هذه المخطوطات، وكذلك الوثائق المتعلقة بتاريخ الأمة والشعب، في مركز واحد وتحت سقف واحد، يكون بمثابة مكتبة وطنية أو أرشيف وطني، أو تحت مسمى مجمع ثقافي، تكون من ضمن مؤسساته مؤسسة للمخطوطات والوثائق ، كما هو حاصل في معظم دول العالم المهتم بتراثه.

وقد قامت بهذه التجربة دولة الإمارات العربية / أبو ظبي ، كما أصدرت سورية ومصر وتونس قانونًا بخصوص تلك المخطوطات. وحبذا لو تنهج بقية الدول العربية والإسلامية هذا النهج ، لأن دولة الإمارات وسورية ومصر وتونس عَدَّت المخطوطات ثروة قومية لا يجوز للأفراد والمكتبات الخاصة اقتناؤها ، ويجب أن تبقى تحت مسؤولية الدولة المباشرة للحفاظ عليها من التلف والضياع والسرقة.

وأرى أنه يتوجب أن يتم دراسة هذه الأمر جدياً في أحد اجتماعات وزراء الثقافة في مجلس جامعة الدول العربية ، على أن يتخذوا قراراً لإقرار قانون يسمى بقانون حفظ المخطوطات والوثائق وتجميعها في مكان رسمي وبإشراف الدولة، وبعد إقراره يجب أن يتم توزيعه على جميع الدول العربية والإسلامية لتعمل كل دولة بموجبه وتلتزم به.

فإذا صدرت مثل هذه القوانين فسيكون من السهل تجميع تراثنا وحفظه وترميمه وإحياؤه ، ولابد بعد ذلك من تجميع المخطوطات في مكان واحد. إن مخطوطات فلسطين ووثائقها وسجلاتها موزعة في عدد كبير من المراكز والبيوت؛ ذلك أن فلسطين لم تقم فيها دولة وطنية منذ عدة قرون، فقد خضعت للحكم العثماني، ثم الانتداب البريطاني، ثم الاحتلال الإسرائيلي ، وظهرت على أرض الواقع السلطة الوطنية والدولة الفلسطينية بعد عام ١٩٩٤ ، وإن شاء الله ستنهج سلطتنا الوطنية نهج بعض الدول العربية التي أعطت المخطوطات والوثائق الأهمية الكبيرة.

لقد قمنا بمسح ميداني في فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة ، فوجدنا تراثنا موزعًا في العشرات من الأماكن في المدينة الواحدة ، وأضرب مثالاً واقعياً على تشتت المخطوطات. في بيت المقدس يوجد أكثر من ٢٠ مكتبة عائلية، ولا شك أن ذلك يساعد على ضياعها وتسريبها وتدميرها، لذا يجب على معهد المخطوطات أن يدرك مدى الخطورة الناجمة عن هذا التشتت والتوزيع غير المراقب.

ثانيًا : إذا نجحنا في تجميع أصول تلك المخطوطات في مركز واحد في دولة فلسطين ، فسيهل علينا - كمؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في بيت المقدس - البدء في تعقيمها وصيانتها وترميمها، ثم تصويرها على الميكروفيلم وعلى الكمبيوتر في حال توفر الأجهزة المساعدة على التصوير ، بعد ذلك يتم فهرستها فهرسة علمية، لتصدر فهارس توزع على المؤسسات العلمية والتراثية في العالمين العربي والإسلامي، وتكون عاملاً مساعدًا للباحثين والدارسين في العالمين العربي والإسلامي، ومن باب التسهيل والتيسير للباحثين والدارسين والمستفيدين من تراثنا أينما وجد يمكن نشر هذه الفهارس على شبكة الإنترنت.

ثالثًا : مواكبة للتطور العلمي لابد أن نعمل لحفظ الوثائق والمخطوطات وتخزينها بالطريقة الرقمية ، كما حدث مع مخطوطات الفاتيكان. وبهذا نسهل

عملية حفظ واستعادة صور المخطوطات بكل سهولة ويسر، ويمكن ربط جميع المكتبات الرئيسة في العالم العربي والإسلامي مع المقر الرئيس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عبر الإنترنت وربط جميع المراكز عبر هذه الشبكة مع بعضها البعض، فبهذه الطريقة يستطيع أي باحث معرفة المخطوطات الموجودة ، وعندئذ يمكنه الاطلاع على صورها سواء أكانت موجودة في فلسطين أو الأردن أو مصر أو سورية أو غيرها، ونوفر بذلك المال والجهد على الباحثين والدارسين في التنقل عبرالبلاد بحثاً عن مخطوط. ونتيح لهم الاطلاع على أكبر عدد ممكن من المخطوطات المختلفة الموضوعات والعناوين أو الاطلاع على نسخ أخرى من المخطوط نفسه إذا أريد تحقيقه .

أما إذا بقيت أصول مخطوطاتنا ووثائقنا موزعة ومشتتة وغير مراقبة ولم يتم ترميمها ، فإنها ستكون معرضة للضياع والتلف والسرقة، عندئذ ستكون خسارة كبيرة لنا، لأن أصل المخطوط أو الوثيقة هو الأصل والأساس في اعتماد الحقيقة، وعلينا أن نتعلم من دروس الماضي ، وكفانا ما ضاع وما سرق وما تلف من أصول مخطوطاتنا ووثائقنا. وإنني أحمل مسؤولية ذلك حكومات أمتنا العربية والإسلامية ، وأطالب بتشكيل لجنة فنية تقوم بعملية مسح ميداني للمكتبات العالمية لتتعرف على الكم الهائل الموجود فيها من أصول مخطوطاتنا، ثم تضع خطة تشمل هدفين، هما:

١- ما الوسائل التي يجب أن تتبع من أجل استرداد ما تسرب من مخطوطاتنا ووثائقنا إلى تلك المكتبات العالمية.

٢- كفانا ما تسرب في السابق من مخطوطاتنا ووثائقنا. لهذا يتوجب وضع خطة لمنع عملية التسرب والضياع ثانية.

رابعًا: إن فكرة ترميم التراث وخاصة المخطوطات والوثائق لهي فكرة جديدة نوعًا ما في عالمنا العربي والإسلامي، وهي تتراوح بين مد وجزر في بلدان

العالم العربي والإسلامي، وإنها معـدومة في بعضها. نعم بعض الدول قطعت شوطًا جيدًا في هذا المجال، وخاصـة في مجال إعداد الكوادر الفنية العاملة في هذا المجال والترميم اليدوي الفني، ونظراً لأهمية المخطوط من الناحيتين العلمية والتراثية يـجب أن يكون العمل في الترميم عـملاً فنياً علميـاً مدروسًا، وذلك خشية إتلاف أصول هذا الإرث القيم الذي خلفـه لنا أجدادنا من عباقرة العلماء العرب والمسلـمين ولهذا السبب يجب إنـشاء مراكـز وأجهزة للبـحث العلمي، ومعـامل للاختبـارات تكون مختـصة في صيـانة وترميم وحـفظ هذا التراث، وإمداد هذه المراكـز بالأجهزة الـعلمية الحـديثة اللازمة والكوادر الـفنية المدربة. وهذا الأمر لا يتحقق إلا إذا توفرت الأمور التالية:

١- أن تعطي دولنا العربية والإسـلامية جل اهتمامهـا لحفظ تراثنا ، والعمل على ترميمه وصـيانته وفهرسته وتصـويره وحفظه، لأنه - مع الأسف الشديد- معظم المسؤولين في دولنا العـربية والإسلامية لا يعطون اهتمـامًا لهذا التراث، فهم لا يقدرون أهميته العظيـمة، مع العلم بأن تراثنا هو رمز لحضارتنا ومكانتنا وفضل أمتنا في بناء حضارات الأمم والشعوب.

أما بالنسبة لـنا كفلسطينيين فإن تراثنا يعد هو الهوية وشهـادة الميلاد والسجل التاريخي الذي يثبت حقنا في الأرض الفلسطيـنية العربية الإسلامية، وهذا الحق الذي يعمل المحـتل الإسرائيلي جـاهدًا من أجل إخفائه وطمـسه حتى يفـقدنا أمرين هما:

أ- يحـرمنا من تراث أمتنا الذي نفـخر به، والذي كـان مشـعل نور وهداية للعالم أجمع وأساسًا لحضارتهم .

ب - يحرمنا من هذا التراث الذي يثبت حقنا ووجودنا على الأرض العربية الإسلامية على مدى أربعة عشر قرنًا خلت.

٢- يتوجب إيجاد الكوادر الفنية المدربة للتعامل مع المخطوطات والوثائق من

أجل حفظها وترميمها وفهرستها وإحيائها، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بعقد الدورات النظرية والعلمية المستمرة في إطار معهد المخطوطات لخلق هذه الكوادر، مع العلم أن معهد المخطوطات يعقد دورات سنوية لمثل هذه الغاية، إلا أن العدد الذي يتدرب في هذا المجال غير كاف، فحبذا لو يقوم بتكثيف هذه الدورات وزيادة مدتها ، وحبذا لو تخصص لجنة فنية متخصصة مركزية في عملية الترميم والصيانة ، وحبذا لو يبقى الاتصال قائمًا في مجال الصيانة والترميم بين معهد المخطوطات وأقسام الترميم في العالم العربي لتبادل الآراء والخبرات، والاطلاع على كل جديد في علم الترميم والصيانة والحفظ، وتنسيق جهودها لتطوير عملها وتنظيم قدرتها على المشاركة الفعالة في سبيل حفظ التراث المخطوط.

خامسًا: العالم العربي والإسلامي يحتوي على كنز كبير من المخطوطات والوثائق المنتشرة في مختلف أنحائه، إلا أن هذه المخطوطات والوثائق غير معروفة للجميع، لأنها مشتتة هنا وهناك، ولأن بعض الدول أو مالكي المخطوطات يعتقدون أن المخطوط الذي يملكونه كنز خاص بهم ورثوه عن أجدادهم وآبائهم ولا يحق لأحد الاطلاع عليه، وإذا تم تصويره أو تحقيقه فقدوا هذا الكنز الموروث. إضافة إلى ما تقدم تُعد مخطوطاتنا مجهولة للمهتمين بها ، لأن معظمها غير مفهرس، لهذا أرى أن تبذل مراكز المخطوطات في العالمين العربي والإسلامي جهودًا أكبر في سبيل فهرسة هذه المخطوطات لتعميم الفائدة منها، وكذلك ليتسنى للباحثين معرفة جميع هذه المخطوطات وأماكن وجودها وتحقيق ما هو بحاجة إلى تحقيق منها.

ولابد من الإشارة إلى أن عملية الفهرسة ليست بديلة عن طريقة تخزين وفهرسة المخطوطات على الكمبيوتر أو نشرها على شبكة الإنترنت بل مساعدة لها.

سادسًا : التنسيق في نشر الأبحاث المتعلقة بتحقيق المخطوطات، وتبادل

النشرات الصادرة عن مراكز حفظ المخطوطات. وقد قطعت مؤسستنا (أي مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في بيت المقدس) شوطًا كبيراً في هذا المجال على الرغم من شح إمكاناتها المالية والمضايقات والمعاناة النفسية والمالية. وكلنا أمل في معهد المخطوطات وجامعة الدول العربية والمنظمة الإسلامية أن ترعى وتقدم لمؤسستنا كل دعم معنوي ومادي، لكي نتمكن من تحقيق مهامنا وأهدافنا في إحياء تراثنا ونشره والعمل على حفظه وصيانته.

وعلى الرغم من العقبات التي نواجهها فقد استطعنا تحقيق نجاحات باهرة، فقد تمكنا من تجميع مليوني وثيقة عربية وتركية وما يقرب من ٣٦٠٠ مخطوط، و٣٠٠٠ سجل تركي وعربي، وأصدرنا ٣٨ بحثًا ودراسة وفهرسًا.

وبهذه المناسبة أشكر كل الشكر معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية والإيسيسكو (المنظمة الإسلامية) والمجمع الثقافي في أبو ظبي ومركز جمعة الماجد في دبي .

كما نأمل من معهد المخطوطات أن يقدم لمؤسستنا أجهزة تسهم في عملية إحياء تراثنا ونشره وحفظه وصيانته مثل: كاميرا تصوير مايكروفيلمي ١٦ ملم، وجهاز قارئ طابع (Reader Printer)، وأجهزة قارئة (Reader)، وجهاز تحميض للأفلام ، وجهاز إسكانر (Scaenar) وجهازي كمبيوتر، وجهاز ناسخ للأفلام (Deplicator)، وكما تعلمون فإن مؤسستنا لا تستطيع أن تمتلك هذه الأجهزة بسبب المعاناة ومضايقات الاحتلال الإسرائيلي لسلطتنا الوطنية حيث يعمل المحتل الإسرائيلي على سرقة أموال وإيرادات سلطتنا الوطنية، ويفرض علينا قيوداً مجحفة لمضايقتنا مالياً .

***



إنقاذ مخطوطات فلسطين

أ. عصام محمد الشنطي

(١)

عرض تاريخي:

حين أحسَّ معهد المخطوطات العربية بضرورة تكوين «هيئة عربية مشتركة لخدمة التراث» من المسؤولين عن المخطوطات في بلادهم، من أصحاب القرار، ومن المؤسسات المتخصصة، ألَّف هذه الهيئة ودعاها للاجتماع الأول في الكويت، في أواخر شهر ديسمبر (كانون أول) من عام ١٩٨٣. وقضى الاجتماع ثلاثة أيام، انتهى فيها إلى وضع منهج للتعاون والتنسيق وتوحيد الجهود، في ما بين المؤسسات جميعًا. وبيَّن الحقول التي يمكن لهذه المؤسسات أن تجول فيها، خدمة لهذا التراث.

مثَّل فلسطين آنذاك عضو الهيئة د. حمد أحمد عبد الله يوسف، عميد «مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في بيت المقدس». وألقى كلمة ناشد فيها الهيئة الاهتمام بإنقاذ مخطوطات بيت المقدس والأراضي المحتلة.

واتخذت الهيئة المجتمعة في يومها الأخير توصيات منها ما نصه: «يضع معهد المخطوطات العربية الخطط اللازمة لتصوير المخطوطات، وفهرستها، والعناية بها، بدءًا بالتراث المهدد بالتلف والضياع، وخاصة بالتراث العربي الإسلامي في بيت المقدس وفلسطين، وذلك بالتنسيق مع هذه المؤسسات، وتلتزم هذه المؤسسات بالتعاون مع المعهد لتحقيق هذا الهدف»[١].

ومضى ثلاثة عشر عامًا إلى أن استقر المعهد في القاهرة، ودعت إدارته

(١) دليل معهد المخطوطات العربية (أهداف ونشاطات)، الكويت، مطابع الخط، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٥٦.

الجديدة الهيئة إلى اجتماعها الثاني. كان ذلك في مقره في شهر ديسمبر (كانون أول) من عام ١٩٩٦.

حضر عن فلسطين، عضـو الهيئة د. حمد نفسه، ممثلاً للـمؤسسة ذاتها في بيت المقـدس. وقدم تقـريراً عن مخـطوطات بلاده، لخص فيـه أماكن وجـود المخطوطات في المكتبات العـامة والخاصة، وهي في أكثـر من مدينة فلسطينية، إلا أن معظمها في مدينة القدس[١].

لقد أقام المسؤولون في فلسطين مؤسسة إحـياء التراث والبحوث الإسلامية، في ساحة الحرم القدسي، سنة ١٩٨٣م، لتحمي المخطوطات مما تعرضت له من خطر داهم من أثر الحـروب التي مـرت بالبـلاد، وأطماع اليـهـود في نهـبهـا واستلابها، ونشاط حركة شرائها ونقلها إلى أوروبا.

ويقدِّر التـقرير أن مخطوطات فلسطين كـانت نحو خمـسين ألف مخطوطة أصلية، لم يبقَ منها الآن إلا نحـو ثمانية آلاف مخطوطة. واستطاعت مـؤسسة بيت المقدس من تجمـيع ست مئة مخطوطة أصلية، بالإضـافة إلى نحو ٣٥٠٠ مخطوطة مصورة تحفظها للأجيال.

لقد وصف التـقرير حالة المخـطوطات في البلاد، وقدَّر أن نصـفها مـصاب بالأرضة والرطوبة لسوء مواضع حفظها.

إن المؤسســة تفتقد إلى أدوات التـرميم والصيانة، وسـبل التعقيم المخـتلفة، والتجليـد. ولم يسبق أن عـولجت أو صينت مخطوطة واحـدة منها، باسـتثناء مخطوطات المكتبـة الخالدية في بيت المقدس التي تجري صيـانة مخطوطاتها في لندن.

(١) انظر التقرير، ص٣٢٥ - ٣٢٩ من ملف الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٤١، الجزء الأول، مايو ١٩٩٧م.

وتحتاج هذه المخطوطات إلى فهرسة، وطبْع هذه الفهارس، فهي بجانب فائدتها للكشف عن المخطوطات للباحثين، وسيلةٌ من وسائل المحافظة عليها، باعتبار هذه الفهارس سجلات رسمية معتمدة لدى هيئة اليونسكو لردِّ ما يمكن أن ينتهب منها.

ولكنَّ التقرير ينقصه شيء مهم ، وهو عدم ذكر أجزاء الفهارس المطبوعة، وعدد ما تمثله من مخطوطات مفهرسة، وبالتالي يتضح لنا عدد ما لم يفهرس منها.

ولما جاء دور الأمين العام (د. هادي شريفي) لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامية في لندن، ذكر في آخر تعقيبه «أن الشيخ يماني رئيس المؤسسة، مهتم بمخطوطات فلسطين والمسجد الأقصى والمكتبة الخالدية، ويتمنى أن يتلقى اقتراحا محدداً مدروسًا بخصوصها، لمدِّ يد التعاون لها ومساعدتها»[1].

واغتنم الفرصة د. حمد عميد مؤسسة بيت المقدس، وقدم في استراحة من استراحات الاجتماع، قائمة باحتياجات مؤسسته من الأجهزة إلى أمين عام مؤسسة الفرقان، ووعد د. هادي بعرضها على الشيخ أحمد زكي يماني. وتُوِّج هذا الاجتماع بتوصيات منها:

«ضرورة العناية بمخطوطات فلسطين، خاصة مخطوطات المسجد الأقصى، والمكتبة الخالدية»[2].

(٢)

الثمار :

لو أحببنا أن نستعرض ما سبق من هذا العرض التاريخي، وأن نوجز تلك التوصيات في نقاط محددة، لوجدناها على النحو التالي :

---

(١) ص٤٠٢ وما بعدها، من ملف الاجتماع الثاني للهيئة للمشتركة لخدمة التراث العربي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٤١، الجزء الأول، مايو ١٩٩٧م..

(٢) ص ٤٣٠ من المصدر السابق نفسه.

١- يضع المعهد الخطط اللازمة لتصوير المخطوطات في بيت المقدس وفلسطين، وفهرستها، والعناية بها.

٢- تلتزم المؤسسات المتخصصة العامة والخاصة بالتعاون مع المعهد لتحقيق هذا الهدف.

٣- ضرورة العناية بمخطوطات فلسطين، خاصة مخطوطات المسجد الأقصى والمكتبة الخالدية.

ونستخلص من هذه النقاط الثلاث إلى أن هناك إيمانًا عميقًا بضرورة إنقاذ مخطوطات فلسطين بعامة، وبيت المقدس بخاصة.

غير أن المعهد لم يستطع أن يقوم بوضع الخطط اللازمة للإنقاذ ممثلة في تصوير المخطوطات، وفهرستها، والعناية بها. ولعل السبب يعود لما تعرض له من هزة التشتت والانتقال من مكان لآخر.

وبالتالي، فإنه لم يكلِّف المؤسسات المتخصصة، لا عامها، ولا خاصها، بالتعاون معه لتحقيق هذا الهدف.

ولعل صدور التوصية الأخيرة التي تقدَّمتها كلمة «ضرورة» تُشعر بالاعتراف بالتقصير، لأنه لم يحدث جديد في ما يخص إنقاذ المخطوطات، ووضعها موضع التنفيد، لذا كررت التوصية الطلب بالعناية بالمخطوطات.

وواضح من هذا الإيجاز أن الاهتمام بمخطوطات فلسطين لدى الهيئة الموقرة، في الاجتماعين السابقين، اهتمامٌ كبير، وأن المشاعر الطيبة حيالها حية وجياشة، ولا ينقص هذه التوصيات المدروسة سوى وضع الخطوات التنفيذية.

ولابد هنا من طرح السؤال التالي: ما هي حصيلة هذه التوصيات، وما هي الثمار التي جنتها مخطوطات فلسطين، بعد أن مضى على بداية «محاولة» العلاج خمسة عشر عامًا. ويأتي الجواب دون تردد : لا شيء!

ويُذكر هنا بكل الشكر والاعتزاز أن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، في

دبي، بعيداً عن هذه التوصيات، قد بادر متطوعًا فأهدى مؤسسة بيت المقدس جهازاً لترميم المخطوطات، وأليافًا سليولوزية (فايبر) تلزم لعملية ترميم المخطوطات والوثائق[1].

إنني ألمح أننا لو بقينا على هذه الحال، لأصدرنا في كل اجتماع يضم مثل هذا الجمع الكريم، مِن التوصيات ما لا تستطيع تقديم شيء ملموس مفيد. وحيال ذلك، لا مناص من التقدم باقتراحات عملية واضحة ملزمة، تنفذ واحدة تلو الأخرى، تؤدي إلى إنقاذ هذه المخطوطات حقاً.

(٣)

الاقتراح:

يتكون هذا الاقتراح من خطى متعددة، وعناصر مختلفة، حاولتُ أن أرتبها ترتيبًا فيه تتابع منطقي، فجاء على النحو التالي:

- اعتماد «مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في بيت المقدس»، التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، الهيئة الرسمية المعتنية بشؤون مخطوطات فلسطين. ويتعامل معها معهد المخطوطات العربية، وغيره من المؤسسات الأخرى عامة وخاصة، لإنقاذ مخطوطات هذا القطر العربي العزيز.

- تُصدر مؤسسة بيت المقدس - دون إبطاء - من خلال قنواتها الرسمية، قانونًا لحماية المخطوطات العربية والوثائق في فلسطين، على أن يزودها المعهد عاجلاً بصورة من القانون النموذجي الذي كان قد أعده، وأقره الوزراء المسؤولون عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، للاستعانة به، والاستئناس بمواده.

- تُساعد المؤسساتُ الخاصة القادرة مادياً ومعنوياً، والغيورة، مؤسسةَ بيت المقدس، في ما ينقصها من أجهزة ومعدات لتصوير المخطوطات على

---

(١) تقرير مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في بيت المقدس، إعداد د. حمد أحمد عبد الله يوسف، المقدم لاجتماع الهيئة الثالث، في القاهرة، نوفمبر ١٩٩٨، ص٦.

ميكروفيلم (وحدة ثابتة، ووحدة متنقلة)، وقراءة الأفلام وطبعها، وترميم المخطوطات وصيانتها وتجليدها، وما يلزم من مواد خام للعمل، في مختلف الأقسام، والمصادر والمراجع الأساسية، للوصول بها إلى التكامل.

ولا أسمي هذه المؤسسات الداعمة، فأنا في ثقة أنه لدينا مؤسستان خاصتان، بل ثلاث، ستهبُّ للنجدة، وتتسابق للاشتراك في القيام بهذا الدعم.

- توفد المؤسسات الداعمة - قبل ذلك - خبيرًا، يرشحه معهد المخطوطات العربية، لزيارة بيت المقدس، وتقديم تقرير وافٍ عن أوضاع المخطوطات والمصورات والوثائق لدى المؤسسة، وغيرها، وتحديدً الاحتياجات والنواقص الضرورية على الطبيعة.

- تقدِّم المؤسسات الداعمة مساعدة مالية حولية، تبدأ متواضعة، لتمكين مؤسسة بيت المقدس من شراء المخطوطات العربية من الأفراد والأسر أصحاب المكتبات الخاصة ، التي تريد بيع مخطوطاتها. على أن تقدِّم المؤسسة المذكورة تقريرًا شاملاً معتمَدًا من جهاتها الرسمية، إلى المؤسسات الداعمة والمعهد، في كل عام، يتضمن أسماء المخطوطات المشتراة، وتميزها، ومصدر شرائها، وأثمانها. وتقدِّر هذه الأثمان لجنة خبيرة في بيت المقدس مكونة من ثلاثة أفراد على الأقل. ويرسل الدعم المالي التالي، القابل للزيادة، بعد تسلم التقرير المذكور وإقراره.

- تقدم وحدتا التصوير الثابتة والمتنقلة، التابعتان لمؤسسة بيت المقدس، بالشروع في تصوير المخطوطات على نطاق واسع، في كل مكان في فلسطين يسمح به، على ميكروفيلم (١٦ ملم)، وحفظ نسخة منها لدى المؤسسة، وأخرى تُرسَل إلى معهد المخطوطات العربية.

- يهتم معهد المخطوطات العربية بمضاعفة حصة مؤسسة بيت المقدس من الأفراد الذين ترشحهم المؤسسة للتدريب في الدورات التي يعقدها المعهد، في شؤون المخطوطات (خاصة الفهرسة والتحقيق)، والأخرى الفنية للترميم والصيانة والتجليد.

- إذا كان احتياج مؤسسة بيت المقدس شديداً وملحاً لمتخصصين في الفهرسة، والترميم ، تقوم المؤسسات الداعمة، بترشيح من المعهد، بإيفاد خبير في الأولى، وخبير آخر في الثانية، إلى مقر المؤسسة في بيت المقدس، لتدريب فئتين منتميتين إليها، لتكوين «كوادر» كافية قادرة على خدمة المخطوطات والوثائق من الناحيتين، ويشارك المعهد بنصيب مساوٍ لكل مؤسسة داعمة.

- يتعهد معهد المخطوطات العربية بطبع جميع الفهارس التي ينجزها قسم الفهرسة بمؤسسة بيت المقدس، على نفقته، ومكافأة واضعيها على أن يكون منهج الفهرسة وفق منهج المعهد الذي ارتضاه في فهارسه في السنوات الأخيرة.

ولا يخفى أن الفهارس الوصفية للمخطوطات وطبعها، تُعد وثائق رسمية لدى هيئة اليونسكو، إذا ما تعرضت هذه المخطوطات للنهب والاستلاب، فضلاً عن فائدتها العلمية للكشف عنها للباحثين.

- يزوِّد المعهدُ مؤسسة بيت المقدس - على سبيل الإهداء والتبادل - مطبوعاته كافة، خاصة فهارس المخطوطات وكتب التراث ومجلته ونشرته، لتنمية مكتبتها. وكذلك تفعل جميع المؤسسات المتخصصة عامة وخاصة.

- يضع المعهد في أولياته طبع ونشر كتب التراث، والدراسات، ذات العلاقة بالتراث العربي الإسلامي في فلسطين. كما يخصص جائزته القادمة لتحقيق التراث في موضوع تراثي له صلة حميمة بالتراث فيها.

- يتعاقد معهد المخطوطات العربية مع المؤسسات الداعمة، ومؤسسة بيت المقدس، على القيام بإنقاذ مخطوطات فلسطين، بالخطوات المذكورة في ما سلف. وتقوم جميع الأطراف بالالتزام بدورها في منظومة قومية لتحقيق هذا الهدف.

(٤)

مشروع اتفاقية:

اتفاقية لإنقاذ مخطوطات فلسطين

بالنظر إلى هذا الموضوع الحيوي القومي، المتعلق بالمخطوطات العربية في فلسطين، وما تتعرض له من أخطار، وإلى علاقة هذه المخطوطات بالأصول والجذور، وما لها من صلة بالثقافة العربية الإسلامية؛ واستجابة إلى التوصية الصادرة عن الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، المنعقد في القاهرة، في ديسمبر من عام ١٩٩٦، والتي تنص على: «عقد اتفاقات... بين المعهد ومراكز مختارة في الوطن العربي، لخدمة قضايا تراثية معينة»[١].

اتفقت الأطراف الأربعة (أو الخمسة):

١- معهد المخطوطات العربية - القاهرة.

٢- مؤسسة

٣- مؤسسة

٤- مؤسسة

٥- مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية - بيت المقدس.

وتعاهدوا جميعًا على أن يساهموا في إنقاذ مخطوطات فلسطين بالخطوات والالتزامات التالية:

أ- معهد المخطوطات العربية:

- يكون له دور الرقابة والمتابعة.

- يلتزم المعهد بمضاعفة حصة مؤسسة بيت المقدس في تدريب مرشحيها على دوراته العلمية في شؤون المخطوطات (فهرسة وتحقيق)، ودوراته الفنية في

---

(١) ص ٤٣٢ من ملف الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٤١، الجزء الأول، مايو ١٩٩٧م..

الترميم والصيانة والتجليد. على أن يلتزم المعهد بحصته من النفقات مع المؤسسات الداعمة إذا ما أُوفد لمؤسسة بيت المقدس خبير مدرب لكل من التخصصين.

- يطبع وينشر جميع الفهارس التي تنجزها مؤسسة بيت المقدس، على نفقته، ويكافئ صانعيها، أو فهارس لها علاقة بمخطوطات فلسطين وتراثه الفكري.

- طبع ونشر كتب التراث والدراسات ذات العلاقة بفلسطين، أو من تأليف علمائها، ومما له صلة بتاريخ البلاد، ونشاط الحركة العلمية التراثية فيها، على نفقته، ويكافئ المحقق، أو الدارس.

- يخصص المعهد جائزته القادمة للتراث في موضوع له علاقة بالتراث العربي الإسلامي في فلسطين.

- يتعهد بتنمية مكتبة مؤسسة بيت المقدس بإهدائه مطبوعاته كافة، لتفيد باحثي المؤسسة في الفهرسة والتحقيق والدراسة (وكذلك تفعل جميع المؤسسات المتخصصة، عامة وخاصة).

ب- مؤسسة

ومؤسسة

ومؤسسة

تقوم بالتساوي بما يلي:

- توفد خبيراً، يرشحه المعهد، إلى بيت المقدس، لوضع تقريرٍ وافٍ عن أوضاع المخطوطات فيها، وفي غيرها، وعن احتياجات المؤسسة لتنمية وتنشيط مختلف الأقسام التراثية فيها.

- تزوِّد المؤسساتُ مؤسسةَ بيت المقدس بالأجهزة والمعدات والأدوات والمواد الخام، والمصادر والمراجع، مما يكفل تنشيط أقسام: التصوير، والترميم، والصيانة، والتجليد، والفهرسة، والتحقيق، والدرس، لتقوم المؤسسة بالتزاماتها نحو خدمة التراث وإنقاذ المخطوطات من التلف والاستلاب.

- تقدم المؤسسات دعمًا مالياً مرة كل عام، تتفق عليه، وقابلاً للزيادة، لتمكين مؤسسة بيت المقدس من شراء مخطوطات عربية من الأفراد والأسر في البلاد، وتضع بالتعاون مع المعهد، الضوابط اللازمة لضمان شراء مخطوطات قيمة، بأسعار عادلة.

- ترسل المؤسسات - حسب الحاجة - خبيراً إلى مؤسسة بيت المقدس، للتدريب على شؤون المخطوطات من فهرسة وتحقيق، وآخر للتدريب على الترميم والصاينة والتجليد؛ بترشيح من المعهد، على أن يتحمل المعهد حينئذ حصة مساوية لكل من المؤسسات الداعمة.

جـ- مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في بيت المقدس.

- تصدر المؤسسة - دون إبطاء - من خلال قنواتها الرسمية، قانونًا لحماية المخطوطات العربية والوثائق في فلسطين، لوقف حركة تغريبها، وما تتعرض له من نهب واستلاب.

- تَنْشَط المؤسسة في تصوير المخطوطات أينما كانت في البلاد، على ميكروفيلم (١٦ ملم)، وتحتفظ بنسخة منها، وتُرسِل الثانية إلى معهد المخطوطات العربية (مع توسيع تبادل المصورات مع المؤسسات الأخرى).

- تُصدِر المؤسسة نشرة فصلية (كل ٣ شهور)، تتابع فيها أخبار التراث العربي في فلسطين، وحركة المخطوطات من فهرسة، وتحقيق، ودرس، ونشر، وغيرها من النشاطات المتعلقة بها. توزعها بالمجان على سبيل الإهداء والتبادل.

- تُرسِل المؤسسة مطبوعاتها كافة، خاصة فهارسها وقوائم مخطوطاتها إلى معهد المخطوطات العربية، وإلى جميع المؤسسات المتخصصة.

تقوم جميع الأطراف بتحمل التزاماتها كافة، وتنفذها طواعية، لضمان الوصول إلى الهدف المنشود.

(توقيع الأطراف جميعًا، مع خاتم كل طرف)

***

تعقيبات ومداخلات

■ **د. محمود علي مكي:**

استمعنا إلى التقريرين القيمين من د. حمد أحمد عبد الله، والأستاذ عصام الشنطي، حول هذا الموضوع الذي أعتقد أن له أهمية بالغة، ولقد كان مما ذكراه أن ٥٠ ألفًا من المخطوطات التي كانت موجودة بفلسطين، لم يبق منها الآن إلا ٨ آلاف مخطوطة، أي ١٦٪ مما كان موجودًا! ومن الممكن أن يتناقص الرقم مرة أخرى ، فنحن نتعامل في فلسطين مع عدو في غاية الشراسة، يسرق الأرض، والهوية، والتراث.

من أجل ذلك أعتقد أن ما أشار إليه الأستاذان الكريمان من إنقاذ ما بقي من المخطوطات إنما هو رسالة قومية وتبعة لابد أن يتحملها العرب جميعًا، ويضطلعوا بها، ويبذلوا فيها كل جهد ممكن.

ذكر الأستاذ الشنطي أن الأمر ليس مسؤولية الجامعة العربية ومعهد المخطوطات، وإنما هو مسؤولية السلطة الفلسطينية والمؤسسات التابعة لها. نعم، هذا صحيح ، ولكن ينبغي على الجامعة العربية أن تبذل كل ما في وسعها لدعم هذه الجهود ، ولرصد ما يمكن أن يكون كافيًا من المال والخبرة، ذلك لأن المخطوطات في العالم العربي حتى لو كان فيها تلف أو كانت تحتاج إلى ترميم، فهذه مشكلة ثانوية، لأن المخطوط - على الأقل - يكون موجودًا وفي أمان بين أيدينا. أما الوضع في فلسطين، فأمر آخر مختلف.

وأذكر هنا مخطوطة جغرافية لأبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري كانت في المكتبة الخالدية، وقام أستاذنا عبد العزيز الأهواني - رحمه الله -

بتحقيق ما بقي منها ، وهو قدر لا يتجاوز العُشر من المخطوطة الأصلية. هذه القطعة الصغيرة التي نشرت في معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ذات قيمة عالية على الرغم من حجمها، لأنها تزودنا بمعلومات جديدة تمامًا.

وكان المرحوم رشاد عبد المطلب قد أتى بمصورتها من المكتبة الخالدية، ثم قام بتحقيقها في ما بعد د. عبد العزيز الأهواني، كما أشرت. هذا هو ما نعرفه بشأن هذه المخطوطة ، ومن الممكن إذا بُحث في مكتبات الأسر أو الأفراد، أن توجد بقية لهذه المخطوطة ولغيرها من المخطوطات الكثيرة التي يُعمِل الأعداء النهب فيها والإغارة عليها.

■ **د. محمود الطناحي:**

أذكِّر حضراتكم بتاريخ قديم، هو تاريخ معهد المخطوطات في الريادة نحو إنقاذ المخطوطات في فلسطين، فمنذ نحو خمسة وأربعين عامًا، وفي عام ١٩٥٣ تحديدًا ، في ذلك الزمان المبكر، وقبل أن يعرف الناس من أمور المخطوطات ما يعرفون الآن، أوفد المعهد بعثته لتصوير مخطوطات القدس قبل أن يدهمها السيل وتغشاها النوائب، فصور بعض النوادر من عشر مكتبات بها، منها ثلاث مكتبات عامة، والسبع الباقيات في ملكيات خاصة، وكلها كانت غير مفهرسة.

ومن أشهر المكتبات في القدس يومئذ مكتبة البديري والخالدية، وقد صور منهما المرحوم رشاد عبد المطلب نفائس كثيرة، ومن طريف ما وجدته مقيدًا في أوراقي وذكرياتي أني حين شرفت بالعمل في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وكنت عضواً بلجنة اختيار المخطوطات بالمكتبة المركزية بمكة جاءنا يومًا أحد باعة المخطوطات بمجموعة من مخطوطات فلسطين، فاخترنا منه بعضها، وكان أعلى هذه المخطوطات وأنفسها كتاب الشعر لأبي علي الفارسي، وناسخها هو أحمد ابن منير بن أحمد بن مفلح، فرغ من نسخها في شهر صفر ٥٢٨هـ ، وكان بمكة في ذلك الوقت، أستاذنا العلامة السيد أحمد صقر - رحمه الله - فأريته

هذه النسخة، فقال لي: كم عرضت ثمنًا لها؟ قلت: أشرت على الإخوة في المكتبة أن يدفعوا فيها ٢٠ ألف ريال سعودي. قال: ما أراك إلا قد بخستها ثمنها. قلت: ماذا تقترح؟ قال: أقترح مليون ريال سعودي. قلت: والله ، لو بُعث أبو علي الفارسي من مرقده وسمع هذا المبلغ وعرف قيمته، لغشي عليه، يكفي ٢٠ ألف ريال !

من الطريف أيضًا - في ما يتصل بمخطوطات فلسطين - أني رأيت مع هذا البائع الذي جاء من فلسطين، نسخة مخطوطة من «مناقب الأخيار» لابن خميس الموصلي، ثم وجدت في الصفحة الأولى منها، بخط الأستاذ رشاد عبد المطلب -رحمه الله - وبتوقيعه قوله: هذا ليس مناقب الأخيار لابن. خميس، وإنما هو نسخة من الرسالة القشيرية !

وثمة رأي أرى لزامًا علي أن أسجله حول قضية استخراج المخطوطات من المكتبات الخاصة، فالطريق الوحيد - في رأيي - لاستخراج هذه المخطوطات هو المال، وأمامنا تجربة رائدة في شراء المخطوطات تبنتها دول كالسعودية والكويت والإمارات، فالسعودية - مثلاً - سواء في مراكزها المستقلة المعنية بالمخطوطات أو التابعة للجامعات - فتحت الباب واسعًا أمام شراء المخطوطات من أصحابها، فانثالت عليهم من كل مكان، وكان ثمرة هذا الشراء قدرًا كبيرًا من المخطوطات النفيسة كالتي في جامعة الإمام محمد بن سعود.

ولا بأس من توصية في آخر اجتماعنا هذا تحث أصحاب المال من أثرياء الخليج على أن يخصصوا جزءًا - ولو صغيرًا من مالهم - يُدفع به في سبيل النبش عن المخطوطات وشرائها أينما كانت.

■ **د. سعيد مغاوري:**

منذ عام ونصف العام كنت مبتعَثًا إلى ألمانيا لدراسة وثائق البردي العربي هناك، وبعد أن اطلعت على صور من هذه الوثائق، وجدتُ أنها تحتوي على

معلومات هامة جداً عن الممتلكات العربية في فلسطين، وهذه الوثائق بعضها بالعربية، وبعضها الآخر بالعبرية. ولا يحسبن أحد أن هذه الوثائق موجودة في ألمانيا فقط، إذ إن منها عشرات الآلاف في إنجلترا وفرنسا، إلى جانب مجموعات أخرى في كثير من بلدان أوروبا، ولديَّ تقرير كامل بهذه المجموعات وأماكن وجودها ، والمسؤولون عن هذه الوثائق في أوروبا لا يمنعون تصويرها إذا ما دفعنا لهم تكاليف هذا التصوير.

وعلينا ألا نتلكأ في ذلك مهما كانت التكاليف مرتفعة ؛ لأننا بصدد أرض محتلة في فلسطين وغير فلسطين، احتلها اليهود، وادعوا ملكيتها من قديم، وهذه الوثائق تدحض هذا الاحتلال، وتبطل هذا الادعاء، لأنها تثبت الملكية العربية للأراضي في فلسطين وغيرها من البلدان العربية.

■ **د. محمد مرسي عبد الله :**

كثيراً ما نتخذ قرارات بخصوص الوثائق أو المخطوطات المتعلقة بفلسطين، ونجاهر بهذه القرارات، فيسمعها العدو الصهيوني، ومن ثم يعرف ما ننوي فعله، فيقف دون ما ننويه، نحن إذن نفضح أنفسنا بأنفسنا !

إن مثل هذه القرارات يجب أن تُتخذ وتُنفذ في إطار من التكتم والسرية، حتي لا يُحبط أعداؤنا - على الجانب الآخر - أعمالنا. من أجل ذلك أقترح أن توضع أصول المخطوطات والوثائق الموجودة في فلسطين خارجها، وتبقى هناك مصورات أو نسخ منها، وعلينا ألا نجعل اليهود يعرفون أين هذه الأصول.

ثمة شيء آخر يتعلق بعدم التكتم الذي نقع فيه عند اتخاذ قراراتنا، وهو أن ما سنخرج به من توصيات في هذا الاجتماع أو في غيره من اجتماعاتنا يجب أن يتم في إطار من السرية التامة، كما أن تمويل أجهزة التراث الفلسطيني ينبغي أن يكون غير مكشوف أمام اليهود حتى لا يمنعوه !

■ **محمد إبراهيم الشيباني:**

في ما يختص بدعوة د. الطناحي أثرياء الأمة إلى الاهتمام بشراء المخطوطات واجتلابها من مظانها، فإن ثمة أموالاً ربوية طائلة تُوجد لدى كثير من أصحاب رؤوس الأموال الأثرياء، وهم متضايقون منها، فحبذا لو تم استغلال هذه الأموال الطائلة في التفتيش عن المخطوطات وشرائها، ولا أرى اعتراضًا يعترض استخدام هذه الأموال في باب من الخير كشراء المخطوطات.

■ **د. نوفان رجا السوارية:**

انتبهت الجامعة الأردنية منذ السبعينيات إلى الطريقة التي دعا إليها د. الطناحي، وهي شراء المخطوطات، وقد بدأت الجامعة الأردنية حملتها لتصوير المخطوطات والوثائق الفلسطينية، بحملة إعلامية لتوعية الناس بأن الاهتمام بوثائق ومخطوطات فلسطين واجب مقدس، على الجميع أن يشارك فيه، فتنادى للخير مجموعة من الأثرياء كان لأموالهم أهمية كبيرة في دعم حملة التصوير التي قمنا بها، ومن ثم استطعنا تصوير مجموعات كبيرة من مخطوطات المسجد الأقصى، بالإضافة إلى مخطوطات عدد من مكتبات الأسر في نابلس وفي القدس على السواء.

كما استطعنا أن نصور من فلسطين المحتلة نفسها، فصورنا سجلات المحاكم الشرعية، والتي فُقد معظمها في الفترة الأخيرة، إذ عمد الإسرائيليون إلى حرقها وسرقتها، خصوصًا ما يتعلق منها بمجال الأوقاف، من أجل طمس هذه الوثائق والاستيلاء على هذه الأوقاف.

أما دفاتر (الطابو) العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر، فقد اكتُشفت بعمان، وكنا مجموعة من الباحثين، نبحث في تاريخ فلسطين، وتاريخ شرقي الأردن، فوجدنا كمية هائلة من هذه الدفاتر في مخازن موجودة في قبو من الأقبية ، وكانت تتعلق بأرض يافا، وأراضي نابلس، وقد أخذت هذه الدفاتر مكانها اللائق بها من الدراسة والاهتمام.

بقي أن أؤكد ضرورة السرية في التصوير أو الشراء أو التعامل عمومًا مع الوثائق والمخطوطات، خصوصًا ما يخص فلسطين منها؛ لأن العدو الذي نتعامل معه ليس هينًا !

■ **د. حسن حبشي:**

كنت أرجو أن يتم التركيز أكثر على ما يقوم به الفلسطينيون في القدس كمقاومة لمحاولات التهويد المستمرة التي يمارسها اليهود، بغرض طمس وجه المدينة العربي الإسلامي، ومن ثم تصبح مدينة يهودية في ظاهرها، وإن كانت في حقيقتها مدينة عربية إسلامية بدون شك، غير أن الأمور إذا استمرت على ما هي عليه الآن، فما هي إلا أعوام قلائل، وتصبح القدس غير القدس التي نعرفها، لا أثر للعرب أو للمسلمين فيها.

أما سرقة المخطوطات فهذا أمر كثير الحدوث من قديم ، وما نقوله من استردادها أمر أراه بعيدًا، وإن كان غيري يراه قريبًا، فهم لا يتنازلون عنها بهذه السهولة التي قد نتصورها، علينا الآن أن نحافظ على البقية الباقية لنا من وثائقنا ومخطوطاتنا، ونمنعها من السرقة أو وصول يد التلف إليها، خصوصًا في البلاد العربية المعرضة للأخطار.

■ **د. يوسف زيدان:**

عنوان جلستنا هذه هو «إنقاذ مخطوطات فلسطين»، وقد جرينا على عادتنا العاطفية، فتحولنا في كلامنا إلى مواجهة المخطط الإسرائيلي لتدمير تراثنا الموجود هناك، وأنا أخشى أن يكون هذا تناولاً خاطئًا للموضوع الذي نحن بصدده . نحن - للأسف - نهمل تراثنا الذي هو بين أيدينا أكثر مما نهمل تراثنا الذي في فلسطين.

الخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها عند الحديث عن مخطوطات فلسطين هي معرفة هذه المخطوطات والتعريف بها في البلدان العربية الأخرى، وذلك

بفهرستها الفهرسة اللائقة، وثمة جيل من الشباب الفلسطيني، كان منذ سنوات من أطفال الانتفاضة، لتكن الانتفاضة الجديدة انتفاضة ثقافية، وليقم هؤلاء الشباب بفهرسة ما بفلسطين من مخطوطات.

يرى د. الطناحي أن العمل التراثي أساسه المال، أما أنا فأرى أن العمل التراثي إذا اعتمد على المال مالَ وانحرف، وتحولت المسألة إلى مسألة متحفية، تقتني النسخ النادرة، ويغيب الهدف من وراء العمل التراثي.

إننا لا نهتم بمخطوطة من المخطوطات إلا بقدر دلالتها في واقعنا المعاصر.

■ د. حمد أحمد عبد الله:

إن إسرائيل تعرف ما تسمح بتصويره، وما لا تسمح بتصويره، فمخطوطة في الفقه أو في التفسير لا تعنيها كثيراً، أما مخطوطة أو وثيقة تتعلق بالأرض والهوية، فهذه لو دفعت المليارات، فلن تحصل على صورة منها!

أما تركيا فقد قامت السلطة الفلسطينية بتصوير وثائق تتعلق بالأرض الفلسطينية موجودة في إستانبول، غير أن إسرائيل سمعت بهذا الأمر، فما كان من وزير خارجيتها إلا أن سافر فوراً إلى تركيا وطلب من الأتراك أن يمنعوا تصوير أي وثيقة أو مخطوطة تتعلق بالأرض وبالحق الفلسطيني.

■ عصام الشنطي:

إن القانون المقترح لفلسطين ينبغي أن يستأنس بالقانون النموذجي الموضوع من قبل معهد المخطوطات، وفيه مرونة كافية، يمكن التحرك في إطارها.

وبالإضافة إلى ما ذكره كل من د. الطناحي، ود. محمود مكي، حول نفاسة بعض المخطوطات في فلسطين، فإن لدي بعض الأمثلة تضاف إلى ما ذكراه، مثل كتاب «فضائل بيت المقدس» للواسطي، من القرن الرابع الهجري،

ومنه نسخة وحيـدة في العالم، كانت موجودة بمكتبـة الجزار في عكا حتى عام ١٩٤٨، وبعد هذا العام فُـهرست مخطوطات المكتبـة فلم يرد لهذا الكتاب أي ذكـر، أي أنه فُـقـد بعـد الاحـتلال الإسـرائيـلي للمـدينة! وتدور الأيام وإذا بالمخطوطة تظهـر في الجامعـة العبرية، ولعل مـا دعا الإسرائيلـيين إلى السعي الحثـيث في الحصول عليـها، هو ما فـيها من الإسـرائيليات التي تخـدم ادعاء إسرائيل بأن ثمة حقاً لها في بيت المقدس!

أما مـا أوصى به د. الطناحي من استنفـار الأثرياء العرب للتـبرع من أجل مخطوطات فلسطين، فأنا أؤيده، ولكنها توصيـة عامة أرجو ألا تؤثر على قيام بعض المؤسسات طواعية بمهمة إنقاذ مخطوطات فلسطين.

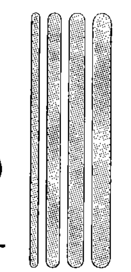
ثمة عبارة قالها د. يوسف من أنه ينبغي أن نفهرس أولاً مخطوطات فلسطين ثم ننقذها. وهـذا كلام غيـر دقيق بالنسبـة لمخطوطات فلسطين على الأقل، إذ ينبغي أن تواكب عملية الفهرسة عملية إنقاذ.

***

الجلسة الرابعة

تخطيط العمل التراثي ودور المراكز الخاصة





مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت

أ. محمد إبراهيم الشيباني

■ **د. عبد الله محارب (رئيس الجلسة):**

أشكر معهد المخطوطات على إتاحة الفرصة لي للمشاركة في هذا الاجتماع ، والاستئناس بهؤلاء العلماء الأجلاء ، من خَدَمة تراث أمتنا العظيم ، الذي يُعد أحد أبرز اهتماماتي .

هذه الجلسة مخصصة لإبراز دور المراكز الخاصة العاملة في حقل التراث ، وقد برْز دور هذه المراكز واضحًا في السنوات الأخيرة ، في دول عربية وغير عربية ، مما دعَّم من عمل المؤسسات الرسمية العاملة في حقل التراث ؛ إلا أنها امتازت عن هذه المؤسسات بالمرونة في تعاملاتها وقلة الشروط والقيود التي تُفرض على الباحثين .

لدينا في هذه الجلسة مركزان من المراكز الخاصة ، وأرجو في اجتماعات لنا قادمة ، أن تتاح الفرصة لعدد أكبر من المراكز ؛ المركز الأول موجود بالكويت ، ويحدثنا عنه الأستاذ محمد إبراهيم الشيباني ، أما المركز الثاني فهو مؤسسة الفرقان بلندن ، ويحدثنا عنها د. كمال عرفات نبهان .

فليتفضل أولاً الأستاذ الشيباني .

* * *

لا يختلف اثنان على دور مراكز التراث الخاصة في عالمنا العربي والإسلامي ، فهي أدوار لها حضورها في المنتديات العلمية ، تمثل بلدانها وأمتها ودينها باجتهاد من نفسها ، وتضع الميزانيات لمشاريعها ونظم الإدارة فيها، وتجتهد في الوسائل التي ترفع من تراثنا وتعممه ليأخذ العالمية في الانتشار والتداول .

لقد أضحت مراكز التراث ذات الطابع الخاص هي العلامة البارزة في الساحة العلمية ، وأضحى واجبًا على الجميع رعايتها والوقوف معها لتنفيذ برامجها التي تواكب برامج المراكز الرسمية في عالمنا العربي ، كما أصبح هذا ضرورة من الضرورات حتى يحمل الجميع الأمانة معًا لهدف واحد هو حماية تراثنا وحفظه من العاديات والآفات المتنوعة ، ومنها :

- الإقليمية واحتكاره في موطن دون آخر .
- منعه من المراكز والباحثين في أثناء عملية التبادل .
- إخفاؤه والتباطؤ في إعطاء المعلومات عنه .
- محاولة طمس وإخفاء أعمال المراكز الناصعة الواضحة في خدمة التراث من قبل بعض المراكز الرسمية .
- عدم التعاون معها في أي مجال من المجالات البحثية التي تفيد جمهور الباحثين والمتخصصين التي يعود النفع فيها على الجميع .
- الإخلال باتفاقيات التعاون والتبادل العلمي الثنائية التي عادة ما يكون تطبيقها العملي من طرف واحد .

فمتى ما أرادت المراكز الرسمية في دولنا العربية والإسلامية الارتقاء بتراثنا - ونحن حفظته - عن حظوظ النفس وبعض ما ذكرت آنفًا ، فلا بد من التعاون مع المراكز الخاصة التي عادة ما يكون نظامها الإداري غير معوق أو روتيني تتعطل فيه قرارات مهمة على حساب تراثنا الذي يحتاج إلى إنقاذ في مواقع ، وفي مواقع أخرى يحتاج إلى تصوير ، وفي أخرى إلى انتشار وعالمية ، وبسرعة فإن الجانب الآخر وهم باعته للمزادات والمراكز العلمية في الغرب لا يمهلوننا ، بل إنهم وهم يحملون الحقائب الملأى بالدولارات ، سيجدون في مناطقنا الإسلامية الفقيرة التي تتعرض يومياً للكوارث الطبيعية والحروب والنكسات كثيرين لا يترددون عند رؤيتهم لتلك الأموال ، فيسارعون إلى البيع البخس بتلك الدراهم المعدودة .

ولقد قام مركز المخطوطات والتراث والوثائق بدور كبير في خدمة التراث الإسلامي منذ تأسيسه في عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م وحتى اليوم فقد حرص على :

١ - إبراز فضل التراث الإسلامي والعربي في خدمة الإنسانية . ولقد تحقق هذا - بفضل الله - من خلال المراسلات الكثيرة مع المراكز العلمية في العالم ومع الباحثين وطلاب العالم من خلال :

أ - النشرة التراثية التي توزع على العالم ويُطبع منها ألفا نسخة في كل إصدار ، وتصدر أربع مرات في السنة تحت عنوان «نشرة أخبار التراث الإسلامي» .

ب - المنشورات التراثية المتمثلة في الكتب المحققة والفهارس العالمية والتعاريف التي يصدرها المركز حتى تيسر سبل البحث العلمي لدى المحققين والباحثين ، وتفتح أذهان الناشئة من طلاب الجامعة والعلم في الكويت والخليج على حب التراث والاطلاع عليه وتحقيقه والتبادل مع المركز في ما يملكون من مخطوطات مصورة هنا وهناك .

٢ - تيسير سبل البحث العلمي ، وذلك عندما أنشأ مكتباته المتنوعة في المركز وهي :

- المكتبة الرئيسة التي تضم حتى الآن خمسة عشر ألف كتاب مصنفة تصنيفًا علمياً .

- مكتبة الدوريات وتضم مجموعة كبيرة من الدوريات العربية القديمة والحديثة .

- مكتبة المجموعات الخاصة وتضم مطبوعات قديمة - قبل مئتي سنة - وهي مما تركه العلماء والمحققون السابقون.

- مكتبة الكتب النادرة وهي الكتب القديمة التي تصطاد من هنا وهناك .
- مكتبة الدراسات التراثية والوثائقية الخليجية .
- مكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية .

٣ - المساهمة في جمع تراث الأمة المشتت مخطوطًا كان أو مصوراً ، ولقد استطاع المركز أن يجمع - بفضل الله - الكثير منها حتى بلغ مجموع المخطوطات الأصلية (١٥٠٠٠) مخطوطة منها ما يقرب من (٢٠٠٠) مخطوطة مصورة على الميكروفيلم والميكروفيش والورق .

٤ - التعاون مع المراكز العلمية ، وقد بلغت العناوين لدى المركز حتى الآن (٢٠٠٠) عنوان بين باحث ومركز علمي وجامعة ومكتبة خاصة .

٥ - الاهتمام بفهرسة المخطوطات في العالم وترجمتها ، سواء عن طريق مندوبي المركز أو العاملين فيه من المتخصصين . ومن الفهارس التي صدرت :

- فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة في مدينة كوبنهاجن ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- فهرس المخطوطات الطبية في الفلك والهيئة والحساب والهندسة في جامعة براتسلافة - جمهورية التشيك ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م .
- فهرس مخطوطات مكتبة ديال سنغ في مدينة البنجاب بباكستان ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م .
- فهرس مخطوطات الفلك في مكتبة كوبنهاجن ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.
- فهرس المخطوطات العربية في جامع ماربورج بألمانيا ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- فهرس المخطوطات العربية في معهد المخطوطات في باكو .

- فهرس مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (المخطوطة والمطبوعة) في المكتبة السليمانية بإستانبول ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية النمساوية - الرياضيات ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- فهرس المخطوطات المصورة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق - المجاميع القسم الأول ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- فهرست المخطوطات العربية في الجامعة الكاثوليكية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- دليل مخطوطات السيوطي (ببليوغرافية حصرية لمؤلفات السيوطي المخطوطة والمطبوعة) ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- معجم مصنفات القرآن الكريم - الجزء الأول ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- فهرس المخطوطات الأصلية في مركز المخطوطات والتراث والوثائق التابع لمشروع الشيخ عبد الله المبارك ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م .
- مؤلفات ابن الجوزي ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- الكشاف التحليلي لمجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

وللمركز دور في طباعة الكتب المحققة التي تُعرض عليه على حسب توفرها وتوفر الميزانيات لها ، ومما أصدره منها :

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تأليف مجد الدين الفيروزآبادي ؛ تحقيق محمد المصري ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ٢٥٥ ص (تحقيق التراث؛ ١) .

- المعونة في الجدل ، تـأليف أبي إسحاق إبراهيم الشيـرازي ؛ تحقيق علي بن عبد العزيز العميريني ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ١٥٧ص (تحقيق التراث؛ ٢) .

- إجمـال الإصابة فـي أقوال الصـحابة ، تأليف خليل بن كـيكلدي العلائي ؛ تحقيق محمد سليمان الأشقر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ١٠٤ ص (تحقيق التراث؛ ٣).

- الزبد والضـــرب في تاريخ حلب ، تـأليف ابن الحنبلـي الحلبي ؛ تحقـيق وشرح محمـد ألتونجي ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ٦٧ص (تحقيق التراث؛ ٥) .

- (كتاب) الدعوات الكبيـر - القسم الأول ، تأليف أحمد بن الحسين ابن موسي البيهقي ؛ تحـقيق بدر بن عبد الله البدر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ٢٢٥ص (تحقيق التراث؛ ٦).

- من وافق اسمه اسم أبيه ، تأليـف أبي الفتح الأزدي ، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ١٤٨ ص (تحقيق التراث ؛ ٤) . معه: ١ - من وافق اسمه كنية أبيه ، للمؤلف . ٢ - من وافقت كنـيته اسم أبيــه ممن لا يؤمن وقوع الخطأ فـيه ، لعلاء الدين مغلطاي .

- تاريخ مولد الـعلماء ووفيـاتهم ، تصنيف ابن زبر الربعي ، تحـقيق مـحمـد المصـري ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ٤٩٨ ص (تحقـيق التراث ؛ ٨) تاليه زيادات لهبة الله بن الأكفاني .

- رفع الريبة عـما يجـوز وما لا يجوز مـن الغيبـة ، تأليف محـمد الشوكاني ؛ حققها وخرج أحاديثها محمد بن إبراهيم الشيباني ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ٥٤ ص (السلسلة الإرشادية ؛ ٣) .

- الدعوات الكبيـر (القسم الثاني) : للبيهقي ؛ تحـقيق بدر البدر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ٣٩٦ ص (تحقيق التراث ؛ ١٠) .
- الرسالة الناصرية ، نجم الدين الزاهدي ؛ حققـه وعلق عليه محمد المصـري ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م ، ٨٨ ص (تحـقـيق التـراث ؛ ١١).
- ترجمة شـيخ الإسلام ابن تيمية (في تاريخ المقـفى لأحمد بن علي المقريزي) ؛ تحـقيق مـحمـد بن إبراهيم الشيـباني ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ٦٦ ص (قسم ابن تيمية ؛ ٤).
- تمام فصيـح الكلام ، لابن فارس ، دراسة وتحقيـق د. زيان أحمد الحـاج إبراهيـم ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ١١٠ ص (قـــسم التحقيق ؛ ١٢) .
- الإدغام الكبير في القرآن الكريم ، لأبي عمرو بن العـلاء المـازني ، تحقـيق د. عبد الكـريم محمـد حسين ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ١١٢ ص (قسم التحقيق ؛ ١٤) .
- أزهار العـروش في أخبـار الحـبوش ، لـلسيـوطي ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ؛ تحقيـق ودراسـة د. عبد الله الغـزالي (قسم التحقيق ؛ ١٥) .

أما الرحـلات العلميـة لاستكشـاف مواقع المخطوطات ، فـقد أولت إدارة المركز منذ عشرين سـنة حتى اليوم اهتمامًا بالغًا لاسـتكشاف مواقع المخطوطات الإسلامـية والعربيـة في العالم ، ووضعت نصب عـينيهـا الوقوف على إمكان حيازة المخطوط الأصلي أو صورة فيلميـة عنه ، وفي سبيل تلك الغاية تعددت الرحلات في الماضي التي قـام بها المركز إلى مجـموعة بلدان عربيـة وغربية ، أثمرت - بحمد الله - تعـاوناً طيباً مع كثير من الجهات المخـتصة ، ومنها على

سبيل المثال لا الحصر :

*** الاتحاد السوفيتي (سابقًا) :**

- مكتبة - الاستشراق في بطرسبرج .
- مكتبة - شدرين العامة في بطرسبرج .
- مكتبة جامعة بطرسبرج .
- معهد المخطوطات في جمهورية أذربيجان (باكو) .
- مكتبة معهد المخطوطات في طشقند .

*** ألمانيا الاتحادية :**

- مكتبة الدولة في برلين الغربية .
- مكتبة جوتة .
- مكتبة جامعة كارل ماركس في برلين الشرقية .
- مكتبة درسدن .
- مكتبة جوتنجن .
- مكتبة ماربورج .

*** فرنسا :**

- المكتبة الوطنية في باريس .

*** تركيا :**

- مكتبات كثيرة ، وعلى رأسها المكتبة السليمانية في إستانبول . وقد قام المركز في سنواته الماضية - من خمس عشرة سنة - بإهداء المكتبة جهاز كمبيوتر شاملاً (IBM)، قيمته قرابة ١٥,٠٠٠ ألف دولار مع جهاز قارئ

طابع (READER PRINTER) وآلة كاتبة إلكترونية ومجموعة كبيرة من الأفلام الخام قياس ٣٥ملم .

*** هولندا :**

- مكتبة الجامعة .
- المكتبات الخاصة .

*** الولايات المتحدة الأميركية :**

- جامعة برنستون . وقد تم تصوير (١٠٠٠) مخطوطة متنوعة العلوم والفنون وتوجد فيها مخطوطات نادرة في موضوعات متنوعة .

هذه أهم المراكز التراثية في العالم الغربي والشرقي التي يتعامل معها المركز .

أما الدول العربية فيتعامل المركز معها جميعًا ، ويتفاوت بعضها عن بعض في تبادل المخطوطات والموافقة على تصويرها ، ومنها مراكز لا تبدي أية تعاون حتى في المطبوعات ، فبعض الدول لا ترد على الإهداء إلا بالشكر فحسب ، مع أن المركز يهدي مطبوعاته لها منذ خمس عشرة سنة .

وثمة أهداف استطعنا تحقيقها وأخرى نأمل في المستقبل أن نحققها ، وهذه الأهداف نوعان : علمية وعملية .

أما الأهداف العلمية فقد استطعنا إصدار :

- فهارس لمجموعة المخطوطات الموجودة في المراكز الأصلية والمصورة .
- فهرس المخطوطات العربية في باكستان .
- فهرس المخطوطات العربية بالمعهد التابع لأكاديمية العلوم لمجموعة أذربيجان .
- إصدار فهارس المخطوطات العربية في العالم الغربي القديمة والحديثة.

- اختيار أهم المخطوطات العربية التي لم تحقق في العلوم المتنوعة وتهيئتها للتحقيق العلمي الجيد المتقن .

أما الأهداف العملية فمنها أننا استطعنا :

- إتاحة فرصة أكبر للعلماء والباحثين في حقل التراث الإسلامي للتفرغ لتحقيق شيء من الكم الهائل الموجود من المخطوطات العربية والإسلامية في العالم بتسهيل السبل لها والطرائق التي من الممكن جلبها بها .

- إعداد الناشئة للخوض في هذا المجال وللاعتناء بالتراث العلمي بعد تدريبهم من قبل متخصصين .

- إنشاء معمل للترميم ، يأخذ الصفة التجارية . وليس قاصراً على ترميم المخطوطات والوثائق والكتب القديمة ، بل يُعنى أيضًا بالآثار الإسلامية وغيرها ، بوساطة متخصصين أكفاء يقومون بذلك .

- إنشاء مجلس استشاري مكون من متخصصين في علم التراث العربي الشامل تُوكَل لهم مهمات اختيار المخطوطات والوثائق والبحوث الجيدة للتحقيق والطباعة .

- ومن محاولات تقريب التراث للناس وتحبيبه إليهم إنشاء المركز قبل سبع سنوات جمعية أسماها « جمعية أصدقاء المركز » تهدف إلى تعريف الناس بجميع طبقاتهم وجنسياتهم بدور المركز العلمي والثقافي والتراثي والوثائقي في الكويت ودوره في العالم في خدمة التراث الإسلامي والعربي في العالم . ومن مميزات هذه الجمعية أنها :

- تستخرج للمشترك بطاقة عضوية باسم « جمعية أصدقاء المركز » عن مدة الاشتراك السنوي .

- يحصل المشترك على أكثر من (٥٠) مطبوعة من مطبوعات وإصدارات المركز في خلال السنتين .
- يحصل المشترك على (٣) مخطوطات مصورة في جميع علوم العربية والإسلامية . مقدار ورقات كل مخطوطة (٥٠ ورقة) .
- تساعد المشترك في الحصول على أي معلومة في التراث الإسلامي خارج البلاد في المراكز العلمية والتراثية العربية والأجنبية .
- ترسل للعضو المشترك جميع المعلومات التي يطلبها من الجمعية والتي تتمثل في الاستشارات العلمية والأسئلة التي تتعلق بالتراث الإسلامي والعربي المتنوع من وثائق ومخطوطات وقطع نادرة وعملات وطوابع . . . إلخ .
- تشرك العضو في « نشرة أخبار التراث الإسلامي » مدة سنتين مع الأعداد السابقة التي وصلت إلى (٤٠) عدداً .
- تشرك العضو في مجلة « تراثنا » مدة سنة .
- يستطيع حامل بطاقة العضوية أن يصور ما شاء من معلومات في مركز المخطوطات والتراث والوثائق بتخفيض يتراوح بين (٣٠٪) و(٥٠٪) .

وبفضل الله تدافع الشباب الكويتي وغيره على المركز في الجابرية للاشتراك في الجمعية بعد سماع أخباره في الإذاعة والتلفزيون وقراءة النشرات التعريفية التي أصدرتها الجمعية وما كتبته الصحافة المحلية .

أما المقترحات التي أقدمها فهي :

- الارتباط الشبكي عن طريق الحاسوب بين المراكز الخاصة والرسمية حتى

يستطيع أي مـركز أن يصل إلى المعلومة بيـسر وسـهولة دون حـاجة إلى مراسلات عن طريق البريد والنواسخ (الفاكس) .

- حضور المؤتمرات والندوات والدورات التي تقيمها المراكز الخاصة والرسمية في البلدان العربيـة حتى تتوطد العلاقـات في ما بينها ، وقد ينشـأ عنها اتفاقات ثنائية تُذاب معها العوائق النفسية والخوف من التعامل .

- وضع خريطة لرحلات التصوير إلى الدول المختـلفة تتفق عليها المراكز في ما بينها ، وتقـسم فيها تلك الدول كل مركـز على حسب إمكاناته المادية وظروفه ووقتـه ، ثم تعلم بعد ذلك المراكز المعنية الداخلة ضـمن اتفاقات التـعاون ، ثم يتم بعـد ذلك تبادل المخطوطات المصـورة في ما بينـها ، وهكذا يكون التعاون لتنهض المراكـز ببعضها ، أو يتخـذ إجراء آخر وهو أن تبعث المراكز هذه بكشوفات المخطوطات المصورة ، فيختار منها ما هو مناسب ومطـلوب للمـراكـز الأخـرى ، وبهـذا العـمل تخـف تكاليف الرحلات والتصوير .

- أن يتم التنسـيق في كل إجـراء تقـوم به المراكـز مع معـهـد المخطوطات بالقاهرة حتى لا تتكرر عملية التصوير من الدول التي صوَّر المعهد ويملك منها رصيد مجموعات كبيرة ومهمة .

- أن يسـتشـار معـهد المخطوطـات في الدورات والندوات والمؤتمرات التي تقيمها المراكز الخاصة في العالم العـربي حتى لا يتكرر الجهد فتخسر تلك المراكز الوقت والمال ، وتعطي - على الأقل - للمعهد هيبته وسمعته التي كانت بين المراكز الخاصـة والرسمية وجمهور البـاحثين ، فهو لا شك له جهوده المشرقة والمهمة التي نفعت جماهير كبيرة من الباحثين .

- الاتفاق مع المعهد حـول بطاقة الفهرسة الجديدة التي يسيـر عليها اليوم ،

فأنا أعتقد أنها شاملة ووافية سواء للمخطوطات الأصلية أو المصورة ،وقد رأى مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت أنها متـوافقة معه فألغى أسلوب وطريقة الفهرسة السابقة الســائر عليها - مع أنها قد كلفته أموالاً طائلة - وذلك من باب التعاون والمؤازرة لتعم الفائدة وينتشر الخير .

وقد طرح مركز جمـعة الماجد للثقافة والتراث بدبي دراسـة موجزة لتأسيس رابطة للمخطوطات العربية الإسلاميـة لدول مجلس التعاون الخليجي مع المراكز التراثية الخليجية ، وقد أيد مركز المخطوطات والتراث والوثائق مركز الماجد في مشروعه هذا .

***



نحو إستراتيجية للعمل في التراث العربي المخطوط

د. كمال عرفات نبهان

إن أعظم ما أنجزته البشرية في تاريخها الطويل، بدأ في أول مرة في صورة فكرة أو أفكار بسيطة، قد تكون نتاجًا لعبقرية عقل مفرد، أو نتاجًا لموقف أو مشكلة فَرَضت على كثير من العقول - رغم تفرقها في المكان أو الزمان - أن تجتمعَ حول أفكارٍ وحلول لهذه المشكلة، وقد يسعدها الحظ بأن تجد الفرصة للتواصل في المكانِ والزمان، لتوحد الرؤى وتبلور الأفكار، وهنا تحين اللحظة الرائعة التي تُستَنْبت فيها الأفكار كما تُسْتَنبت البذور التي تحتاج إلى التربة والمناخ والعمل .

وقد تحققت الفرصة حقاً في هذا اللقاء الطيب الذي يرعاه مشكورًا معهد المخطوطات العربية، ونتمنى له كل التوفيق والازدهار .

إن التفكير في إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث، هو تفكير يقع في قمة مراحل التخطيط، وأعتقد أنه لابد أن تسبقه إستراتيجية شاملة للعمل في التراث والمخطوطات على وجه الخصوص، من أجل إنقاذ ذاكرة هذه الأمة من الضياع، ومن أجل الاستفادة من هذا التراث حاضرًا ومستقبلاً .

ولذلك أرجو أن يسمح وقتكم بأن أطرح بعض المسائل الضرورية التي أرى أهميتها عند التخطيط لهذه الشبكة المنشودة :

إن الجهود الفردية في تحقيق المخطوطات أو فهرستها أو تصويرها. . . سواء قام بها أفراد أو مؤسسات، لهي جهود نبيلة ومشكورة ، ولكن هذا التراث الضخم من المخطوطات، والذي يقدر بعدة ملايين من المجلدات، لا تكفيه هذه الجهود المتفرقة رغم عظمتها، بل يحتاج إلى توجه وعمل جماعي، يحكمه

مخطط إستراتيجي يحدد الأبعاد والأدوار والمراحل والأولويات، ويجمع بين حركة المبدعين من الأفراد والمؤسسات في أداء متكامل، ونامٍ، ومتطور .

وإنني أتمنى أن نخلق بهذه الإستراتيجية ما يمكن أن نطلق عليه «المستقبل التراثي» إذا صح التعبير الذي يجمع بين عطاء الماضي ورؤى المستقبل، وهذه الإستراتيجية هي التي ترسم خطة هذه الأمة في تعاملها الصحيح مع تراثها من المخطوطات وغيرها، وتجدد أملها في إنقاذ ذاكرتها الحضارية من الضياع .

ومن أجل الوصول إلى إستراتيجية، أقترح هنا بعض العناصر البذرية التي أرى لها أولوية ، ومنها على سبيل الإيجاز :

١- اجتماع كل المؤسسات المهتمة بالتراث والمخطوطات الإسلامية، في مؤتمر أو لقاء، للاتفاق على مخطط مبدئي للتعاون والتخطيط في ما بينها، واستشارة كل ذوي الاختصاص، وليس من المجاملة أن أقول بأن أنسب مؤسسة يمكن أن ترعى ذلك الاجتماع هو معهد المخطوطات العربية لما يمثله من بعد إقليمي عربي شامل ، إلى جانب التخصص في مجال التراث المخطوط.

٢- إنشاء «اتحاد عالمي لمؤسسات حماية التراث» لكي نخلق مجتمعًا علمياً بحثياً متواصلاً للمحققين وعلماء التراث، للتعاون والتشاور، من أجل هدفهم العلمي الجليل.

ومن المنطقي أن ينشأ في البداية اتحاد عربي لمؤسسات حماية التراث، تلتقي فيه المؤسسات العربية أولاً، ثم تبدأ خطوات تشكيل الاتحاد العالمي لمؤسسات حماية التراث، حتى تتكامل جهود المؤسسات العاملة في التراث خارج العالم العربي في الشرق والغرب، في الجامعات والمعاهد والمكتبات والمؤسسات الخاصة، مع جهود المؤسسات العربية، ولا يبعد عن أنظارنا دور الاتحادات الإقليمية والعالمية في مجالات كثيرة مثل المكتبات والطب وغيرها، وما أدته

هذه الاتحادات من أدوار هامة وحيوية في خدمة مجالاتها، وتحقيق التكامل بين الطاقات الفكرية والمادية، لإنجاز أعمال تعجز المؤسسات عن إنجازها فرادى.

٣- إنشاء بنك للأفكار والمقترحات والمشروعات التراثية، وتكون وظيفة هذا البنك كما يلي:

أ - تلقِّي كل الأفكار التي تدور في أذهان العلماء والباحثين في مجال المخطوطات والتراث ومجالات العلم عمومًا في ما ينعكس على التراث، والتي يرغب أصحاب الأفكار في تنفيذها سواء بأنفسهم أو بعرضها للتنفيذ اليوم أو غدًا .

ب - يهتم هذا البنك بإجراء استبيان لجمع آراء العلماء والمختصين وتوصياتهم حول ما ينبغي تحقيقه من المخطوطات ، للخروج بقائمة مبدئية تحدد الأولويات في تحقيق المخطوطات في كل مجال من مجالات المعرفة على حدة، واقتراح من يقوم به إذا كان ذلك متاحًا في حينه، أو تحديد مواصفات وإمكانات من ينبغي أن يقوم به.

جـ - كما يهتم هذا البنك بتحديد الحالات العاجلة لإنقاذ المخطوطات في شتى بقاع العالم، وخصوصًا في المناطق الفقيرة والمنعزلة، سواء للمجموعات الخاصة للأفراد والعائلات، أو للمجموعات المملوكة للمؤسسات الرسمية.

د - يوفر هذا البنك كل الاستشارات المطلوبة لصيانة وترميم المخطوطات والمواد التراثية.

ومثل هذا البنك سوف يمثل مرجعية خصبة وركيزة محورية للباحثين والعلماء والمحققين والدارسين، يستطيعون البداية منه، وينبغي أن تكون له الصفة الدولية حتى لا ينعزل في إطار البيروقراطية أو العزلة أو النزعة الإقليمية الضيقة، كما ينبغي أن يكون في مكان يسهل الاتصال به والوصول إليه، ولا

يقف على أبوابه حرس متوجس يتصور أنه يمنع الشياطين من دخول الجنة، كما يحدث في حدود عالمنا العربي في كثير من الأحيان .

كما أن هذا البنك سوف يمثل في حالة إنشائه «مشروعًا حضارياً»، ولعل من أروع الأمثلة على هذا المشروع الحضاري ، ما نجده متمثلاً في عمل ببليوجرافي ظهر خلال القرن الثالث الهجري في عصر النهضة العربي، حينما ألف حنين ابن إسحاق عمله التاريخي وعنوانه: «رسالة إلى علي بن يحيى في ما تُرجِم من كتب جالينوس وما لم يُترجم». ولنا أن نتصور دور قائمة ببليوجرافية صغيرة مثل هذه بالنسبة لحضارة كانت ناشئة ومبدعة هي الحضارة الإسلامية، وتتطلع إلى ترجمة كتب الطب التي ألفها الطبيب اليوناني جالينوس، وكان من المهم أن يهتم حنين بن إسحاق بتوضيح ما تُرجم من مؤلفات جالينوس من اليونانية إلى السريانية أو العربية، أو كليهما، وما لم يُترجم حتى عصره، وما عثر عليه حنين من مخطوطات جالينوس بالكامل أو بصورة جزئية مفككة، وما لم يعثر عليه حتى عصره .

أليس فى ذلك أروع مثال على الوعي الحضاري في بداية نهضة وحضارة عربية استوعبت علم السابقين ثم هضمته وأضافت إليه وتجاوزته بالإبداع والنقد والتصحيح، ثم أخذته عنها الحضارة الأوربية في عصر النهضة الغربي، واعترفت الحضارة الغربية بهذا الجميل للحضارة الإسلامية في أحيان قليلة، وأنكرت ما استطاعت إنكاره جريًا على عادة البشر من الإنكار أو النسيان أو الإساءة إلى صاحب الإحسان .

د - كما أن من أهم ما يمكن أن يقوم به بنك الأفكار المقترح، تسجيل بدايات الأعمال الببليوجرافية والتحقيقية في التراث، لضمان متابعة استكمالها حتى لو استمرت أجيالاً بالمحافظة على الفكرة، حتى لا تستمر ظاهرة «البدايات المقطوعة» والمشروعات التي تبدأ ثم تتوقف، ثم تُنسى وتموت فكرتها، ثم ننسى أننا تذكرناها، ثم ننسى أننا نسيناها .

٤- ومن المهم أن نتصور أن هناك مجموعة من الناس يجمع بينهم الاهتمام بالتراث من جانب أو آخر من جوانبه العلمية أو الوعائية أو غيرها، وهم مجتمع المعلومات التراثية أو مجتمع المخطوطات. . . وينبثق عن هذا التصور المنطقي ، أن نطالب بإعداد دليل كامل ومتجدد بأسماء العلماء والمؤسسات المهتمة بالتراث ، لتسهيل الاتصال في مجتمع المخطوطات، سواء لتقسيم الأدوار أو تحقيق التكامل في العمل أو تبادل الرأي أو التعليم والتعلم. . . فقد لاحظت أن هناك علماء وباحثين يعملون في صمت وفي مناطق معزولة أو نائية سواء جغرافياً أو اجتماعياً أو نفسياً. . . سواء من العرب أو المسلمين أو من دول العالم ، وكثير من هؤلاء يعمل في المخطوطات العربية الإسلامية من مداخل جديدة مثل دراستها وتحليلها فيزيائياً وكوديكولوجياً وفنياً. . . إلخ.

ولابد أن نعطي الظاهرة وجهها الاجتماعي، إلى جانب التفكير في وجهها التكنولوجي والشبكي، لأن ظاهرة التخلف في مجال حفظ التراث هي ظاهرة اجتماعية في الأساس، بكل ما يعنيه التخلف الاجتماعي من أبعاد وانعكاسات، على السياسات التنظيمية والتمويلية في هذا المجال، كما أن هذا التخلف لن تعوضه التكنولوجيا بكل تقدماتها، طالما كانت الظاهرة الاجتماعية متخلفة!!

٥- إنشاء معاهد دائمة، وبرامج مستمرة في الجامعات والمؤسسات التراثية، لتدريس مناهج تحقيق التراث، مع ما تحتاج إليه من علوم مساعدة كالببليوجرافيا والكتابة العربية وعلم النصوص وعلم المخطوط والتاريخ وسوسيولوجيا المعرفة الإسلامية وغيرها. . . وذلك لنقل فنون التحقيق ومناهجه من جيل الأساتذة إلى أجيال جديدة من المحققين. . . وأنتم كأساتذة تعلمون أن التلاميذ هم أقوى سلاح للاستمرار والإبداع والتقدم .

إن ما أعنيه هو خلق الظروف لتلمذة حقيقية من الطلاب على شيوخ التحقيق وعلمائه، في مُلازمة وتدريب ومشاركة.

٦- تشجيع كل أستـاذ محقق على تسجيل تجربتـه الخاصة وحكايته مع كل مخطوط ، وسرد المشكلات والحلول التي وصل إليها، ولو في كراسة صغيرة، فهذه خـبرات لن نعوضها، وكل منهـا نموذج فريد وتاريخي. . . ولا يكفي أن نعرف أنهم تعبوا، فإن معرفة الماء لا تطفئ العطش. . . ولقد عرفت من هؤلاء العلماء من كرّس حـياته لتحقيق معظم مـخطوطات مؤلف واحد، فكيف وكم تكون تجربته لو كان سجلها، قبل أن يودِّعنا إلى رحاب ربه، ولابد أن ننظر إلى علمائنـا باعتبـار كل منهم مدرسـةً وطريقةً ومنهجًـا، وباجتـماع هذه المدارس والمناهج، يكتمل لدينا تيـار حضاري وعلمي وعملي للتـعامل مع المخطوطات والتراث ، ليتحقق فيه تراكم المعرفة وتفاعلها وتطورها.

٧- إعداد أجيال من الببليوجرافيين في مجال النصوص والمخطوطات العربية والإسلامـية، وهناك فى الحضـارة الإسلاميـة علوم وقضايا في البـبليوجرافـيا والنصوص والمعلومـات تحتاج إلى درجة عـالية من التخـصص والوعي بأسرار اللغة العربية، وينبـغي أن يتحمل العلماء العرب أساسًا أكبـر قدر من المسؤولية عنها، والباب مـفتوح أيضًا لمن يريد أن يسهم من المسـتشرقين، ولكن ذلك لا يعفي أبناء هذه الأمة من مسؤولية البحث والدراسة والتعمق في هذه المجالات.

وإلى جـانب البـبليـوجرافـيين لابد من البـدء بإعـداد الوعي الشـبكي في المجتمعات العربية، سواء بين المسؤولين أو المتخصصين أو المستفيدين، ولا يعني الوعي الشبـكي الاقتناع بأهميـة شبكات المعلومـات فحسب، بـل القدرة على إنشاء وتطوير الأدوات الببليوجرافية والتـراجمية والقواعد الضرورية لإنشاء هذه الشبكات.

٨- إعـداد نص نموذجي في تحـقيق المخطوطـات يجمع خـلاصـة خبـرات المحـققين وأصـحاب المناهـج في التحـقيق، ويـكون أساسًـا للدارس وحقـلاً للتطوير.

وليس المقصود بهذا النص النموذجي أن نخلق إطارًا جامدًا يلتزم به المحقق ، بل يحتوي على بذور وأسس ينطلق منها سواء وافقها أو خالفها، ولكنها مخالفة العالِم المبدع، وليست مخالفة الجاهل المغرور.

٩- تأليف معجم موسوعي يضم كل مصطلحات المخطوط الإسلامي ، ويجمع شتات المصطلحات والمفاهيم في كتب القدماء والمحدثين، ويغطي مصطلحات الوراقة والببليوجرافيا والفهرسة، وعلم المخطوط بجوانبه المادية والتاريخية والبيئية، ومناهج تحقيق المخطوطات، ومصطلحات التأليف وعلم النصوص وعلاقات النصوص التي أصبح لها منهج جديد لدراستها دراسة تكوينية ، وأصبح لها نظام لوصف كل العلاقات في إطار عائلة النص.

١٠- ولقد بُذلت جهود مُشَرِّفة من أجل فهرسة المخطوطات، ومن أجل إدماج فهارس المخطوطات في كيان واحد، ولكن مازالت هناك مشكلة في التشتت المكاني واللغوي ، وفي تشتت الببليوجرافيات، وتعدد أساليب الفهرسة والفهارس، بشكل محير.

١١- وكما تعلمون فإن الببليوجرافيات هي تمثيل للنصوص ودليل إليها، ولكن تبقى مشكلةُ إتاحة النصوص نفسها للباحث، ولابد من العمل على مستوى عالمي لخلق تشريعات متطورة تيسر تداول المخطوطات وتصويرها في شكل ورقي أو فيلمي أو على أقراص ضوئية، ولابد من تغيير التشريعات المتعسفة التي تتسم بالبيروقراطية والمتحفية في معظم البلدان، والتي تسوم الباحث العذاب لكي يصل إلى مخطوطة واحدة.

١٢- ولقد آن الأوان، في ظل تكنولوجيا المعلومات، لكي تدمج كل الببليوجرافيات القديمة والحديثة للمخطوطات في بنك معلومات لمخطوطات العالم ، وهناك جهود سابقة للبناء عليها، وهناك مكتبيون عرب قادرون على ذلك بشيء من التنظيم والمؤازرة.

كما أن تطور تكنولوجيا التصوير والاختزان والاسترجاع يدعونا إلى سرعة إيجاد صور للمخطوطات على أقراص مُدْمَجَة CD Rom لضمان وجود نسخة منها في مواجهة أي خطر على المخطوطات، وكذلك لضمان الحفاظ على الألوان الموجودة في المخطوطات؛ لأن تصوير الميكروفيلم يضحي بهذه الألوان، ولقد انتهى عصر الميكروفيلم، الذي لم يدخله بعدُ كثير من بلادنا، ولنكن على وعي بأن يكون الضبط البيليوجرافي وحصر المخطوطات، مصاحبًا للضبط الوعائي بتصويرها وحفظها ثم إتاحتها للباحثين.

١٣- كما آن الأوان لإدماج كل التراجم العربية والإسلامية في هذا البنك، واستخراجها من كتب التراجم والببليوجرافيات والتواريخ وبرامج الشيوخ وغيرها، لأن التراجم هي شقيقة الببليوجرافيا وتوأمها.

١٤- وأنتهز الفرصة لكي أحذِّر من تحويل فهارسنا ومراجعنا إلى حروف رومانية، ثم نعود إلى قراءتها بشكل مأساوي، وينبغي دائمًا أن يكون الحرف العربي هو الأساس ، ثم يسانده الحرف الروماني ، مساعدًا على الانتشار، ولكن ليس من الصحيح أن تكون الأسماء العربية والعناوين العربية في بعض فهارسنا بحروف لاتينية بحجة العالمية والانتشار، وسوف يكون العالم أكثر احترامًا لنا إذا حافظنا على رسالتنا الأصلية إليه في الاتصال الببليوجرافي.

١٥- إنشاء صندوق لتمويل ومساعدة الباحثين في المخطوطات في كل البلدان والمساهمة في تخفيف غربة المحقق وعزلته وتضحيته من أجل تحقيق المخطوطات ، ويحتاج ذلك إلى مؤازرة من عظماء عصرنا الذين يحبون العلم والعلماء، وكذلك مؤازرة الحكومات.

١٦- وعلى رأس كل التوصيات، الاهتمام باللغة العربية، التي تحمل على كتفيها تراث هذه الأمة، ويكفي أنها تحمل معجزة القرآن. .

١٧- وإلى جانب الجهود الرائعة التي قام بها كثير من المستشرقين في مجال

دراسة وتحقيق هذا التراث العظيم، فإن حجم العمل المطلوب لايزال بالغ الضخامة، ولذلك فلابد أن نؤمن بأنه لن يقيم صلب هذه الأمة إلا أبناؤها ، وليكن بستان هذه الأمة فى صدرها، وليس في أعالي البحار، أو في المتاحف ، أي أننا يجب أن ندرس ونفهم ونستوعب، لا أن نحتفي بالجوانب المتحفية والمباهاة بتراثنا.

إن فى بلادنا أبطالاً يقاتلون في سبيل تحقيق التراث ويضحون بأعز سنوات العمر، ولكننا يجب أن ندرك ذلك ونحن مشفقون خائفون على كنوزنا. أكثر مما نحن مباهون فخورون.. وكم يكون رائعًا لو تكاملت جهود علمائنا، فالمسؤولية كبيرة... والأعمار محدودة... والوقت يضيع... فلنَعِشْ زمنَ التدارك... قبل أن تأتي عصور الندم.

أدعو الله تعالى، أن تجدَ أحلامُكم العظيمة فَضاءً تُحَلِّقُ فيه، وأشجاراً تُغَرِّد فوقَها.

***



تعقيبات ومداخلات :

■ **د. عادل سليمان جمال :**

ما قدمه الأستاذ الشيباني في غاية الأهمية ؛ لأنه ينم عن جهود مخلصة بذلها مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت ، وهو عندي مثَل يجب أن يُحتذى ؛ حتى يتحقق لتراث هذه الأمة ما نصبو إليه .

عُني هذا المركز بالتراث أيما عناية ، وتوزعت جهوده في خدمته على جبهتين :

الأولى داخل الكويت ، فقد قام المركز - منذ تأسيسه - بتوفير آلاف الكتب ونوادر المخطوطات والوثائق التي بذل في سبيل الحصول عليها جهدًا هائلاً ، ومالاً وفيرًا ، ووقتًا ثمينًا .

أما الجبهة الثانية ، فتتضح في أشياء أخرى لا تقل خطرًا ، أُجملها في ما يلي :

أولاً : فهرسة الكثير من المخطوطات العامة أو الخاصة ، في مكتبات عديدة ، تتوزع على بلدان كثيرة ، مثل كوبنهاجن ، والبنجاب ، والمكتبة الوطنية بالنمسا ، بالإضافة إلى الكشاف التحليلي لمجلة معهد المخطوطات .

ثانيًا : الدور المتميز الذي أداه المركز في طباعة الكتب المحققة ، مثل : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي ، وإجمال الإصابة في أقوال الصحابة للعلائي ، ومَن وافق اسمه اسم أبيه لأبي الفتح الأزدي ، وتمام فصيح الكلام لابن فارس .

ثالثًا : سعى المركز - كما سعى معهد المخطوطات - إلى أماكن عديدة من العالم مصورًا نفائس من المخطوطات ، موجودة بمكتبات في هذه الأماكن ، فقام بزيارة عدة مكتبات في الاتحاد السوفيتي (سابقًا) وألمانيا الاتحادية وتركيا وهولندا والولايات المتحدة ؛ وكان حصيلة هذه الزيارات آلاف المخطوطات ، في مختلف العلوم والفنون ، إلى جانب ما أثمرته هذه الزيارات من تعاون بين المركز وهذه المكتبات في تلك البلدان التي زارها .

وكان حرياً بالمركز أن يتعاون مع البلدان العربية ، ولا يتوقف تعاونه معها عند إهدائه لمطبوعاته إليها ، على الرغم من أن أغلب مكتبات هذه البلدان تقابل الجميل بالجميل.

رابعًا : إتاحة الفرصة للعلماء والباحثين في مجال التراث الإسلامي للتفرغ من أجل تحقيق مخطوطات التراث ونشرها .

خامسًا : إعداد أجيال من الناشئين ليكملوا حمل الرسالة التي نقوم عليها راضين مغتبطين .

سادسًا : إنشاء معامل لترميم المخطوطات والكتب القديمة .

سابعًا : إنشاء مجلس استشاري من متخصصين أكفاء يُوكل إليهم اختيار المخطوطات للتحقيق والطبع .

ثامنًا : إنشاء جمعية لأصدقاء المركز ، تهدف إلى تعريف الناس بجميع طبقاتهم بدور المركز العلمي والثقافي في خدمة التراث الإسلامي لتحبيبهم فيه وتقريبهم إليه .

ثم يختم الأستاذ الشيباني بحثه بتقديم اقترحات محددة قيمة ، نوافقه عليها ، ونؤكد أهميتها .

بقي أن أستفسر من الأستاذ الشيباني عما ذكره من أن المركز قد صور بعض

المخطوطات من جامعة برنستون في الولايات المتحدة ، بلغت ألف مخطوطة تقريبًا ؛ فهل كان ذلك التصوير قبل أن يقوم مركز «ريتسك» بتصوير مخطوطات جامعة برنستون ، فنحن نعلم أنه قام بتصويرها كلها ؟

■ **د. سعيد مغاوري :**

قُدر لي أن أشارك في مؤتمر عقدته جمعية لسان العرب ، وكان مما جرى فيه أن أحد الدكاترة المشاركين ذكر شيئًا غريبًا جداً عن دور المركز العربي للوثائق الصحية في الكويت ، فقد ذكر أن هذا المركز استطاع أن يجمع خلال ثماني سنوات عشرات الألوف من المعلومات الصحية والطبية في الوطن العربي والعالم أجمع ، بفضل الإمكانات التي يتمتع بها .

ويقودنا هذا الكلام إلى قضية التنسيق التي نفتقر إليها في جهودنا ، فقد يبذل مركز ما عامل في حقل التراث ، جهوداً كبيرة في عمل ما يخدم التراث ، ولا تدري المراكز الأخرى بهذا العمل ، ومن ثم تكرره ، فنفقد الوقت والجهد والمال في أشياء مكرورة !

وثمة شق آخر هام ، وهو الوثائق ، وأنا كمتخصص فيها كثيراً ما هَتَفْتُ بأنها لا تقل أهمية عن المخطوطات ، وعلى هذه المراكز التراثية أن توجه بعض اهتمامها إليها .

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

تحدث د. نبهان عن عمل دليل للمشتغلين بالتراث ، وهذه فكرة كان معهد المخطوطات قد بدأها في نهاية عقد السبعينيات ، فقام بتوزيع استمارة على المعاهد والمراكز والمشتغلين بالتراث ، بهدف تسجيل أسمائهم وتخصصاتهم والأعمال التي كانوا يعملون بها ؛ ولكن الاستجابة آنذاك لم تكن مشجعة ، فلم يتلقَّ المعهد إجابات شافية تسمح بأن يقيم على أساس منها دليلاً .

وأحسب أن معهد التراث العلمي بجامعة حلب كان قد بدأ هو الآخر ،

بمشروع مشابه ، وأصدر كتابًا في عقد السبعينيات ، فيه بعض أسماء المشتغلين في تحقيق التراث العلمي .

الفكرة موجودة إذن ، والقضية هي قضية استجابة الباحثين لهذا العمل ؛ لأنه لا بد أن يكون ثمة وعي وتعاون بين الباحثين والجهة الإدارية التي تتبنى هذه الفكرة وتعمل لتنفيذها .

أما إدماج فهارس المخطوطات في كيان واحد ، فذلك أمر لا سبيل إليه إلا بإنشاء قواعد بيانات على الحاسب الآلي . وفي دار الكتب المصرية ، ضمن مشروع بناء قاعدة بيانات للدار ، كان تفكيري أن نبدأ بإدخال كتاب بروكلمان « تاريخ الأدب العربي » ، على الحاسب الآلي ؛ لأنه يشمل جميع المخطوطات الموجودة في الفهارس التي كانت معروفة حتى ظهور الطبعة الثانية منه .

وفي ما يخص الكتب التي لا توجد في الفهارس ، أي التي أُلِّفت وفُقدت أصولها اليوم ، ولا نعرفها إلا من خلال كتب التراجم ، هذه الكتب أظن أن كتاب فؤاد سزجين « تاريخ التراث العربي » يفيدنا في الوصول إليها ؛ لأنه لم يكتفِ فقط يذكر الكتب الموجودة في الفهارس ، بل أتى على الكتب الموجودة في التراجم ، وفي فهرست النديم .

أما تصوير المخطوطات وإتاحتها للباحثين ، فإن معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت ، قد بدأ بمشروع اختار فيه ٢٥٠ مخطوطة نادرة تحتاج إلى التحقيق ويفتقر إليها البحث العلمي بشدة ، وقام بعمل فهارس لها ، بهدف تيسيرها للباحثين ، ولو أن كل مركز عامل في حقل التراث قام بهذا العمل ، لوفرنا على الباحثين جهدًا كبيرًا .

وفي ما يتعلق بالقيمة المادية للمخطوطة ومحتواها الفكري ، فإن هذا شيء وذلك شيء آخر ، فثمة اهتمام بدراسة القيمة المادية للمخطوطات ، وهناك أيضًا اهتمام بمحتوى هذه المخطوطات الفكري ، وقد يكون لمخطوطة ما قيمة

مادية ؛ وذلك لقدمها أو لنوع ورقها أو حبرها أو مدادها أو ما عليها من خطوط ، أو لاعتبارات أخرى كثيرة، تدخل في باب دراسة الشكل المادي للمخطوطة، غير أن هذه المخطوطة ذات القيمة المادية قد يكون محتواها الفكري غير كبير ، ومن ثم لا تدخل في باب التحقيق ؛ لأن ما يُنشر لا بد أن يكون له دور في الفكر الإسلامي .

ذكر أخي د. عادل سليمان أن مركز «ريتسك» قام بتصوير مخطوطات برنستون ، والحق أن المركز قام ببناء قاعدة بيانات لمخطوطات برنستون ، ولم يصورها .

أما كلام د. مغاوري عن الوثائق ، فإن للوثائق جهة تهتم بها وتدرسها ، والوثائق في العالم كله من مهامٍّ الأرشيف الوطني، وليست من مهام دور الكتب في أي دولة من الدول التي نعرف ، ولا نريد أن نخلط بين عمل الأرشيفات الوطنية ودور الكتب .

■ **د. حمد أحمد عبد الله :**

أعطينا اهتمامًا كبيرًا للمخطوطات ، على مدى سنوات طوال ، وهذا شيء حسن ، ومن الواجب الآن أن نعطي اهتمامًا للوثيقة ، وخاصة ما يتعلق منها بالتاريخ ؛ لأننا نتعامل مع عدو مخاتل ؛ وقد عرض د. مغاوري لهذه الوثائق، ورأى أنها خليقة بالتصوير والاطلاع والدراسة .

إن اليهود يحاولون الآن أن يقحموا وجودهم التاريخي والديني ليس في فلسطين فقط ، بل في عديد من الأقطار العربية .

وثمة مثال أسوقه أدلل به على مكر هؤلاء اليهود ، وهو أنهم بعثوا بعميل لهم إلى العراق ؛ ليشتري لهم أسفار التوراة الموجودة هناك ، في مقابل ملايين من الدولارات ، وهدفهم من ذلك أن يثبتوا أن التوراة كتبت على أرض فلسطين ، على الرغم من أن أحداث التوراة لم تكن على أرض فلسطين !

يريد اليهود أن يثبتوا بالباطل ، أن لهم حقاً تاريخياً ، وهم الآن يجمعون أسفار التوراة ، ويعيدون كتابتها من جديد ، ولديهم مهارة في التزوير عالية ، تجعل الأوراق المزورة تبدو موحية بالقدم . ولم يكتفوا بهذا التزوير في الأوراق بل امتدت أيديهم إلى الحقائق الأثرية يزورونها ؛ وغير خفي ما يقومون به من حفريات وأنفاق تحت الحرم القدسي بحثًا عن آثار لهم مزعومة ، وهم في الحقيقة لا يهدفون إلى ذلك ، وإنما هدفهم أن يخلخلوا أساسات الحرم القدسي والمسجد الأقصى ، إلى جانب وضع موادّ كيميائية تتآكل وتتفاعل مع التربة بمرور الزمن ، وتؤدي في النهاية إلى انهيارات في المسجد الأقصى .

ومن لؤمهم أيضًا أنهم يأخذون حجارة من تحت أساسات الحرم القدسي ، يرسلونها إلى ألمانيا ، ويُجرون عليها اختبارات كيميائية ؛ حتى توحي بالقدم، وبعد ذلك يعيدونها إلى مكانها تحت الحرم ، وفي قابل الأيام يقومون باستخراجها .

إن العناية بالوثائق ، خصوصًا ما يتعلق منها بالأرض أمر حتمي ، وحبذا لو أعطى معهد المخطوطات أهمية لهذه الوثائق ، وقام بتصويرها، وهو أضعف الإيمان، في ما أرى .

كما أنبه كل مركز أو مؤسسة لها في حقل التراث يد ، وتمتلك أسفاراً من التوراة ، ألا تظهرها للتصوير ؛ لأن ثمة خطة يهودية - كما أشرت آنفًا - لتزوير أحداث أسفار التوراة بما يتوافق وتوجهاتهم !!

■ **د. عادل سليمان جمال :**

أحب أن أنوه باقتراح د. نبهان إنشاء معاهد دائمة وبرامج دراسية في الجامعات والمؤسسات التراثية ، وذلك لتدريس مناهج تحقيق التراث ، مع ما تحتاج إليه من علوم مساعدة، وقد بدأ مركز تحقيق التراث في دار الكتب المصرية في تنفيذ هذا الاقتراح منذ وقت طويل .

لكن أشد ما يزعجني الآن هو أن جامعة القاهرة بدأت ترفض تحقيق النصوص كجزء من رسالة الماجستير أو الدكتوراه ، وفي هذا الأمر فساد كبير ، ويعارض كل ما نسعى إليه من إيجاد جيل يستطيع تحقيق التراث ؛ ولا بأس من توصية نتخذها تكون نداء عاجلاً إلى جامعة القاهرة وغيرها لإعادة النظر في هذا الأمر !

■ **د. فيصل الحفيان :**

ذكر د. عادل سليمان ، أن جامعة القاهرة صارت ترفض تحقيق النصوص كجزء من رسائل الماجستير أو الدكتوراه ، وأوصى بأن تكون إحدى التوصيات نداءً نوجهه إلى جامعة القاهرة ، لتعيد النظر في هذا الرفض .

والحق أن جامعة القاهرة ليست الوحيدة التي تفعل ذلك ، فجامعة الأزهر التي يُفترض أنها أكثر الجامعات عناية بالتراث ، باتت هي الأخرى لا تعترف بتحقيق النصوص كجزء من الرسائل العلمية ، وربما باقي الجامعات العربية ترى هذا الرأي . فهي قضية عامة على مستوى الجامعات كلها ، وليس داخل مصر فقط !

وفي ما يتعلق ببحثَي كل من الأستاذ الشيباني ، ود. كمال نبهان ، فإن القارئ أو المستمع لكلا البحثين لا يسعه إلا أن يلحظ مدى الإخلاص الذي يبدو بنبرة عالية في بحث الأستاذ الشيباني ، والاستشراف المبالغ فيه للمستقبل في بحث د. نبهان ، غير أني لا أريد أن نتوه بين الإخلاص والاستشراف المبالغ فيه للمستقبل ؛ فثمة أشياء محددة تستهدفها هذه الجلسة ، ولكن الحديث طوّف بنا في آفاق لم نكن نرغب في ارتيادها ، ولعل الذي مكّن من هذا التطواف عنوان الجلسة ، فربما كان علينا أن نختار عنوانًا أكثر دقة وتعبيراً .

إن المقصود من هذه الجلسة هو أن نضع برامج واضحة الملامح لمشروعات ثنائية أو متعددة الأطراف ، تشترك فيها مراكز التراث الخاصة أو المراكز

الحكومية مع معهد المخطوطات ، وبذلك تكون الفائدة أكبر ، وعلى أية حال فإن ما قُدم في هذه الجلسة يصلح أن يكون أرضية لندوة أو لجلسة أخرى تتحدد فيها الأشياء بصورة أكثر دقة .

■ **أسامة ناصر النقشبندي :**

ما ذكره د. حمد حول أسفار التوراة الموجودة بالعراق أمر صحيح، فثمة مهربون عملوا على تهريب هذه الأسفار من العراق إلى إسرائيل. بل إن ثمة أسفارًا من التوراة هُرِّبت إلى تركيا، دُفع في أحدها ٣ ملايين من الدولارات، دفعتها إسرائيل بالطبع!

لا يتجاوز عمر هذه الأسفار ١٥٠ عامًا، وفيها من النقول ما يخدم الحركة الصهيونية، وقد نبهنا على ذلك، وتابعنا كل المخطوطات العبرية، بما فيها أسفار التوراة الموجودة في الأديرة والمعابد بالعراق، من أجل الحفاظ عليها وتسجيلها أو شرائها وجمعها، واستطعنا أن نجمع ما يقرب من نحو ٦٠٠ سفر.

■ **د. مراد الرماح :**

إن المجهودات التي تبذلها المراكز الخاصة العاملة في حقل التراث العربي من أجل تصوير المخطوطات وفهرستها، مجهودات غير كافية إذا ما قورنت بما تصنعه الأمم الأخرى في العناية بمخطوطاتها.

وحقاً تبذل مؤسسة الفرقان مجهوداً جباراً في سبيل جمع المخطوطات وفهرستها، إلا أن ما يبذل لإنقاذها غير كافٍ، وبسبب ذلك تتناقص أعداد المخطوطات يومًا بعد يوم. وكان الأستاذ دحيدٌ ولد القاسم، قد ذكر أن في إحدى المدن الموريتانية سبعة آلاف مخطوطة، بعثت مؤسسة الفرقان بمبعوثين تولوا فهرستها. وكنتُ قد زرت موريتانيا في ما مضى من أيامي، ورأيتُ كيف

أن هذه المخطوطات تقبع في ظروف بالغة القساوة، وإذا لم نسارع إلى إنقاذها، فستصبح أثراً بعد عين !

ومثل موريتانيا بلدان كثيرة من وطننا العربي، تحتاج المخطوطات فيها إلى الإنقاذ، ولا يكفي أن نقوم بعمل دورة هنا أو دورة هناك للترميم أو للفهرسة، بل لابد من مساهمة فعلية كإقامة قاعات أو خزائن خاصة مكيفة تحفظ فيها هذه المخطوطات قبل أن تقع الواقعة !

■ **د. عبد الله محارب:**

ما ورد في بحث د. نبهان من اقتراح إنشاء بنك للمعلومات حول المخطوطات اقتراح أراه جيداً، وسيكون خطوة على طريق بناء قاعدة مركزية لمعرفة عناوين المخطوطات الموجودة في مراكز المخطوطات في كل أنحاء الوطن العربي.

***



الجلسة الخامسة

إشـاعــة الثقافـة التراثيــة



نظرات حول إشاعة الثقافة التراثية

د. عدنان درويش

■ د. عبد الله يوسف الغنيم (رئيس الجلسة):

هذه هي الجلسة الخامسة من أعمال هذا الاجتماع، وموضوعها الذي تدور حوله هو «إشاعة الثقافة التراثية»، وهو موضوع هام جداً، ويتوافق مع ما نرجوه لتراثنا من شيوع، خصوصًا في أوساط الشباب الذي لا يكاد يعرف شيئًا عن تراثه.

يتحدث في هذه الجلسة متحدثان هما د. عدنان درويش ويلقي بحثًا بعنوان «نظرات حول إشاعة الثقافة التراثية». أما المتحدث الثاني فهو د. يوسف زيدان، ويلقي بحثًا بعنوان «الانتقال بالتراث من النص إلى الخطاب».

* * *

من معاد القول ومكروره أن التراث الحضاري بعامة، والتراث المدون منه بخاصة هو هوية الأمة التي صنعته وذاكرتها؛ وكل تهاون أو تقصير أو عبث في معالم هذه الهوية وملامحها اغتيال وتشويه لحضارة الأمة صانعة هذه الهوية، وبالتالي إفساد للذاكرة الحضارية التي تحيا بها الأجيال الوارثة جيلاً بعد جيل، وتتخذ منها نبراسها وهداها في مرتكزات تطورها وتقدمها.

وما المحصول المعرفي الزخار الذي ورثناه من النصوص المدونة بالعربية إلا صُوى وأعلام نتهدّى بها إلى الوقوف على أطر حركات العمران الإنساني والأفانين الحياتية التي نبتت فيها معطيات حضارية غاية في الغنى والجلالة، تضع بين أيدينا معالم البناء الحضاري لأمتنا صانعة هذه الحضارة خلال تاريخنا الطويل وفي جميع أحوالها: صعدًا في الازدهار، أو توقفًا واقتصارًا على الاجترار، أو تقهقرًا أملته ظروف قاهرة ينبغي إزالتها.

هذه النصوص المدونة بالعربية، كتبًا كانت أو رسائل أو وثائق، ينبغي الحرص الشديد على التمسك بها حفظًا وصيانة، ثم إخراجها إلى الناس الوارثين متسمة بصدق الأصالة وصراحة النسب ووثوق الانتماء، ليتحقق الانتفاع بها وهي بريئة من الزيف، خالصة من عبث الأهواء.

وتأسيسًا على هذه الأهمية البالغة للتراث المعرفي المكتوب بالعربية تنهض ضرورة مدّ أسباب تواصله مع الأجيال الوارثة التي تنتمي إلى النسيج الحضاري الذي صنع الأسلاف سداه ولحمته.

ويبدو لي بادئ ذي بدء أن مد أسباب التواصل هذا إنما يستقيم في وجهين:

أولهما: أن يؤخذ في الحسبان أن يصيب من هذا التراث كل فرد في الأمة، المحقق المدقق، والباحث المتتبع المنقر، والقارئ المثقف المتميز، والقارئ العادي، ومن كل الأعمار شبابًا ويافعين وأطفالاً.

ثانيهما: ألا يُغفل أن ذلكم التراث - وهو الوجه الحضاري لأمتنا - هو مظنة طمع فئات كثيرة من علماء وباحثين ينتمون إلى أمم أخرى، يبتغون قص أفانين ما قدمته هذه الأمة في المضمار الحضاري ليتناولوها من ثم بالدرس والبحث لغايات، ربما تكون خالصة لوجه العلم أو مسخرة لغايات أخرى قد تفيد أممهم منها. وهذا ما يملي حين السعي في سبيل إشاعة الثقافة التراثية أن يمعن النظر في طبائع الأطر والأوساط التي تبث فيها هذه الثقافة. ومن البدهي أنها أوساط شتى ليست متجانسة في مستوياتها المعرفية أو متشابهة في درجاتها الثقافية.

ولهذا فإني أميل إلى تصور تصنيف تقريبي لهذه الأوساط وتلك الأطر، وأحدس أنها في تنوعها واختلالها تكاد تنحصر في فئات أربع:

أولاها : فئة عُني أفرادها بإحياء التراث ونذروا أنفسهم لتحقيقه ونشره ودراسته، وأخلصوا في ذلك إخلاص المتصوفين.

ثانيتها : فئة من العلماء والباحثين يبتغون توظيف التراث المحقق المنشور في إنشاء دراسات وأبحاث يتقرَّونَ فيها معالم هذا التراث ليتخذ منه الأسس والعبر والحوافز لتكوين بنية حضارية متطورة ثابتة الأصل راسخة المرتكزات.

ثالثتها : فئة الناشئة من طلاب وتلامذة، ويتطلع أفرادها إلى تلمس جوانب من ظواهر حركة تاريخ السلف الحضاري بما تضمنه من شؤون السياسة والعمران والعلم والأدب والثقافة والفن ونحو ذلك يشدون أنباذًا منها يدفعهم إحساسهم العفوي بانتمائهم إلى أصحاب هذا التاريخ.

رابعتها : فئة عُني أفرادها بشؤون دنياهم - صناع، تجار، حرفيون. . . إلخ - ويحسون إحساسًا عفوياً بانتمائهم إلى سلف صنع حضارة، ويرنون إلى معرفة أنباذ منها قد يفيدون منها في معايشهم، أو يتهدون إلى الأقوم أخلاقًا وسلوكًا وتعاملاً، أو يتخذون منها ما يتباهون به ويفخرون بأنهم - على الأقل - أحفاد أمة ذات حضارة.

ونحن إزاء هذا التصور لذلك التصنيف التقريبي نرى أن إشاعة الثقافة التراثية في هذه الأوساط تقتضي أن يعد لكل فئة أو وسط من هذه الأوساط الأربعة ما يستقيم لها فيه بلوغ الغاية مما تتطلع إليه وتعمل في سبيله، وأن مهمة العاملين على إشاعة الثقافة التراثية في تلبية حاجات الفئات الأربع إنما تتحقق في خمسة وجوه:

أولها : العناية بإصدار الفهارس الوصفية (الببليوجرافيا) تستوفي ما تشتمل عليه المكتبات العامة والخاصة من أوعية المعارف المكتوبة بالعربية، على أن يشرع فيها بإصدار الفهارس الوصفية الوطنية (الببليوجرافيا الوطنية).

ثانيها : القيام بعملية اصطفائية يتوخى منها تقديم ما ينبغي نشره من موروثاتنا المعرفية وإرجاء ما يرى إرجاؤه.

ثالثها : تحقيق ما اصطفي من التراث واختير، وإخراجه إلى الناس منشوراً مخدومًا، والاتساع في ذلك جهد الطاقة.

رابعها : الاهتمام بإصدار سلاسل من الكتيبات يحمل كل منها اختيارات من التراث، والاتساع في طبعها وتوزيعها على أوسع نطاق.

خامسها : الاهتمام البالغ بالإعلام بوسائله المكتوبة والمسموعة والمرئية.

ونرى أن السبيل إلى تحقيق الوجوه الخمسة إنما يتم وفق تصور الطرائق التالية:

الوجه الأول: وهو فن إصدار الفهارس الوصفية الوطنية (الببليوجرفيا)، فيتُوجه به إلى الأخصائيين المعنيين بشؤون تحقيق التراث المكتوب بالعربية ونشره، عربًا ومستعربين، للتهدّي بهذه الفهارس إلى ما يرون في نشره فائدة في إجلاء الوجوه المعرفية الموروثة في حضارة الشعوب العربية والإسلامية.

وفن الفهرسة الوصفية - كما هو معروف حقل من حقول (علم الكتاب) تدرس فيه أوعية المعارف الإنسانية، ولنسمها اختصاراً (المكتوبات) ويصفها ويرتبها وفق قواعد مخصوصة، ويُتَغَيَّى من ذلك أهداف علمية وعملية، فالفهرسة الوصفية بذلك تعنى بإحصاء المكتوبات وتصنيفها ووصفها.

وثمة حد آخر يقول: ثَبَت بأسماء الكتب المحصية، يستقيم إعداده وفق قواعد محددة معلومة، وله وظيفة إعلامية محددة.

وآخر يذهب إلى أنها: مهارة إحصاء الكتب ووصفها ومعرفة أسمائها وموضوعاتها وإعداد أثبات لها.

هذه المذاهب وإن بدت مختلفة في الصيغة والأداء فإنها اتفقت في الغاية

والهـدف، وهو إيعاب المكتـوبات التي هي وسـائل تأدية النشاط الإنسـاني في الأعمال المعـرفية ، وبيان منازل مـبدعيهـا وواضعيهـا ، ثم تصنيفها ووصـفها للإفادة منها في اسـتكمال أسباب التدرج في التطور المعرفي لأجـيال الأمة التي أبدع أبناؤها تلك المعارف.

والببليوجرافـيا بهذا المعنى ليست اختصاصاً مـساعداً للعلوم الأخرى بل هي علم قائم برأسه ، وحـقل معرفي متكامل له مسائله ومـشكلاته العلمية ، وله تاريخه المتطور ، ومنهجه المرسوم وأهدافه العلمية الخاصة به.

ولما كانـت المكتوبات أهم أوعـية حفظ الأعـمال المعـرفيـة وأيسرها انتـقالاً وأوسعها انتشـاراً وشيوعاً فقد اتخذ العلماء منهـا أصلاً لاصطلاح جعلوه عَلَماً على هذا الفن، وهو كلمة الببليوجرافيا. وأصل هذا الاسم كلمتان إغريقيتان:

أولاهما: بيبلوس biblos ومعناها كتاب.

ثانيتهما: جرافين graphien، وتعني الرسم أو فن الكتابة أو النقش أو نحو ذلك.

فصاغ العلماء اللاتـين من هاتين الكلمتين تركيباً مزجـياً ابتغوا منه بادئ ذي بدء أن يكون علماً على من يتولى نساخة الكتب أو صناعتها.

وجـرى علماء هذا الفن على هذا المصـطلح بدلالته هذه حـتى نهاية القـرن الثالث للمـيلاد، ثم توسعـوا في دلالته ليكون أكثـر مطاوعة في الاستعـمال، فشملت الدلالة بذلك العالِمَ بالكتب وأسمائها ووصفها وموضوعاتها.

ثم ينمو فـن الكتابة والكتاب ويتـطور وتتعدد مـذاهبه بتنوع شـعب المعارف المدونة المكتوبة، فـاكتسبت كلمة البـبليوجرافيا دلالة جـديدة بنيت على أصول دلالتها القديمة، وذلك حين جاء العالم المكتـبي والببليوجرافي الفرنسي جابرييل نوده Gabriel Naudi في القـرن الثامن عشـر فجـعل الكلمة عَلَمـاً على ثبت الكتب في كـتابه Bibliographics Politics فنسخ بذلك المـصطلح الذي كـان

يتخذ قبله لتسمية هذا النوع من الأعمال Bibliotheca للدلالة على الثبت أو القائمة التي فيها كتب موصوفة ، مثال ذلك كتاب كونراد جسنر Bibiotheca Universales المطبوع فى زوريخ بين عامي ١٥٤٥ - ١٥٥٥ وبذلك استقام لهذا الفن عنوان البيليوجرافيا الذي ما يزال علما عليه حتى الآن ، رغم ما طرأ عليه من تقدم وتطور ودقة في وسائله وتقنياته ورؤية أكثر وضوحاً لوظائفه وغاياته.

البيليوجرافيا عند المسلمين:

ومنذ نحو مئة وألف عام عرف العلماء النابتون في مغاني الحضارة الإسلامية العربية المزهرة أهمية الكتاب وعاءً لاحتواء المعارف الإنسانية، ووسيلة لنقلها بين الناس والأجيال، وأدركوا قيمته وجلالة فائدته، فرأوا أنه لابد من ابتداع الوسيلة التي تيسر للناس معرفته وتداوله والانتفاع به، فقامت ظاهرة التأليف المكتبى الببليوجرافي عندهم، وفي أوائل القرن الرابع للهجرة تنبه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩هـ = ٩٥٠م أكبر فلاسفة المسلمين والمعروف بالمعلم الثاني، تنبه إلى حاجة شداة العلم إلى معرفة العلوم فروعها وأغراضها فبادر إلى وضع كتابه الصغير الجرم والحجم العظيم القيمة والنفع (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) ويعد هذا الكتاب مفتاحاً مهماً لمداخل فن الببليوجرافيا.

عرفت الأوساط العلمية في عصر الفارابي قيمة هذا العمل وفائدته فنهد أبو عبد الله الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف المتوفى عام ٣٨٧هـ = ٩٩٧م إلى أن ينسج على منوال الفارابي ووضع كتابه الحفيل (مفاتيح العلوم) الذي يعد من أقدم ما صنفه المسلمون على الطريقة الموسوعية، وهو أيضًا من أهم مداخل علم الببليوجرافيا.

وفي أواخر القرن الرابع للهجرة وريِّق القرن الخامس منها، منذ لواذ ألف عام، تستقيم قواعد فن الببليوجرافي عند العرب وتستكمل أسبابه، ويطلع علينا

الوراق النديم محمد بن إسحاق البغدادي المتوفى سنة ٤٣٨هـ = ١٠٤٧م على أرجح الأقوال بكتابه (فهرس العلوم) أول كتاب - على ما نعلم - من كتب الأمم الموجود منها بالعربية في أصناف العلوم وأخبار المصنفين فيها، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتواريخ مواليدهم ومبالغ أعمارهم وأوقات وفياتهم وأماكن بلدانهم وأسامي ما وضعوه من كتب منذ ابتداء كل علم اخترع إلى حين وضع المؤلف كتابه في شبابه سنة ٣٧٧ للهجرة ثم نقحه وزاد عليه في سنة ٤١٢ للهجرة على الأرجح، ووسم النديم كتابه هذا بفهرس العلوم قال فيه: «هذا فهرس كتب العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود متنها بلغة العرب وقلمها وأخبار مصنفيها» وهذا العنوان الذي اختاره لكتابه يحمل مضمون الكتاب ويفي بالمصطلح الفني للببليوجرافيا الذي اعتمده فيما بعد علماؤها في الغرب، قال ابن منظور في لسان العرب: «الفهرس: الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، قال الأزهري: وليس بعربي محض ولكنه معرب» وتابعه على ذلك الفيروزآبادي في قاموسه فقال: «الفهرس بالكسر الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، معرب فهرست»، وجاء في هامش كشف الظنون: ١٣٠٣/٢: «وفي التهذيب الفهرس هو الكتاب الذي يجمع فيه أسامي الكتب. وفي بحر الغرائب: هو القانون والضابطة الإجمالية التي تكتب في أوائل الكتب حتى يُعْلَمَ فيها أنها كم بابًا ، وقد يطلق على أول الكتاب. وفي ديوان الأدب: الفِهرس مِقْسَم الماء على وزن فِعلِل يونانية فعربوه واستعملوه في مجمع الأبواب، والتاء فيه غلط فاحش «انتهى كلام محشّي الكشف».

ولعل هذه التسمية التي سبق إليها واختارها النديم أو ابن النديم ثم جرى على سنن محتواها علماء الغرب تجعلنا نطمئن حين نعرب كلمة الببليوجرافيا بالفهرس، وإذا أردنا توخي الدقة في نقل دلالة هذا المصطلح إلى العربية يمكننا أن نضيف كلمة (الوصفية) إلى الفهرسة، فيصبح عنوان هذا العلم بالعربية (الفهرسة الوصفية).

أخذ هذا الفن يتطور عند المسلمين اتساعًا وإحاطة بدقائق مضمونه، ونهد عدد من العلماء المسلمين إلى التأليف فيه، وأخرجوا إلى الناس فهارس حفيلة، نذكر من هؤلاء العلماء الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسن، المتوفى سنة ٦٠٦هـ / ١٢١٠م ، الذي وضع كتابه (حدائق الأنوار في حقائق الأسرار) أورد فيه موضوعات/ ٦٠/ ستين علمًا وألفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمي.

وتلاه القطب الشيرازي محمود بن مسعود، المتوفى ٧١٠هـ / ١٣١١م، وصنف كتابه (درة التاج لغرة الدبّاج).

وبعده ابن ساعد أو صاعد الأكفاني شمس الدين محمد بن إبراهيم السنجاري، المتوفى ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م، ألف كتابه (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد)، جمع فيه وصفًا لـ ٦٠/ ستين علمًا، وهذا الكتاب الجامع - على صغر حجمه - يُعد مأخذ طاشكبري زاده وعمدته في كتابه (مفتاح السعادة ومصباح السيادة).

وتلاه البسطامي عبد الرحمن بن محمد الحنفي، المتوفى ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م، وصنف كتابه (درة فنون الكُتَّاب وقرة عيون الحُسَّاب) في موضوعات العلوم.

ثم بعده لطف الله أو ملا لطفي بن حسن التوقاتي، المقتول سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م، وألف كتابه (المطالب الإلهية) الذي خدم به خزانة بايزيد الثاني العثماني، واستوفى في كتابه هذا ذكر نحوٍ من/ ١٠٠/ مئة علم.

ووضع الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، المتوفى ٩١١هـ / ١٥٠٥م كتابه (نقاية العلوم ومسائلها) ثم وضع عليه شرحًا وسمه بـ (إتمام الدراية في شرح النقاية)، واهتم بالنقاية بعض ذوي الفضل فنظموه وزادوا عليه، قال صاحب الكشف: ٢/ ١٩٧٠: «النقاية: مختصر في أربعة عشر علمًا مع زبدة مسائلها. . . ثم شرحه وسماه (إتمام الدراية) فرغ من تأليفه

سنة ٨٧٣هـ ثلاث وسبعين وثمان مئة. وقد نظم الشيخ عبد الرؤوف الزمزمي المكي، المتوفى ٩٦٣ هـ ثلاث وستين وتسع مئة فن التفسير في بحر الرجز، وعلى النظم شرح للمنصور سبط الطبلاوي سماه (منهج التيسير إلى علم التفسير)... أتمه في شوال سنة ٩٨٩ هـ تسع وثمانين وتسع مئة، ونظمه شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي المصري، المتوفى ٩٩٠ هـ تسعين وتسعمئة، وزاد أربعة علوم فصار ثمانية عشر علمًا... سماه (روضة الفهوم بنظم نقاية العلوم) ثم شرحه متتبعًا لشرح الأصل وسماه (فتح الحي القيوم بشرح روضة الفهوم)، وزياداتُه هي: «الحساب، والعروض، والقوافي، والمنطق، في ألف وخمس مئة بيت تقريبًا، وقد فرغ من بياض الشرح سنة ٩٨٢ هـ اثنتين وثمانين وتسع مئة». انتهى كلام صاحب الكشف.

وفي القرن العاشر للهجرة صنف طاشكبري زاده عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل، المتوفى ٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م كتابه الزاخر الحافل (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) ذلك الكتاب الذي جهد مؤلفه بحسن تنظيمه وسعة شموله، فأصبح من أعظم كتب الفهرسة الوصفية (الببليوجرافيا) عند المسلمين حين استوفى العصام فيه إحصاء العلوم، وتعدادها، وترتيبها أحسن استيفاء، وذكر في كل علم مشهور كتبه وأئمة المؤلفين فيه، مع الدقة الفائقة والترتيب المنطقي الجميل والإحصاء الوافي الصحيح، فغدا هذا الكتاب مظنة هذا الفن للباحثين والعلماء.

وجاء الشرواني محمد أمين بن صدر الدين، المتوفى سنة ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م وصنف كتابه (الفوائد الخاقانية الأحمدخانية)، واشتمل هذا الكتاب على وصف لـ /٥٣/ ثلاثة وخمسين علمًا.

وفي القرن الحادي عشر للهجرة أيضًا وضع حاجي خليفة مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي، المتوفى ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م كتابه الشهير الذي أصبح

في ما بعد عدة الباحثين وعمدة المؤلفين، وهو (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، حاول فيه حاجي خليفة أن يوعب فيه ما قبله فاستقصى أسماء كل ما أُلف عند الأمم الإسلامية من كتب ما وسعه إلى ذلك سبيلاً ثم رتب أساميها على حروف المعجم، فجاء أغنى كتب الفهرسة حفولاً إلى زمنه وأكثرها فائدة ويسراً لتهدي الباحث إلى طلبته.

اهتم بهذا الكتاب العظيم كثير ممن عاصر حاجي خليفة أو جاء بعده من العلماء المهتمين بهذا الفن فوضعوا ذيولاً عليه، من هؤلاء العلماء:

محمد عزتي أفندي المعروف بو شنه زاده، المتوفى ١٠٩٢ هـ / ١٦٨٦م.

والشيخ إبراهيم أفندي، المتوفى ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م.

وأحمد طاهر بن إبراهيم بن مصطفى القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بحنيف زاده، المتوفى ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م.

وأحمد عارف حكمة بن إبراهيم بن عصمت، المتوفى ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨م.

وتلاه البابان البغدادي إسماعيل بن محمد أمين، المتوفى ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠م، ووضع عليه الذيل الوافي الذي أسماه (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون).

وممن ذيل عليه أيضًا الشيخ إسماعيل صائب سنجر الذي كان حياً سنة ١٣٦٠هـ. وفي القرن الثاني عشر للهجرة نجد كتابين أحدهما موسوعي ضخم مهم وهو (كشاف اصطلاحات الفنون) الذي ألفه التهانوي محمد بن علي الهندي، المتوفى بعد سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م.

وكتاب آخر في معنى كشف الظنون في الفهرسة وهو(خلاصة تحقيق الظنون في أسماء الشروح والمتون) وضعه كمال الدين أبو الفتوح محمد بن مصطفى البكري الدمشقي المتوفى ١١٩٦ هـ / ١٧٨٢ م.

وتلاه محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي، المتوفى ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠ م ، ألف كتابه (أبجد العلوم)، وهو من أجلِّ الكتب في هذا المعنى.

ووضع الباباني البغدادي الذي ذيل على (كشف الظنون) كتابًا آخر في هذا الصدد أفرده للمؤلفين وأسماء مؤلفاتهم عنوانه (هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين).

وفي النصف الأول من القرن العشرين للميلاد هذا الذي نعيش فيه وضعت كتب أخرى رُدافَى لما سبق أهمها (تاريخ آداب اللغة العربية) لكارل بروكلمان الألماني و(تاريخ آداب العربية) لجورجي زيدان، ومعجم (المطبوعات) ليوسف إليان سركيس. ثم يتلو هذه الكتب فهرس أكثر من سابقيه حفولاً وقيمة هو الذي وضعه صديقنا العلامة فؤاد سزكين - متعنا الله بحياته - وأسماه بـ (تاريخ التراث العربي).

هذه الكتب التي ذكرناها وأمثالها - وهي التي تعد أهم المظان للوقوف على ذخائر المكتبة العربية - كثير منها غلب عليه سمة التأليف الموسوعي، وقليل منها ما كان خالصًا لفن الفهرسة الوصفية (الببليوجرافيا) العربية كفهرس النديم و(مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاشكبري زاده، و(كشف الظنون) لحاجي خليفة وذيوله.

واختلفت طرائق مؤلفي كتب الفهارس هذه ومناهجها في التأليف، فمنهم من اتخذ سبيله التصنيف على الفنون، ومنهم من انتهج نهج ترتيب أسامي الكتب على حروف المعجم، وآخرون اعتمدوا طريقة التأليف على أسماء المؤلفين مركبة على الحروف ثم ذكر مصنفاتهم دون وصف على الحروف أيضًا. إلا أن أحدًا منهم لم يلتفت إلى انتساب الكتاب العربي إلى إقليم أو انتمائه إلى قوم، ولم يدُرْ بخلدهم هذا المعنى، فقد كانوا يعيشون في سرادق حضارة

واحدة امتد فاكتنف شعوبًا وقبائل تعارفوا وبنوا حضارة إسلامية محكمة النسيج متناغمة الألوان، فإن كان للمصنَّف المكتوب بالعربية من نسب فإنما نسبه وانتماؤه إلى شعبة معرفية من منجزات الحضارة الإسلامية مكتوبة باللغة العربية. وبذلك صَفِرت رفاف المكتبة العربية الموروثة من كتب فن الفهرسة الوصفية (الببليوجرافيا) الوطنية. حتى كان العصر الحديث نهدت محاولات نافعة في بعض الأقطار الإسلامية إلى وضع الفهارس الوصفية الوطنية، رأينا منها كتاب (النبوغ المغربي) و(الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية) و(حركة التأليف بالعربية في الإقليم الشمالي للهند) للدكتور جميل أحمد، و(التراث اليمني في المتحف البريطاني) لصديقنا الأستاذ الفاضل الدكتور حسين العمري، و (الحركة الفكرية العربية في سمرقند). إلا أن هذه المحاولات على قيمتها وأهميتها وفائدتها لاتزال قاصرة عن إدراك إيفاء الفهرسة الوصفية الوطنية مستلزماتها من الإحاطة بمكتوبات الشعَب المعرفية في المنجزات الإبداعية للحضارة الإسلامية، ولانزال مفتقرين إلى إغناء المكتبة العربية بهذا الفن الضروري للباحثين والعلماء؛ إذ إن للفهرسة الوصفية الوطنية أهميتها البالغة في هذا الصدد، فأصبحت لذلك علمًا قائمًا برأسه له مقوماته وموضوعه ومنهجه وغرضه ووظيفته وفائدته.

وقد أرسى علماء هذا الفن للفهرسة الوصفية الوطنية ثلاث ركائز ومقومات:

أولاها: المكان: وهو الرقعة الجغرافية التي قامت عليها الأفانين المدونة لحضارة القوم الذين يعيشون على هذه الرقعة.

ثانيتها: المبدع: وهو الأمة التي نبغ فيها من شارك في صنع حضارتها من أبنائها.

ثالثتها: اللغة واللهجات التي دونت بها تلك المنجزات المكتوبة من حضارة القوم.

هذه المقومات الثلاثة التي ترتكز عليها الفهرسة الوصفية الوطنية تقدم - إلى جانب الضروب المعرفية المشتركة بين الشعوب - خصوصية الحضارة المحلية التي قامت في هذه الرقعة الجغرافية أو تلك، ووضعها هؤلاء القوم أو غيرهم، وندت إلى لغتها التي كتبت بها مفردات محلية ذات خصوصية بيانية دقيقة تغني الألوان المعرفية التي نشأت عند هؤلاء القوم.

وهناك عامل شكلي في الفهرسة الوصفية الوطنية هو: (المدى الزمني) الذي توفيه أو تغطيه الفهرسة الوصفية الوطنية: هل هذا المدى مغلق مقتصر على فترة زمنية محدودة، أو هو مفتوح جار مستمر؟ وتقسم بذلك الفهرسة الوصفية الوطنية بموجب هذا العامل إلى قسمين: الفهرسة الوصفية الوطنية الراجعة، والفهرسة الوصفية الوطنية الجارية.

أما الفهرسة الوصفية الوطنية الراجعة فهي التي تحصي وتصف مكتوبات أمة من الأمم منذ أن أخذ إنسانها يرقم على الطين أو ينقش في الحجر، أو يكتب على الأقتاب، واللخاف، والسعف، والجلود ثم البردي والرق والكاغد، وهكذا انحداراً حتى رأس مئة سنة، وهذه المئة سنة هي الزمن الذي حددته واصطلحت عليه نخبة من علماء التراث العربي في حلقتهم التي عقدت في بغداد لحماية المخطوطات عام ١٩٧٥ حين حددوا معالم هوية الكتاب التراثي.

وبذلك تورثنا تلك الوسائل من رقم ومخربشات (جرافي) ولخاف وبردي ورَقّ ونحوها معارف الإنسان من تشريعات وأخبار وأدب وشعر وعلم وفن وغيرها منذ أن عرف كيف يسجلها إلى ذلك التاريخ المحدد.

وأما الفهرسة الوصفية الوطنية الجارية، فهي التي تحصي وتصف مكتوبات أمة في فترة معاصرة محددة مصطلح على طولها، وقد اجتمعت كلمة علماء هذا الفن على أن تحدد بمضي مئة سنة على ساعة الشروع بكتب الفهرسة الوصفية مع إمكانية استمرار صدور هذه الفهرسة بآتي الزمن في خطة منهجية ترسم لها.

تأسيسًا علـى ما تقدم تُعد الفهرسة الوصـفية الوطنية أهم القوائم الفـهرسية الوصفـية (الببليوجـرافية) على الإطلاق، لأنهـا تحتوي على الإنتاج الحـضاري المكتوب من مـعارف أهل البلد الذي تصدر فـيه، وتقوم بتـوثيق الإنتاج الأدبي والعلمي له. وهي المصـدر الأساسـي الذي لا يقوم مـقامـه شيء لتقـويم هذا الإنتاج ، وتشتق منها فهرسات وصفية أخرى على الصعيدين المحلي والدولي، وهي أساس لتطور الدراسات بمختلف أنواعها.

ومن ناحية أخرى فـإن أهم سمة للفهرسة الوصفيـة الوطنية هي نزوعها إلى الكمال والدقـة والمتابعة في وصف المخطوطات والمطبـوعات للمعـارف المكتوبة بأشكالها كافة ، فهي تصف أنواع المكتوبات على اختلافها وتباين ما تحتويه من موضـوعات المعرفـة ، ولا تدع شيئًـا من المكتوبات والمرسـومات المعرفـية من مجـلات ، وخرائط ورقم (نوتات) موسـيقـية ومخـربشات (جرافـيك) ونحو ذلك، نجد ذلك كله في فـهرسة وصـفية وطنية واحـدة غير مـتناثرة الأجزاء، وذلك كما صنع في إيطالـيا وسويسرا ، أو نجدها في مـلاحق خاصة تضم إلى الفهـرسة الوصفـية الوطنيـة التي تصف المكتوبات كـما في فرنسـا، أو تصدر فهرسات وصفية خاصـة لكل شكل من أشكال المطبوعات ، فللدوريات فهرسة وصفـية وطنية خـاصة بها ، وللخـرائط فهرسـة وصفيـة وطنية خاصـة بها ، وللكتب كذلك، هذا لمن يريد أن يعـدد في أشكال إصدار الفهرسات الوصـفية كما كان الوضع في الاتحاد السوفيتي.

إن ظهور الفهرسات الوصفية الوطنيـة يعود إلى القرن التاسع عشر للميلاد، وقد أصابت هذه الفـهرسات في هذا القرن وبعـده حظاً وافرًا من الازدهار كان ذلك بسبب أن القرن التاسع عـشر شهد ظهور القوميات وقـيام الدول القومية، ونمو حركة الصناعـة وتضخم الإنتاج المطبوع ، ونزوع شعـوب أوربا إلى إحياء تراثها، فظهـرت الفهرسات الوصـفية الوطنية الراجـعة لأكثر شـعوب أوربا ، وكـانت على الأغلب من صنع أفـراد حرصـوا على وصف ما نشـر من تراث

أمتـهم فسـجلوه وصنفوه ووثقوه. ونجـد من ذلك أمثلة كـثيرة منهـا الفهـرسة الوصفيـة البولونية وأختها الفـرنسية التي استمر إصـدارها من عام ١٨٦٧ حتى عام ١٩٤٥، وهي التي أسسها العالم الفرنسي أوتو لورنز Otto Lorens وتعرف باسمه:

Cataloge générale de la librairié

Francé . T. 1. 34 . Paris : 1867 - 1945.

ونحو ذلك.

وتأسيًا بهذه الإنجازات العلميـة النافعة، فإننا نطمع في أن ينهد كل قطر من الأقطار التي تتفيأ ظلال الحضارة الإسلامية، وتتخذ من العربية لغة لما تورثه من أفانين المعارف الإنسانية، أن ينهد إلى صنع الفهرس الوصفي الخاص به فيحقق بذلك أمرين:

أولهما: بناؤه ركنًا من صرح الفهرسة الوصفية الإسلامية الموحدة.

وثانيهما: إحكامه النسـيج الحضاري الإسـلامي بإبرازه ألوانه المتناغمة أكـثر وضوحًا وبيـانًا، حيث يسجل في فهرسـه الوصفي الوطني معالم خصـوصياته الحضارية المحلية.

وبتحـقيق ذلك لا ينهـض تعارض بين دعوتنـا إلى وضع الفهرس الـوصفي الوطني وبين مـا سبق من كـلامنا منذ قليل على إعـجابنا بالمفـهرسين الـعرب والمسلمين الذين حافظوا على الوحـدة والمشمولية في تسجـيل المنجزات المكتوبة لحضارات الشعوب التي يكتنفها سرادق الحضارة الإسلامية.

السبيل إلى وضع الفهرس الوصفي (الببليوجرافيا) الوطني:

لقد بلغ فن صنع الفهارس الوصفيـة الوطنية في هذا الزمان شأوًا من التقدم يتيح للإنـسان الانتفـاع بها والإفادة منهـا بأيسر السـبل؛ بسبب تقـدم الوسائل

التنظيمية والتقنية المُعِينة على ذلك، وتعددت وجوه إخراج الفهارس وطرائقها، ولعل خير الطرائق في وضع الفهارس الوصفية نفعًا وأكثرها دقة وأيسرها في الكشف عن طلب الباحثين الطريقة التالية:

أولاً: تحديد من هو المنتمي إلى الإقليم الذي عاش فيه مَن ينسب إليه الأثر المكتوب، وذلك بتحديد طبيعة انتمائه الحضاري إلى تلك الأمة التي تعيش على هذه الرقعة من الأرض وحمله مواريثها، فقد عُرّف المؤلِّفُ وواضع الأثر أنه ذلك الذي أوتي أمرين:

أ- القدرة على تمثل قدر مما يفرزه عصره وأطره الاجتماعية والحياتية الواسعة منها والضيقة من المعطيات الحضارية في مختلف فروع الإنسانية وشُعبها من تجارب وألوان حياتية وثقافات وعلاقات ونحو ذلك، ثم ما انحدر إلى ذلك العصر من المواريث المعرفية الإنسانية من العصور الخالية.

ب- القدرة على أن يؤلف ويبدع ويخرج في شعبة أو أكثر من تلك المعارف والمواريث إنتاجًا معرفياً ملونًا بخصوصية مجتمعه وأطره الحياتية من ناحية، وبخصوصيته هو باعتباره إنسانًا مبدعًا من ناحية أخرى، ويقدّم ذلك إلى أناسي عصره ثم يرثه بعده مَن سيخلفه من الأجيال.

انطلاقًا من ذلك تتحدد معالم هوية الأمة أو الجماعة من خلال ما صنعته لنفسها من فهرسة وصفية تلملم جوانب إنتاجاتها المعرفية والثقافية.

ثانيًا: تتبُّع المكتوبات الخاصة بإقليم معين واستقصاؤها منذ أول رقيم مكتوب إلى آخر كتاب أو رسالة أو مقالة أو بحث أو حديث أو نحو ذلك مما يخرج قبل زمان وضع الفهرسة.

ثالثًا: الجمع بل دمج الفهرسة الوصفية الراجعة بالفهرسة الوصفية الجارية في سفر واحد للإبقاء على الصورة الحضارية للجماعة المتوضعة على هذا المكان من الأرض مؤتلفة موحدة ولا حاجة للتقسيم ووضع فهرسين وصفيين أحدهما راجع والآخر جار.

رابعًا : يفرز محصول ما تم جمعه من المكتوبات زمرًا وفق موضوعاتها وفنونها ، كزمرة مكتوبات علوم القرآن على سبيل التمثيل، وزمرة مكتوبات التشريع والفقه ، وزمرة مكتوبات الحديث وعلومه ، وزمرة مكتوبات أصول الدين ، وزمرة المكتوبات في الأدب ، وزمرة المكتوبات في العلوم التطبيقية كالرياضيات والطب والهندسة ونحوها، وزمرة المكتوبات في الفنون الجميلة. . . وهكذا. ويُفرد لكل زمرة تنضوي تحت فن من هذه الفنون جزء قائم برأسه، ويمكن أن يُتهدَّى في تحديد عناوين هذه الفنون التي توضع للتقسيمات والتجزئة وتسميتها بـ (فهرس النديم) و(مفتاح السعادة) ، و(كشاف اصطلاحات الفنون) ، و(أبجد العلوم) ، و(التصنيف العشري) الذي وضعه ديوي في تقسيمه لأنواع العلوم. ولا يميز بين المكتوبات التراثية التي تدخل في إطار الفهرسة الوصفية الوطنية الراجعة من المكتوبات المعاصرة التي تدخل في إطار الفهرسة الوصفية الوطنية الجارية ، لأن المميز لكل منهما هو تاريخ وفاة مؤلف الأثر المكتوب.

خامسًا : بعد أن تفرز المكتوبات على موضوعاتها وفنونها التي اتخذ لها العنوانات الكبيرة الرئيسة يجري فرزها مرة ثانية على موضوعات فرعية تتشقق من العنوان الرئيس للفن ، فمثلاً في فن الآداب الذي أفرد له جزء مستقل برأسه تتشقق منه فروع، كالشعر وأنواعه، الترسل وأنواعه، النقد، تأريخ الأدب، الرواية، القصة، فن المقامة، المسرح. . . وهكذا، وتجعل عنوانات الموضوعات الفرعية مداخل يدرج تحتها أسماء مَن ألف فيها، ثم يثبت بين يدي كل مؤلف الفهرس الوصفي لأعماله ، ويستعان بالفهارس المذكورة في الفقرة السابقة في تحديد أسماء عنوانات المداخل الفرعية.

سادسًا : تؤخذ الزمرة التي يضمها عنوان فن من الفنون الفرعية ويُجرى عليها فرز جديد وفق أسماء مؤلفي المكتوبات، ويرتب في هذا الفرز أسماء المؤلفين على حروف المعجم سواء منهم مؤلفو المكتوبات التراثية والمؤلفون المعاصرون يميز بين القديم منهم والحديث المعاصر تواريخ الولادات والوفيات.

سابعًا : بعد إثبات اسم المؤلف في موضعه من الترتيب المعجمي يترجم له ترجمة وافية مركزة مكثفة غاية في الاختصار، يُذكر فيها اسمه واسم أبيه وجده وأبي جده إن توفر ذلك، ولقبه، وكنيته، ونسبته، وتاريخ مولده إن أمكن، ووفاته ، ثم دراسته وشيوخه ورحلاته في العلم ونحو ذلك، وطبقته بين العلماء، وأهم الأحداث التي تتعلق به ولها أثر في تكوينه العلمي واتجاهاته الإبداعية ونحو ذلك.

وحين يرد اسم المؤلف مرة ثانية في وضعه كتابًا في فن آخر يُكتفى بذكر اسمه وشهرته ويُحال إلى حيث ترجم أول مرة في الفن الذي سبق.

ثامنًا : بعد الفراغ من ترجمة المؤلف تثبت تحته فهرسة وصفية لمكتوباته على الترتيب التالي :

- مؤلفاته الأصلية.
- ما وضعه شرحًا على كتاب آخر.
- ما اختصر به مصنفًا آخر أو ما يشبه ذلك من نَظْمِ كتاب أو نحو ذلك.
- النشرات التي تتضمن اختيارات من أعماله.
- رسائله الشخصية.
- أسماء كتب ترجمها من لغات أجنبية إلى اللغة العربية.
- أعمال أدبية تصرّف فيها المؤلف (مسرحية، أو رواية، على سبيل المثال).
- مرسوماته الفنية في الفنون التشكيلية ونحوها إن كان من المبدعين في هذه الفنون وتثبت عناوينها إن كان لها عناوين.
- مواد أخرى للفهرسة الوصفية لمكتوبات المؤلف لا تدخل تحت مادة من المواد المذكورة.

ترتب عنوانات المكتوبات أو غيرها التي تضمها زمرة من الزمر الفرعية على حروف المعجم إن كانت هذه المكتوبات كتبًا ، أو رسائل أو أبحاثًا، أو مقالات تحمل عناوين. ويصطنع ترتيب مناسب إن كانت المكتوبات غير ذلك مثل الرسائل، والمقالات، والأحاديث، والرسوم، والخرائط، وما شابه ذلك مما لم يثبت له عنوان.

يثبت بين يدي كل مادة مفهرسة - كتابًا كانت أو غيره - وجازة مركزة غاية في الاختصار في التعريف بها ووصفها موضوعًا وشكلاً.

تذكر المظان التي ورد للمؤلف أو أعماله فيها ذكر.

يذكر بين يدي كل كتاب أو مادة أخرى للمؤلف ما إذا كان مخطوطًا لم يتح له نشر بعد ، ويذكر مظنة وجوده من مكتبة أو مكان حفظ أو بيت خاص أو نحو ذلك.

إذا كانت المكتوبة أو المادة المفهرسة قد أتيح لها نشر ، فيذكر مكان النشر والطبع وزمانه ، وعدد الطبعات والنسخ من كل طبعة إن أمكن.

تاسعًا : تتضمن الفهرسة الوصفية للمؤلف أسماء ترجمات كتبه وأعماله إلى اللغات الأخرى ، وتذكر أسماء الأشخاص والجهات الذين تولوا الترجمة والنشر ويعرف بهم إن أمكن ، وترتب الترجمات حسب اللغات أو البلدان التي أخرجت فيها هذه الترجمات.

عاشراً : تضم الفهرسة الوصفية للمؤلف التي تدرج تحت اسمه ذكر ما له صلة بأعماله ومكتوباته: (أبحاث عامة عن المؤلف واتجاهاته، وخصائصه، وسيرته، وعلاقاته. أبحاث تخص مؤلفات له من تقريظات وردود على آرائه وكتبه وما إلى ذلك) تذكر عناوين هذه الكتب ومؤلفوها ونشراتها ويراعى في إثبات هذه المواد الترتيب الزمني لنشرها.

الحادي عشر : يذيل الجزء الخاص لفن من الفنون من الفهرس الوصفي بفهارس لتيسير الكشف عن محتوياته ، وتضم :

١ - فهرس مداخل الفنون والموضوعات الفرعية التي اشتمل عليها الجزء.

٢ - فهرس أسماء واضعي المكتوبات.

٣ - فهرس عنوانات المكتوبات والمرسومات وما في بابها.

٤ - فهرس المظان التي ورد للمكتوبات ومؤلفيها فيها ذكر.

٥ - فهرس أسماء الجهات والدور التي نشرت المكتوبات.

٦ - فهرسن أسماء الأماكن التي هي مظان وجود المخطوطات للمكتوبات المنتمية إلى إقليم بعينه.

الثاني عشر : يعُد إخراج الفهرس الوصفي عملاً جاريًا مستمرًا بالتذييل عليه كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، ويحدد زمن للتذييل وفقًا لمقدار ما قد يكتشف أو يتجدد من مواد ومعطيات تستأهل أن يذيل بها على الفهرس.

وحين تتوفر معطيات تفوق طبيعة التذييل وتتكرر التذييلات أكثر من مرة تصدر طبعة جديدة للفهرس حين يرى القائمون على إصداره ضرورة لذلك.

هذا ما نراه سبيلاً لإخراج فهرس وصفي وطني ، ولعلنا فيه قد استوفينا كل الجوانب والأبعاد التي تستقيم بها الدقة والوضوح وتيسير الوصول.

ولعل المنهاج الذي اخترناه وحاولنا فيه إحكام التنظيم وإيضاح الطرائق يستقيم به إخراج فهرس وصفي وطني يلملم ما تشعث من التراث المعرفي المكتوب ، وما أنتجته قرائح المبدعين والمفكرين من أهل الإقليم الذي يصنع له الفهرس منذ علَّم الله الإنسان بالقلم ما لم يعلم إلى يوم الناس هذا. يقدم ذلك لتلك الفئة من العلماء والمحققين والباحثين في شؤون حضارة الإنسان مادة منظومة في سلك قويم يقيمون بها نافع الدراسات.

الوجه الثاني - العملية الاصطفائية :

الغايـة من العمليـة الاصطفائيـة هذه تقديم الأهم على المهم من مـوروثاتنا المعرفية المكتوبة ، يضطلع بتقـدير ذلك نفر من أولي الفضل والعلم والبصر في مقادير أهمية فنون المعارف العربية وما كتب فيها ، يضم هؤلاء لجان أو مجامع للنظر في هذا الأمر ويتولون وضع الخطط لذلك.

فما من ريب في أن المكتـبة العربية غنية زخـارة ، فمنذ الإرهاصات الأولى لحركة التدوين في النصف الأول من القرن الثاني للهـجرة ومسار النشاط العالي الوتائر في حـركة التـأليف بالعـربية لم يتـوقف في آن حـتى يوم الناس هذا، وقـرائح أولي الفضل من العلمـاء والمبدعـين تمد المكتبـة العربيـة بما تصبـه في صفحات تنضد أسفاراً ومجلدات، وتُرَصُّ هذه بدورها على رفاف هذه المكتبة، تفسيراً وعلوم قرآن، وحـديثًا، وفقهًا، وأدبًا وتاريخًا، وشعراً وعلومًـا تطبيقية وغير ذلك من شـعب المعارف الإنسانية التي تتنامى بمـرور الأزمان ، فورثنا.من ذلك مكتـبة تضم على ما يـقدره الباحـثون - وفق مـا ورد في كتاب المـنظمة الإسلاميـة للتربية والثقـافة والعلوم - ما يناهز خمسـة ملايين كتاب، كـثرتها الغالبة لما تزل مخطوطة راقـدة تنتظر اليد الرفيقة الخبـيرة تعرف الناس بها ، ثم تجتلي منافعها وتقدمها إلى الناس محققة منشورة.

وإذا نحن أمام هذا المنجم الحـافل بالكنوز من أوعية المعرفـة التي رسمت لنا معالمهـا ، وكشفت لنا عن خبيات جنبـات هذا المنجم كتب الفهرسة الوصـفية العربيـة منذ (إحصـاء العلوم) للفارابي و(فـهرست) ابن النديم حـتى (مفـتاح السعادة ومصباح السيادة) و(كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) وذيوله، تتبعها مجلدات الفهـرسة الوصفية لمظان المخطوطات في دور الكتب المبثوثة في جميع أنحاء العالم. ولا مرية في أن هذا البحر الزخّار فيه من الكتب السمين، وفيه الغث ، فـيه ما هو كالشمس يحمل طاقـة تتفجر مصادرها ذاتيـاً بالتجدد

الأبدي لعطاء دائم الحيـاة على مر الدهور يمد الناس بالنفع ويغـذوهم بالفائدة، وفيه ما كـان ذا نفع وفائدة آنيّين قصيرتي الأجل، تنطويان بانطـواء عصرهما، وتتبـددان وتزولان مع أفـول شـمس اليـوم الذي وضع فـيـه ذلك النوع من المصنفات. فإن الضرب الثاني هذا ربما نصيب فـيه شيئًا من الفائدة في الإحاطة بدقائق آفـاق معـارفنا الموروثة على سبـيل التأريخ لها. وهـذا إنما يرجأ إلى أن يستنفد نشر الأهم الذي من شأن الأجيال الوارثة أن تنهد بعزم إلى نشر ما ترى فيه النفع المتجدد وهو يحمله الضرب الأول من المصنفات الموروثة المحفوظة في المكتبة العربية.

وما من سـبيل إلى تحقـيق الغاية من نشر التـراث واستقامـة الإفادة منه إلا باصطفـاء ما يقدره أولـو الخبرة العـالية من ذوي الفـضل والبصـر من أنه أهل للإحياء والنشر ثم الخدمة والتوظيف ، ويحددون باجتهادهم أن الغاية من إحياء التراث أن يقـدم بين يدي الناس ما يمكن توظـيفه في مـا ينفع الناس ، وبذلك يطرح الزبد الذاهب جفاء لا خير فيه.

وعلى هذا ينبغي - في ما أتصور - أن تحصر اختيارات ما يفضل تقديمه من الفنون على غـيره في النشـر ضمن الأطر التي تحـمل في جنباتـها نسغ الحـياة والطاقة والقـدرة على العطاء والنفع ، وما كان من ذلك متـجدداً على الدوام؛ وهذه الفنون - في ما أتصور وأزعم - إنما تتحدد في الأطر التالية :

- علوم القرآن المجيد - التفاسير - وما يتصل بذلك.
- علم أصول الحديث ، ويقال له علم رواية الحديث.
- العقائد وما في بابها من توحيد وأصول دين وعلم الكلام ونحو ذلك.
- الفقه - أصوله - فروعه - كتب الفتاوى بخاصة.
- علوم اللغة - بجميع فنونها من معاجم وغير ذلك.

- الكتب الأصول من علم النحو - وتستبعد الشروح والحواشي وما يتصل ببابها.

- الأدب، وما في بابه : شعر، ترسل، مقامات، نقد، تاريخ، أدب، ونحو ذلك.

- التاريخ وما يدخل في فنه من تراجم الرجال والسير.

- السياسة وتدبير الملك والإدارة.

- الجغرافية وما يتصل بها من كتب البلدان والجيولوجيا.

- الفلسفة وما في بابها من الحكمة والمنطق ، وعلم النفس ونحو ذلك.

- التصوف وما يتصل به من تراجم رجاله وفن الرقائق.

- التعليم والتربية وآداب البحث والمناظرة.

- علوم الاجتماع والعمران.

- الطوبوغرافيا والخطط ووصف المدن.

- الأنساب والمذاهب والفرق.

- علوم البحار.

- الكيمياء وعلوم الطبيعة وكتب المفردات وعلم الصيدلة.

- الحرف والصنائع.

- الطب وما يتصل به.

هذه هي الفنون على وجه التقريب التي يتصور أنها أهل للتفضيل والتقديم في الاصطفاء ، ثم العمل على نشرها محققة مخدومة. وأحدس أنها - دون ريب - تحمل في تضاعيفها القابلية العالية لتكون معطيات لا غنى عنها في بناء مسار متطور لحضارة متقدمة ذات أصالة.

الوجه الثالث - من وجوه إشاعة الثقافة التراثية :

وهو ما يتحقق به النفع للباحثين والدارسين والمعنيين بالتاريخ الحضاري للإنسان بعامة وللأمة صاحبة حضارتنا بخاصة ، وذلك بأن تقدم لهم معطيات يبنون بها أبحاثهم ودراساتهم من تراثنا المكتوب محققًا خالص الأصالة صريح النسب.

والمنهج العلمي المؤدي إلى هذه الغاية يقرر أن النص مقدس ، وكل تهاون في إخراجه بالصورة التي ارتضاها له واضعه إنقاص من قدسيته ، والعمل في التحقيق يقتضي أن يخرج النص نظيفًا برئت أصالته من التزييف والتحريف، ويعد من ثم للتوظيف والإفادة منه.

ومن البدهي أن للنصوص - كتبًا كانت أو وثائق أو نحوها - ساحات وأطرًا حياتية تعيش فيها ثم توحيها وتنبئ عنها ، فلنكتشفها ببصائرنا للانتفاع بها. لذلك فالنصوص التراثية - والتراث بعامة - هي هوية الأمة التي صنعتها وذاكرتها ، والتهاون والعبث في معالم هذه الهوية وملامحها تشويه لحضارة الأمة صاحبتها ، وبالتالي إفساد للذاكرة الحضارية التي تحيا بها الأجيال المتتابعة في الأمة ، وتتخذ منها نبراسها وهداها من مرتكزات تطورها وتقدمها كما أسلفنا.

ثم إن النصوص التي نقرؤها في الوثائق والوقفيات أضواء وعلامات نتهدَّى بها إلى الوقوف على الأطر العمرانية والحياتية التي تنبت فيها المعطيات الحضارية للأمة ، وبذلك نحرص على سلامة تحقيقها وصحة انتمائها إلى أصحابها وعصورها.

هذه المبادئ المنهجية إنما تتحقق إذا ما استقام لها أمران :

الأمر الأول : إخراج النص.

والأمر الثاني : خدمة النص وإعداده للتوظيف والإفادة.

أما إخـراج النص فيـنبغي على مَن ينهض به أن يجـعل هدفه إخـراج نص صـريح النسب بيِّن الأصالـة في نشره على النحـو الذي وضـعه عليـه مؤلفـه وارتضاه له.

إن نشر النص على النحـو المطلوب غاية لا يدركهـا إلا أولو العزم في علم تحقيق النصوص، وهي تملي على من يتصدى لهذا العمل أن يتسلح بأمرين:

أولهما: إخصائية - بمعناها الدقيق - بالفـن الذي يتولى تحقيق النص المنتمي إليه ومن تمكنه من معرفـة معطياته من الأطر العلمية والثقافيـة التي نبت فيها، ثم مـا تواضع عليـه علماء ذلك الـفن من لغة ومـصطلحـات وطرائق تعـبيـر وأساليب عرض ونحو ذلك.

ثانيهـما: بمحـصول غني من المـعارف والمعلومـات يكوّن لديه القـدرة على استـحضار المعطيـات الحضارية والأفانين الـثقافيـة التي كانت سائدة في عـصر المؤلف وما اصطلح عليـه أصحابهـا من اللغات المخصوصـة، والاصطلاحات والتعابير المتداولة في فن من الفنون، فيـمكنه بذلك قراءة النص ببصيرته وبعقله لا بالحاسة البصرية فحسب. ويستطيع بذلك أن يتحقق من أن النص الذي يقوم بتحقيقـه وإخراجه هو من مفرزات نشاط الإنسان في شعبـة من الشعب المعرفية التي كونت مؤلفه، وبالتالي يتثبت من صحة انتماء ما جاء في النص إلى ذلك العصر وصدق انتسابه إلى مؤلفه.

ثم يمكنه هذا المحصول الوافر من أن يزيل كثيراً مما قد يعترضه من عوائق في قراءة الخطوط الرديئة، وأن يبرئه ويخلصـه مما يوقع فيه النساخ أو ذوو الأهواء من «تزييف» أو «تحريف» أو «تصحيف» أو «عبث» أو «تزوير» عن وعي أو غير وعي.

وعلى المحـقق مخرج النص أيـضًا أن يكون على دراية تامـة دقيقـة بمؤلف النص وانتمائه الحضاري والعلمي، والمؤلف بهذا الاعتبار وبما ينبغي على المحقق إدراكه هو من أُوتي أمرين :

أولهما : القدرة على تمثل قدر مما يفرزه عصره وأطره الاجتماعية والحياتية الواسعة منها والضيقة من المعطيات الحضارية في مختلف فروع المعارف الإنسانية وشعبها من تجارب وألوان حياتية ، وثقافات ، وعلاقات إنسانية ونحو ذلك، ثم ما انحدر إلى ذلك العصر من المواريث المعرفية الإنسانية من العصور الخالية.

ثانيهما : القدرة على أن يؤلف ويبدع في شعبة أو أكثر من تلك المعارف والمواريث إنتاجًا معرفياً ملونًا بخصوصية مجتمعه بأطره العلمية والثقافية والحياتية من ناحية، وبخصوصيته هو باعتباره إنسانًا مبدعًا من ناحية أخرى. ويقدم ذلك إلى أناسي عصره، ثم يرثه بعده مَن سيخلفه من الأجيال.

فإذا وقف المحقق على ذلك، وأدرك أبعاده تمام الإدراك استطاع أن يتعامل مع النص المراد تحقيقه تعامل الناقد البصير المقوم.

ثم على المحقق من ناحية أخرى أن يكون مالكًا لناصية الخبرة بالخطوط والمخطوطات ، عليه أن يعرف أن النص المخطوط كتابًا كان، أو رسالة، أو وثيقة، أو وقفية، أو أحد المخربشات (الجرافيك)، أو الرقم ، أو نحو ذلك قد تولى كتابته أحد أربعة أشخاص :

الأول : واضع النص ومؤلفه ، وهذا النوع الذي رقمت عليه يد المؤلف إما أن يكون مسودة ، أو كتبة أولى، أو كتبة ثانية، وقد يكون كتبة ثالثة، أو أن يكون الصورة الأخيرة التي أخرجها المؤلف إلى البياض وارتضى نشرها بين الناس، والنص الذي وقع عليه من هذا النوع يسمى أماً.

الثاني : ناسخ غير محترف كأن يكون تلميذًا للمؤلف، أو زميلاً له، أو عالمًا يرغب في الانتفاع بالكتاب ، أو من ذوي الاختصاص من المتصدين لكتابة الوثائق والوقفيات ونحوها ، وقد يرتفع هذا الضرب الذي يتولى كتابته مثل هؤلاء الناس إلى مرتبة الأم.

الثالث : ناسخ محتـرف ، وهو من يتسبب بنسخ الكتب لمن يبـتغي ذلك منه بالإجرة ابتغاء كسب عيشه.

الرابع : الوراق الذي يتولى حرفـة الوراقة التي تقوم بنساخة الكتب وبيـعها، وهي تشبه إلى حد كبير دور النشر التي تقوم في أيامنا.

ومن وجـه آخر علـى المحقق أن يكون علـى دراية كافيـة بدرجـات النسخ الخطية ، فيميز بينها ويختار لعـمله ما كان منها الأقوم أصالة وصحة. والنسخ بهذا الاعـتبار درجات ، فـمنها ما هو بخط مـؤلفها ، ومنها الفـرائد ، ومنها النوادر، ومنها المنسوبات، ومـنها النفائس، ومنها الخزائنيـات، ومنها ما تولاها النساخ أو الوراقون ، وهـذه أيضًا درجات تتفاوت بتـفاوت مراتب كاتبـيها في الثقافة والعلم .

فإذا ما اسـتقام للمحقق واحـد من هذه الأنواع واختبر وعرف وجـه انتمائه وعصره وبعده أو قربه من المؤلف بقي عليـه أمر ذو بال ، ذلك معرفته الخطوط وقواعدها معرفة الخبير لتسهل عليه القراءة والعمل في تحقيق النص وتقويمه بعد المعارضـة بين النسخ إذا ما توفر له أكثـر من نسخة للكتاب ، ثم يخـرجه وهو مطمئن إلى صراحة نسبه وصحة ما احتوى عليه من المعلومات.

أما الأمر الـثاني وهو خدمة النصـوص وإعدادها للتوظيف والانتفـاع بها ، فليست الفائدة من نشر التـراث المكتوب نقله من الخط إلى الطبع ، ثم إخراجه نسـخًا من مجـلدات أمعن في هندمـتهـا وتزويقـها وتذهيـبهـا لتـزيين الأندية والبيـوت ، قد يكون في هذا شيء من الخيـر، وذلك في إنقاذ المخطوطات من الضياع ، أو تلافيـها من التلف، أو في بعثها من رقادها على رفاف مـحابسها وبثها بين أيدي الناس للاسـتذكار العفوي والراحة إلى قراءة الـتليد من الأمجاد والبر المجاني بالآباء والأجداد.

إلا أن الخير كل الخير هو في خدمة التراث، ومن ثم إعداده للتوظيف في ما

ينتفع به وارثوه من الأجيال في حاضرهم وآتي أيامهم، علّهم يتخذون منه ركائز ومنطلقات ثابتة الأصول وطيدة الأرومات، يبنون عليها خطوات سيرهم في مواكب الأمم المتحضرة في هذا الزمان.

وتأسيسًا على ما تقدم ينبغي أن يولى نشر التراث من فائق الاهتمام بخدمته من العمل، والإعداد، والأدوات، والوسائل، والنفقات، ما يكفل تعميق مدلوله وتحقيق غايته، وهذه الخدمة إنما تستقيم بأمور، أهمها:

- تحرير النص، وتهيئته إخراجًا لتيسير قراءته على المستفيد، كتبويبه، وتفصيله، وتفقيره، ووضع علامات الترقيم، وتقييده بالشكل، فضبط النص ثلث شرحه.
- شرح المغلقات من الألفاظ والتراكيب، وبخاصة في الشعر وفنون الترسل، وشرح المصطلحات التي تواضع عليها وتداولها أهل الفن الذي ينتمي إليه الكتاب، وأخرى متداولة محكية في عصر من العصور أو بيئة من البيئات، كالدارجة والعامية ونحو ذلك.
- تحرير ما يرد في النص من النقول، وتخريجها وردها إلى مظانها، والإبانة عما يقع من خلل أو تلفيق في توظيف النقل واستخدامه عن وعي أو غير وعي من المؤلف.
- كثيرًا ما ترد في النصوص إلماحات، إلى معان أو أخبار أو حوادث قد سبقت أو هي من المعهودات المألوفة للمؤلف أو طبقته أو وسطه في فنه، ولا يعرفها القارئ ولا عهد له بها، مما يوقع النص في شيء من الغموض، فعلى المحقق تتبع هذا وبسط ما ألمح إليه المؤلف أو أشار، حتى يضيء النص ويكشف عن أبعاده ومراميه.
- ترجمة الأعلام، والتعريف بالأماكن والمواضع وبخاصة غير المشهور منها، ثم الجماعات وما في بابها، وهذا أيضًا ييسر للقارئ والباحث إدراك بغيته

من استيعاب وجوه النصوص، وبالتالي يكون على هدى حين يعمد إلى استخدامها والانتفاع بها.

- مفاتيح الاستفادة : يذيل بها الكتاب، وهي تلك الكشافات والفهارس المناسبة لتيسير الوصول إلى المبتغى.

وبهذا النحو من إخراج النصوص التراثية بأنواعها واختلاف فنونها محققة بريئة من الزيف والهوى، مخدومة معدة للإفادة منها، يتوفر للباحث والدارس آلات البحث والدراسة قويمة أصيلة سليمة موثقة لا يداخله ريب في أن يصيب منها وهو مطمئن البال ما يشاؤه ويصبو إليه من أصول بناء أبحاثه ومرتكزاتها وأسبابها.

الوجه الرابع : وهو من أهم الوجوه في إشاعة الثقافة التراثية، ويتحقق في إصدار سلاسل من المختار من التراث العربي، تعد بعناية ودقة للناشئة طلابًا أو ذوي ثقافات متوسطة من الناس، .أو لمن لا يعنيهم أمر الخوض في غمار التشعب المعرفي العميق.

تصدر هذه السلاسل في كتيبات تشبه ما يسمى (كتاب الجيب) يحمل كل كتيب مختارات من كتاب تراثي ويحمل عنوانه، وسواء كان ما تختار منه النصوص مطبوعًا أم مخطوطًا، وييسر بذلك تناول هذه المختارات لجماهير القراء، فيتم إيقافهم على قيمة التراث من خلال أنباذ ونماذج موثقة، فينبعث من ذلك لدى القارئ العادي حافز ومشجع على الرجوع إلى الكتب الأصول التي استلت منها هذه الأنباذ على سبيل الاختيار.

والسبيل إلى إنفاذ هذا الوجه من إشاعة المعارف والثقافة التراثية المبسطة يتم بمراعاة الأمور التالية :

أولاً : التنوع في الموضوعات والفنون التي يتم في حقولها الاختيار.

- الآداب ، دواوين الشعر، كتب الاختيار والحماسات، المقامات،

الرسائل، النقد، المعارف الأدبية العامة.

- التاريخ وكتب السير والطبقات والرجال.
- البلدان والجغرافيا والرحلات.
- الفلسفة والأخلاق والمنطق.
- العقائد والملل.
- الاجتماع والعمران.
- العلوم ، الطب، الصيدلة، الحيل، الرياضيات.
- المعارف العامة.

وما يتصل بهذه الفنون مجتمعة.

ثانيًا : ما نتصوره منهجًا للاختيار وإعداد هذه الكتيبات من السلاسل المذكورة:

أ- أن يضطلع بالاختيار نفر من ذوي الاختصاص والخبرة بقراءة النصوص، والبصر النافذ في فهمها وإدراك الغاية من فائدتها للناشئين والقراء ذوي الثقافات المتوسطة. وتتولى جهات رسمية حكومية معنية بالأمر تكليفهم القيام بذلك وتقدم لهم مكافآت مشجعة.

ب- يتناول مَن يتولى الاختيار نصاً كاملاً من الكتاب المراد الاختيار منه، كأن يكون هذا النص باباً أو فصلاً أو ترجمة كبيرة أو موضوعًا قائمًا برأسه، وقد تتعدد النصوص إذا كانت قصيرة بحيث إذا ما اجتمعت تشكل كتابًا يضم نحواً من ١٥٠ إلى ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط عدا المقدمة والفهارس.

جـ- إذا كان الكتاب المراد الاختيار منه كبيراً يضم عدة أجزاء كالأغاني أو البيان والتبين أو النجوم الزاهرة أو عيون الأخبار ، فيمكن إصدار أكثر من سفر

واحد في السلسلة يضم كل واحد من هذه الأسفار الباب أو الفصل أو الموضوع المتكامل ، ويعنون كل من هذه الأسفار بعنوان الموضوع المختار وبرقم خاص يُعطى لكل قسم.

د - يقوم المكلف بالاختيار بإعداد النص المختار ، وذلك بضبطه وشرح معمياته ومصطلحاته بشكل موجز جداً بحيث يتحاشى فيه إثقال الحواشي بالشروح والتعليقات ؛ لكي يقدم النص للقارئ مفهومًا رشيقًا مشجعًا على القراءة والإفادة منه.

هـ - يضع المكلَّف بالاختيار مقدمة ضافية للكتاب تضم الموضوعات التالية :

١ - التعريف بالمؤلف : حياته، سيرته، شيوخه، وتلاميذه، ثقافته، صلته بثقافة عصره.

٢ - التعريف بآثار المؤلف.

٣ - تعريف مبسوط مفصل بالكتاب الأصل الذي أخذت منه الاختيارات، ثم كلمة عن النص المختار وقيمته في فنه.

و - يصنع المكلَّف بالاختيار فهرسًا للموضوعات الفرعية التي تشتمل عليها فقرات النصوص المختارة.

ثالثًا : التوسع في إصدار أعداد كبيرة من كتيبات هذه السلاسل تفي بتوزيعها ، وأن يصيب منها أوسع نطاق بين جمهرة القراء من هذه الأوساط. وتباع بأسعار غاية في الانخفاض والتيسير على الناس ولو نقص السعر عن مقدار التكلفة.

رابعًا : الوجه الإخراجي لكتيبات الاختيارات ، ينبغي أن يبرز فيه الإشراق والأناقة والجمال، جودة ورق، جمال في الإخراج الطباعي، براءة من الأخطاء الطباعية، إشراق في الحرف الطباعي، وذلك لاستهواء القراء وتشجيعهم على

تناول الكتيب يرفل في حلة أنيقة على ما يحمله من الفائدة المرجوة من التعريف بالجوانب التراثية المتعددة الفنون.

الوجه الخامس من وجوه إشاعة الثقافة التراثية - الإعلام :

وهو من أنجع الطرائق في هذا الصدد وأكثرها يسرًا، وتنوعًا، وانتشارًا، وسرعة وتشويقًا، وتأثيرًا. فالإعلام بوسائله المكتوبة - صحفًا، ومجلات، ودوريات، ونشرات ونحو ذلك - والمسموعة بثاً في الإذاعات، والمرئية إرسالاً على موجات الأثير في التلفاز - يتاح بهذه الوسائل التوجه إلى فئات الناس كافة باختلاف أسنانهم وأجناسهم، رجالاً ونساء، شيوخًا وشبابًا، أطفالاً ويافعين، ثم تباين درجات ثقافتهم علماء ومثقفين، ناشئة وطلابًا، عاميين وأميين. وهو في تناول كل هؤلاء لا يفتر ساعة من الأوقات اليومية، ولا يحول دونه حائل من الوصول إلى الناس في محافلهم ومجالسهم ونواديهم وبيوتهم ومنتجعاتهم وأماكن أعمالهم.

وبناء على ما لهذه الطريقة المثلى - الإعلام - من الأهمية البالغة والشأن الجليل الخطير في عظم العوائد واتساع شيوع الفوائد، لا مندوحة من إيلائه فائق الاهتمام والعناية ، فبه توصل كل أفانين المعارف الإنسانية إلى كل فرد في المجتمعات، تؤدى هذه المعارف تراثية كانت أو غيرها بالقصة، والمقال، والرواية، والمسرحية، والحديث، والتعليق، والنقد، والطرفة، والمشهد، ونحو ذلك؛ ولهذا كله تأثير أي تأثير في الجماهير المتلقية، يتناولونها بيسر دون عناء في رشاقة الإعداد والإخراج، مطبوعة، ملونة، مرئية بالحركة والصوت والتشخيص والحوار وما إلى ذلك من الوسائل المتطورة المتنوعة التي أصبحت في أيام الناس هذه المصدر الأول والأهم في استقاء أفانين الثقافات والعلوم وألوانها.

وإزاء هذه الأهمية البالغة والشأن العظيم للإعلام في إشاعة الثقافة التراثية

ينهض التوجس من سوء استخدامه أو الانحراف به عن سليم الغايات والمقاصد من وقوع في الزيف أو التحريف أو التشويه أو الإغفال وابتغاء التضليل عن وعي من هوى وسوء نية أو غير وعي وقصد من غفلة أو إهمال أو عدم اكتراث.

ولذا تقتضي الضرورة البالغة إيلاء هذا الوجه من فائق العناية وشديد الدقة والحرص في التثبت ومراعاة السلامة وصحة الأصالة وصدقها أضعاف أضعاف ما يُولاه غير الإعلام من الوجوه التي يمت بها سبلاً إلى إشاعة الثقافة التراثية، وذلك بأن يتوخى الاصطفاء الخالص للقائمين على شؤون الإعلام والمتصرفين في تدبير أموره بأن يكونوا من ذوي الدراية والعلم والفضل في الإحاطة بكل جوانب ساحات التاريخ الحضاري، ثم أن يكونوا أولاً وقبل كل شيء ممن عرف فيهم صحة الالتزام بالانتماء إلى أصول الأمة وصدقه، محصنين بمناعة شديدة في وجوه مغريات الزيف والهوى، يملكون من أخلاق الشجعان ما يمكنهم من أن يتصدوا لكل ضروب الضغط. وتشكل من هؤلاء النفر لجان في مستويين: لجان لوضع الخطط في التوجيه الإعلامي بمختلف طرائقه، وأخرى للمراقبة والتحقق من سلامة الخطط، والتثبت من صحة الأهداف وسبل الإنفاذ. وهذا على سبيل أخذ الحيطة الشديدة كيلا يتسرب إلى هذا الوجه الخطير الشأن آفات الهوى التي تفسد الرأي، وتحرف المسارات عن الغايات النبيلة الصحيحة لوسائل الإعلام المسخرة لهذا الوجه.

وفي الختام: فإنْ توفر الصدق في النوايا، والإخلاص في الإرادة، والقوة في العزم، فإنني أزعم إن لم أكن أرى على التحقيق، أن الوجوه الخمسة للبلوغ إلى الغاية النبيلة المتوخاة من إشاعة الثقافة التراثية بين فئات البنى المكونة للشعوب المنتمية إلى حضارتنا الموروثة هي أنجع الطرائق لإصابة البغية.

***

الانتقال بالتراث من النص إلى الخطاب

د. يوسف زيدان

تمهيد:

في ديوانه الشعري **سرحان يشرب القهوة** كتب محمود درويش قبل عشرين سنة، سطرًا شعرياً لافتًا في سياق القصيدة/ الديوان، التي انفعل خلالها بما جرى مع **سرحان بشارة** ذلك الفلسطيني الذي اتهم زوراً بقتل الرئيس **الأميركي جون كيندي**. . . قال محمود درويش - متهكمًا - لسرحان بشارة (الذي صار في القصيدة مثلاً وأنموذجًا للإنسان العربي):

أبوك احتمى بالنصوص

فدخل اللصوص

بعدها بسنوات، كتب الشاعرُ نفسه، قصيدته الملحمية التي جعلها بعنوان **مديح الظل العالي** فوصفنا جميعًا بأننا:

قصب هياكلنا

وعروشنا قصبُ

في كل مئذنة حاوٍ ومغتصبُ

يدعو لأندلس... إن حوصرت حلبُ

وما بين القولين - في ما أري - صلة وثيقة وعلاقة سببية ، فالثقافة التي ظلت ردحًا من الزمن تحتمي بالنصوص وتتزيا بها، صارت خليقة بأن تتعرى أمام اللصوص الطامعين، وأن تبقى من بعد عريها مصاصة قصب لا همَّ لها إلا

إدارة **معركة النصوص** أو بالأحرى: الدخول في معترك النصوص القديمة، والعيش في زمان استلاب الأندلس... غافلة عما يستلب اليوم من أراضيها! وبدلاً من جعل النص القديم محركًا للفعل المعاصر، صار الفعل المعاصر دائرًا في حركة النص القديم ، وأهدرت اللحظة المعاصرة.

وما من شك في أننا أمة تراثية الروح، فقد امتد من ورائنا تراث طويل ظل قرونًا طويلة يمتد في الزمان، ولم يزل ممتدًا فينا... فنحن، كما قال الإمام الشافعي: **أمة السند!** غير أن السند غير **الاستناد**... وإسناد القول وإرجاعه لأصله ومصدره، إنما يكون من باب التحري والتوثيق، ولا يجوز من بعد ذلك الاستناد كلية إليه، والعيش بالكلية فيه... وإلا فما الذي يمكن أن يفعله النص التراثي؟ إنه لا يفعل بخاصية سحرية فيه، وإنما يفعل بوعي قائله، وبإدراك هذا القائل لما حوله ، وبجعله النص ذخيرة فيها، لا كهفًا له.

كُهوفُ النصوص :

في إحدى محاورات أفلاطون، أراد هذا الفيلسوف أن يضرب مثلاً للفارق ما بين الأوهام والمعرفة الصحيحة؛ فقال ما ملخصه: إن جماعة عاشوا حياتهم داخل كهف، مقيدين بسلاسل، بحيث تظل وجوههم دومًا متوجهة إلى الحائط الداخلي للكهف، وكانت وراءهم نار تتراقص ألسنة لهبها، فيرى أهل الكهف خيالاتهم على الحائط.. ولأنهم لم يروا غيرها، ظنوا أنها الحقيقة، لكنهم يوم يتحررون من السلاسل، سيدركون أنها أشباح مخايلة، وأنه لا دوام لها... ويوم يخرجون من الكهف، ستتألم عيونهم قليلاً من شدة ضوء الشمس، ثم يتعودون على رؤية الأشياء الحقيقية.

وكان خروج رفاعة الطهطاوي إلى باريس في الربع الأول من القرن التاسع عشر، بمثابة خروج من كهفه التراثي الفردي ، وكهف الجماعة وموروثها...

وبعد سنوات خمس قضاها بأوربا ، ومنذ عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٣١ عاد الطهطاوي صحيح النظر، إذ رأى بمخزونه التراثي هذا (الآخر) الغربي؛ ورأى بالضوء الأوربي تلك (الذات) التي انتمى - وننتمي نحن اليوم - إليها . فكانت لحظة مجيدة في ثقافتنا ، أدت إلى فعل عظيم وتطوير كبير قام به رفاعة الطهطاوي وتلامذته وتابعوه ، خلال عقود الاستنارة التي امتدت بقية القرن التاسع عشر.

وكان من أفعال الاستنارة أمران متكاملان ،بدأهما رفاعة واستكملهما متابعوه : إحياءُ التراث، والترجمةُ . وتجلّت عملية الإحياء التراثي بأنصع ما يكون ، في مطبعة (بولاق) الرائدة التي أخرجت أمهات كتب التراث، كما تجلّت أيضًا في ذلك النشاط الكبير الذي شهدته عملية (نسخ) الكتب التراثية نسخًا يدوياً، حتى إن ما نُسخ بمصر في القرن التاسع عشر من مخطوطات ، يكاد يماثل ما تمَّ نسخه في خمسة قرون سابقة.

وفي مقابل عملية إحياء التراث والاهتمام بالنص التراثي، كانت العملية التكاملية الأخرى «الترجمة» بمثابة نافذة معرفية مقابلة للنافذة التراثية، بحيث يُحقّق فتحُ هاتين النافذتين المتقابلتين، تيارًا معرفياً يجدِّدُ هواءً كان قد ركد زمنًا طويلاً. وهو ما بشّرت به العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، حيث شهد واقعنا الثقافي والاجتماعي نهضة تبشِّر بخروج المجتمع من كهفه. . . ولكن سرعان ما انتكس الأمرُ وتبدَّدت التباشير!

ومع مطلع القرن العشرين، كان وجدان الأمَّة وعقلها قد انفصما إلى تيارين: تيار يعود بالعقل الجمعي إلى حالة الاعتقال التراثي، والتوغل في كهوف النصوص؛ أعني التيار السَّلَفي المتشدِّد ، وتيار يلقي بالذات من نافذة الحداثة ويخبط في متاهاتها خبطَ عشواءٍ من غير تدبرٍ ولا انتباهٍ إلى طبيعة

التكوين الحقيقي لثقافتنا، وهو التكوين الممتد فينا عبر الدين واللغة وما تحمله من رؤية للعالم ؛ وذلك هو التيار العلماني (المتشدِّد أيضًا!).

ولما احتدم الخلافُ بين التيارين، أُغلقت النافذتان وعاد الهواء للركود. . . وشيئًا فشيئًا، دخل عقلُنا في حالة فصام معرفي ؛ فجماعةٌ ساروا إلى سرداب التراث القديم ، واعتقلوا أنفسهم فيه. والجماعةُ الأخرى تشتَّتت خطاها في متاهة الحداثة الأوربية ثم أغرقها طوفان ما بعد الحداثة !

ولن نخوض هنا في الكلام عن الجماعة التائهة في الحداثة، الغارقة في ما بعدها - وهو أمرٌ تفصيله يطول - إذ إن ما يعنينا الآن هو الجماعة المعتقلة في السراديب التراثية ، وهي التي تنوَّع اعتقالُها في صور شتى، ويتزايد على النحو التالي :

أولاً : تبدأ حالة الاعتقال في الكهف التراثي، من أغلوطة زائفة ناتجة عن أن الوعي غير المكتمل بالتراث يرى في العصور السابقة حالةً من الصفاء الكامل ، وصُورةً من المجد الحضاري الذي لن يتكرَّر في ضوء معطيات الحاضر وهنا يكون الحنين للقديم أمرًا طبيعياً .

ثانيًا: يؤدي تبصُّر الواقع الحالي، إلى إدراك قتامته وإحباطاته التي لا حَدَّ لها- على كافة المستويات ! - فتصطدم الصورتان. . . الصورةُ التي خلّقها الذهنُ من أمثلة منتقاة ، لتأكيد روعة الماضي المتجلية في مواقف ومناسبات تمت صياغتها بدقة عالية في (نصوص) تراثية ؛ والصورةُ القاتمة التي يُعطيها الواقع بقتامته وإحباطاته. وبالطبع ، وبشكل سيكولوجي ، سيكون الانجذاب للصورة القديمة (المريحة) ، في مقابل النفور من الحاضر المعيش.

ثالثًا : يتم تأويل النصِّ التراثي ، فتُعطى الأولوية للماضي، ويغيب الحاضر ، كما يتم حذف كل مكدِّرٍ للذهن من التراث ، فتظل الصورةُ شديدةَ الإشراق

في الذهن . وينتـهي الأمرُ إلى إقـرار مبدأ خطيـر للخروج من أزمـة التناقض الداخلي الناتج عن الجمع التخييلي بين الماضي بصورته المنتقاة المتأوَّلة، والحاضر بصورته القائمـة المحبطة . هذا المبدأ هو الرجوع بالحاضـر إلى الماضي ! وهو ما تمت صياغـته في شعارات طنانة من نوع: الإسـلام هو الحل . . . الأصالة في مقـابل المعاصرة . . . والحفـاظ على الهوية الحضـارية . . . العودة إلى الينابيع الأولى . . . إلخ.

رابعًـا : تهـيمن الصـورةُ الفضـفاضـة للشعـارات على أنماط الفكر والمنهج والسلوك فتتأكَّد من كثرة تكرارها ، وتكتسب يقينًا مستعاراً من كثرة استعمالها، فتصير بمثابة بديهيات لا تجوز مناقـشتها ! فكيف يجرؤ إنسان اليوم على مناقشة أن (الإسـلام هو الحل) أو أن (الأصالة في مـقـابل المعاصـرة) أو أنه لابد من (الحفـاظ على الهوية الحـضارية) أو ضرورة (العـودة إلى الينابيع الأولى) ، بل يصير الشروع في مناقشة الشعار ، مجرد الشروع ، أمرًا مثيراً للشَّك والريبة .

أخيراً : تعتاد العيون على الإظلام والعتـمة الناتجة عن عدم مناقشة (الأصول الثابتة) التي انتهى إليها تفكيرُ المعتقلين في كهف التراث ، أعني هؤلاء المقيَّدين بالسلاسل ووجـوههم إلى داخل الكهف ، ومن خلفهم نارٌ تتراقص ألسنتـها، فتنعكس خيالاتهم على الجدار الداخلي للكهـف (كما في مثال أفلاطون) والنارُ في حالتنا هذه ، هي الإيقاعُ السريعُ - بل : فائقُ السرعة - للعالم من حولنا.

وتأتي النصوصُ التراثيـة ، فتتراكم على أرفف المكتـبات ، وتتزاحم بداخل العقـول ، لتكون بمثـابة مزيد من السـلاسل التي تقيِّـد الوعي ، وتربطه داخل الكهف ! وأعني بالنصـوص التراثيـة هنا ، هذا النوع المنتقى .. المخـتار . . . الموجَّه . . . المستـلّ بحذر من كـتاب الماضي ، ومن ركام المخطـوطات بفضل فاعليات العمليات التراثية .

عمليات إخراج النصّ :

هناك مجموعة من الخطوات الفنية التي يتم بها استدعاءُ النصوص من الماضي ، وإعادتها للحياة ؛ وهي : التحقيق والنشر ، الفهرسة والتصنيف ، والتلخيص والتعريف والشرح . وتحت كل خطوة ، عديدٌ من العمليات الفنية اللازمة لها ، فالتحقيق يلزمه حصر النسخ الخطِّية للكتاب المراد نشره ، ثم المقابلة بين أفضل النسخ التي تمكِّن المحقِّقَ من الوصول إليها ، ثم استخراج النص من بين اختلافات النسخ (وذكر الاختلافات في هوامش التحقيق) ، ثم شرح المفردات والتعليق على بعض المواضع من الكتاب وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة فيه ، وأخيرًا إعداد كَشَّافات للكتاب ، وكتابة مقدمة للتحقيق ، وإيراد نماذج من المخطوطات التي اعتمد المحقِّق عليها.

وللفهرسة لوازم ومقتضيات . فالمفهرس يعكف على مخطوطات المجموعة المراد فهرستها ، واحدة واحدة ؛ فيفحصها ويوثّق عنوانها ومؤلِّفها ، ويورد من أولها وآخرها بعض العبارات المميزة ، ثم يصف المخطوطة من حيث نوع الورق وشكل الخط ، مشيرًا إلى ما قد تحمله من إجازات أو قراءات أو هوامش شارحة ، ثم يذكر اسم الناسخ وسنة النسخ (أو يقدِّر عمر المخطوطة بالقرون تقديرًا) ثم يذكر عدد أوراقها ومسطرة صفحاتها ومقاس الأوراق ، ثم رقم حفظ المخطوطة بالمكتبة المفهرسة ، وأخيرًا ، يذكر العلم أو الفن الذي تنتمي إليه هذه المخطوطة أو تلك (وهو ما يُعرف بالتصنيف).

أما تلخيص المخطوطة أو التعريف بها أو شرحها ، فهو أمرٌ يلزمه قراءة النص قراءةً متأنية - سواء كان في أصله المخطوط أو كان مطبوعًا - ثم تحديد المنهج أو الإطار العام للشرح أو التعريف أو التلخيص . فقد يكون الشرح ممزوجًا بالنص المشروح ، أو يكون بطريقة (قال ، أقول) أو يكون شرحًا للمواضع المستغلقة والتعريف قد يركِّز على المؤلِّف - خاصة إذا كان غير مشهور- وقد يركز على النصِّ ذاته ، أو على بعض النقاط الواردة فيه .

والتلخيص قد يكون للكتاب كله ، أو لفصول وأبواب منه ؛ وقد يحافظ على لغة النص الأصلي ومفرداته وطريقة سرده ، أو يعيد كتابته على جهة الإيجاز مستخلصًا أهم النقاط التي وردت فيه .

ولهذه الخطوات الفنية تفاصيلُ يعرفها المشتغلون بالتراث ، ولهم في تلك التفصيلات مذاهب وآراء وجولات ، تكسَّرت فيها النصال على النصال ! ولا يعنينا هنا الدخول في هذه المعتركات الفنية ، وإنما يستوقفنا أمرٌ لافتٌ للنظر ، هو أن تلك العمليات الهادفة إلى إخراج النص من حالة المخطوط (المستور) إلى حالة الكتاب المنشور (المشهور) هي عملياتٌ لم تتم في عصرنا الحالي بشكل منتظم . فالطبيعيُّ هو أن تبدأ العمليات التراثية بالفهرسة ، لمعرفة الخريطة العامة للتراث المخطوط ، وعلى ضوء هذه المعرفة يكون اختيار النصوص الدالة التي تستحق الإحياء وإعادة البعث بالتحقيق والنشر ، ومن جملة النصوص المحقَّقة - أو المخطوطة - يتم اختيار ما يلزم إشهاره وتوطينه في الوعي المعاصر، بالشرح أو التعريف أو التلخيص .

غير أن الكهوف التي ذكرناها في ما سبق ، والرغبة في تأكيد صورة تراثية معيَّنة ، والنزوع الآنتقائي ، والمصالح . . . أدَّت جميعها إلى اضطراب متعمَّد في منهجية العملية التراثية بكاملها ؛ فتم إشهار أوراق بعينها من كتاب التراث، وإخفاء أوراق أخرى (أو فصول كاملة) والأمثلة على ذلك كثيرة . منها ما نراه من اهتمام - مُبالغ فيه - بأحد الفقهاء الحنابلة ، أعني ابن تيمية ، وإهمال متعمد - ومحاربة - لتيار تراثي كامل ، أعني التصوف ! والمتابع لآثار العملية التراثية في السنوات الأخيرة من واقعنا المعاصر ، سوف يلحظ على الفور حضور ابن تيمية ، عبر أعماله المحقَّقة . . . متعددة الطبعات. . . رخيصة الأسعار - بل المهداة في أحيان كثيرة ! - ناهيك عن تركيز الأضواء عليها بالعروض والتلخيصات والشروح والبحوث والدراسات . وهذا بالطبع ، يتم في إطار رؤية سياسية وعقائدية معينة .

لكنه بإمعان النظر في هذا المثال ، سوف يتضح لنا أمرٌ بالغ الخطورة ؛ ذلك أن الاهتمـام بالنصِّ التراثي الذي أنتجه ابـن تيمية ، يؤدي إلى أزمـة تتعلَّق به على مستوى الخطاب ، وهو ما يظهر من ارتباك المهتمين بابن تيمية ، الحريصين على حضوره في ثقافتنا ؛ حينما يجدون أعمالاً في التصوف ، ولا يجدون بُداً من نشرها لاستكمال استدعائه إلى حـاضرنا . يجدون له على سبيل المثال: شرح كتاب فتـوح الغيب لعبد القادر الجيلاني ، قاعـدة في المحبة ، رسالة في المعجـزات والكرامات وخوارق العادات . وعنـدما نُشرت الرسالة الأخـيرة في إحدى البـلاد الشقيقـة ، تنصَّل محقِّـق الكتـاب من النصِّ الذي ينشره ! بأن كتب في مقدمته ببنط كبير مزعج ، ما نصه :

لا يا شيخ الإسلام ، إننا نحب الحق ونحب ابن تيـمية ، ولكننا نحب الحق أكثر من ابن تيمية . . .

وبقطع النظر عن استـعارة المحقق للعـبارة الأرسطية المشـهورة : إنني أحب الحق وأحب أفلاطون ، ولكني أحـب الحق أكثر من أفـلاطون ! نقول : بقطع النظر عن ذلك الاستدعاء لصورة بيانية كلاسيكية لها مدلولها وسياقها الخاص ، فإن عبارة المحقِّق - التي هي في حقيـقتها اعتذارٌ وإعلان براءة من نصٍّ قام هو نفسه بنشره ! - تعكس الأزمة على مستوى الخطاب التراثي . فها هو ابن تيمية الذي شوهد دائمًا على جدران الكهف التراثي بصـورة الفقيه المناضل ، المعادي للتصوف ؛ يبدو في صورة أخرى - حقيقية - في شكل مضاد . وهذا الشكل الجديد لا يؤدي إلى تـدعيم الخطاب المراد تكريسـه باستدعـاء ابن تيمـية ، بل يؤدى إلى هدمـه وإعـادة النظر فـيـه ، بل إعادة النـظر في المفـهوم العـمـيق للتـصوف. مما يؤدي - بالتـالي - إلى تأسـيس خطاب آخر ، جـديد ، غيـر مرغوب فيه من جهة المهتمين بابن تيمية والحريصين على استدعائه .

ومثالٌ آخر ، مقابلٌ لما سبق ؛ نراه في حالة الهوس بابن رشد ، إذ إن بعض أهل الكهف ، ممن يعتقدون في أنفسهم أنهم أكثر عقلانية ! يلجأون إلى النصِّ الرشدي فـيعكفون عليـه لإظهار مفـاتن عقلانيـته ، ويحلِّقـون منه إلى عوالم

خيالية لا توجد إلا في أذهانهم، لتـأسيس خطاب مضاد للخطاب - المتوهَّم - الذِي يطرحه معاصرونا من أصحاب ابن تيمية ، غير أن أصحاب ابن رشد، لن يلبـثوا أن يقـعوا في تنـاقض داخلي شبـيه بما وقع فـيـه المعسكر المقـابل لهم بخصوص ابن تيمية ! إذ سيكتشف الرشديون ، أن صورة ابن رشد المستدعاة ، ليست حقيقية ، وبالتالي ، فما استخلصوه منها غير حقيقي .

فابن رشـد كان في أساسـه فقيـهًا ، وعندما كـتب فصل المقـال في ما بين الشريعـة والحكمة من الاتصـال ، إنما كان يجـيب عن سؤال شرعـيّ رُفع إليه باعتباره قاضي المالكية في الأندلس ، وما (فصل المقـال) إلا فتوى شرعية لفقيه مستنيـر لدينا منه الآلاف في تراثنا ! وما جهدُ ابن رشـد الفلسفي ، إلا خطوة تراجعـيـة ارتد فيـها الرجلُ عن سـياق الـتطور الكبيـر الذي أنجزه الفـلاسفـة المسلمون، بعودته إلى أرسطو الذي لخـص ابنُ رشد كتبه تلبيـة لأوامر سلطانية وردت إليه من الخليفة أبي يعقوب سلطان قرطبة . وما كان ابن رشد بشهيد في أرض الفلسفة - كمـا يزعمون - وما اختفت الفلسفـةُ من تراثنا بعد محنته مع السلطان يعقوب بن يوسف المنصور ! فقد عاش ابن رشد حياته في كنف الأمير أبي يعقوب ، ومن بعده في كنف ولده الأمير أبي يوسف يعقوب المنصور . . . فتولى قضاء قرطبة وصار طبيب السلطان ، وكان له شأنٌ كبير بين معاصريه .

غير أن المـنصور غضب عليه مـرة ، لأنه كان يرفع معه التكليف ويخـاطبه بقوله: اسمعْ يا أخي. وهو ما كان السلطان يمتـعض منه ، حتى إنه استمع فيه إلى وشـايات أعـدائه ، وكان الوقـت آنذاك زمن حرب واقـتـتـال ولا مجـال للمماحكات. فأمر المنصـور بنفي ابن رشد إلى بلدة ألْيُسَانة ، وهي بلدة هادئة قريبة من قرطبة ، أغلب سكَّانها من اليهود الذين كانوا آنذاك يشتغلون بالعلم، كمـا أمر السلطـان بإحراق كتـبه - التي هي فـي معظمـها شروحٌ علـى كتب أرسطو، وضعـها ابن رشد بتـكليف سلطاني سابق - فأُحـرقت نسخٌ من هذه الكتب بقرطبـة ، في مشهد مسـرحي لا يعني أكثر من إظهار غـضب المنصور على ابن رشد ! إذ الجميع يعلم أن لهذه الكتب نسخًا أخرى لا حـصر لها ،

وأنها ستبقى من بعدهم إلى زماننا هذا ، حيث تمتلئ رفوف مكتباتنا بنشراتها وتحقيقاتها وركام من الدراسات حولها .

ولم يكن ابن رشد وحده ، في هذه المحنة العارضة ، وإنما انصبَّ غضب المنصور وقتها ، على جماعة من المفكرين والعلماء ، منهم : القاضي أبو عبدالله الأصولي ، الشاعر أبو العباس الحافظ ، أبو جعفر الذهبي ، أبو الربيع الكفيف ، محمد ابن إبراهيم . وبعد سنة واحدة وشهور ثمانية ، رضي السلطان على ابن رشد ، وعاد الأخير إلى قرطبة يتولى منصبه السابق ، فيصير طبيب البلاط ، حتى توفي ، فتولَّى بعده ابنه أبو محمد عبد الله المنصب نفسه. ويقال : إن بعض أولاده الآخرين ، لجأوا بعد وفاته إلى بلاط هوهنشاوفن (بألمانيا) وعاشوا هناك ! وكان أصعب ما مَرَّ على شهيد الفلسفة بحسب شهادته هو ، التي رواها عنه الأنصاري (كاتب سيرته) هي بالنص : أعظم ما طرأ عليَّ في النكبة ، أنّي دخلتُ أنا وولدي عبد الله مسجداً بقرطبة، وقد حانت صلاةُ العصر ، فثار لنا بعض سَفلة العامة ، فأخرجونا منه !

أمّا الزعم بأن ابن رشد هو أعظم الفلاسفة المسلمين وآخرهم ، فما هو إلا تهويلٌ ومبالغة . فقد كان الرجل فيلسوفًا كالآخرين ، يسعى لتأكيد الصلة بين الدين والفلسفة كالآخرين ، ويجتهد في بيان أهمية إعمال العقل في كل الأمور كالآخرين . ويضع المؤلفات ويدبج الفتاوى وينتقد السابقين كالآخرين . . . وهو - بالقطع - ليس آخر الفلاسفة الإسلاميين ، وإلا فأين سنضع نصير الدين الطوسي وأثير الدين الأبهري وأفضل الدين الخونجي وابن النفيس وعضد الدين الإيجي، وغيرهم ؛ وكلهم من أهل القرن السابع الهجري (عاش ابن رشد وتوفي في القرن السادس الهجري) وأين سنضع اللاحقين عليهم من أهل القرون التالية ، أمثال صدر الدين الشيرازي وسعد الدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني . . . وغيرهم ، ناهيك عن فلاسفة الصوفية ، من أمثال ابن عربي وعبد الكريم الجيلي . . . وغيرهما .

ولم يكن ابن رشد طبيبًا عظيمًا ، وكتابه المتداول اليوم الكليات هو محض كلام نظري تقليدي في الطب ، لم يخرج عما كان سائدًا من قبل ابن رشد فالكتاب لا يمثل فتحًا طبياً ، ولا اعتمد عليه طبيبٌ واحد ، ممن جاءوا بعد ابن رشد ! ولقد أمضيتُ السنوات الطوال في دراسة تاريخ الطب العربي الإسلامي، وفهرستُ آلاف المخطوطات ؛ ولم أجد إشارة واحدة لابن رشد عند كبار الأطباء اللاحقين عليه ، ابتداءً من موفق الدين البغدادي وابن النفيس (القرن السابع الهجري) حتى داود الأنطاكي والقوصوني (القرن الحادي عشر الهجري). . . بل إلى يوم الناس هذا ! فهذا نصيبه من الطب ، والرجل لم يزعم أنه طبيب عظيم ، وإنما وجد معاصره ابن زهر يضع كتابًا في المعالجات ومداواة الأمراض والأمور الجزئية ، فأراد هو أن يستكمله بالكلام في الكليات . وكل مَنْ درس تاريخ العلوم ، يعرف أن الطب - وسائر العلوم - كان يتقدَّم عبر التاريخ الإنساني بالبحوث الجزئية وبالاكتشافات وبالمعالجات ، وليس بالكلام في الكليات .

وأخيرًا ، فابن رشد ليس عقلانياً هائلاً كما يزعمون ، فهو كسائر فلاسفة الإسلام ، يحتفي بالعقل . غير أن بعض هؤلاء الفلاسفة ، ومنهم أستاذه ابن طفيل ، تجازوا البحث العقلي وقرنوه بالذوق والإدراك فوق الحسي وهو ما لم يفعله ابن رشد . وكلهم أهلُ علم وفضل ، ولا فضل لبعضهم على بعض بهذه العقلانية الموهومة !

وهكذا يتأزم الخطاب العقلاني المتكئ على ابن رشد . . . المهوِّل به . . . المهلِّل له . ليجد نفسه في الأزمة نفسها ، التي يعاني منها الخطاب السَّلَفي المتكئ على ابن تيمية . . المهوِّل به . . . المهلِّل له ! مما يؤدي في النهاية ، بالخطاب التراثي كله ؛ إلى حالة من التهويل والتهليل الذي يهدِّد الوعي التراثي كله .

الصورة التراثية :

جاءني يومًا صحفي شاب ليجري حواراً سوف تنشره إحدى الجرائد الخليجية، وبدا الشاب متحمسًا ، تتقافز همته ، وبدأ معي بأن قال - أول ما قال - إنه سوف يضع الحوار تحت عنوان (د. زيدان يقول للشباب العربي : لا تقرأوا كُتب الجنس والروايات الرخيصة ، واقرأوا كتب التراث). أفزعتني مقالته ومبادرته إلى وضع كلام - لم أقله - على لساني ، بهذه البساطة والحسم . . . أفهمته أنني لا أقول بذلك ! وبأنني على العكس مما يظن ، لا أجد بأسًا في أن يقرأ الشباب هذه الكتب والروايات . وسألته عن السبب في اعتقاده أن الجنس والروايات الرخيصة ، أمرٌ يناقض كتب التراث ؟ قال ما نصه: لأن التراث محترم !

ولما أفهمته أن تراثنا العربي لا يخلو من هذا النوع من الكتب التي يظنها غير محترمة ، وضربت له أمثلة من بعض مؤلفات السيوطي وابن كمال باشا ، ومن قبلهما ابن سينا ، وذكرته بألف ليلة وليلة ! اندهش الشاب ، وحوقل، وارتبك ، واضطرب ، وبالطبع ، لم نجر يومها أية حوارات ، إذ انتفى المطلبُ الذي كان يريده أصحاب الجريدة !

وعلى الحقيقة ، فلم يكن هذا الشاب إلا صورة - أو حالة - تعكس طبيعة الوعي المعاصر بالتراث . وإن شئت الدقة قلت : تعكس الصورة التي ارتسمت في الأذهان عن تراثنا ، بفعل العمليات التراثية الموجَّهة التي أشرنا إليها منذ قليل ، والتي أنتجت على مستوى الخطاب التراثي صورة شوهاء، ناقصة لتراثنا.

ولم يقتصر التشوُّه في الصورة التراثية على موضوع التراث فحسب ، بل تعدَّى إلى طبيعة المشتغلين بالتراث ! وهو ما تجلَّى واضحًا في ما كتبه أديب معاصر ، هو محمد مستجاب الذي أراد أن يحتفي بصدور كتاب لي، فكتب

في جريدة أخبار الأدب ما نصه: التراثيـون نوعان : واحد يقودك لعالم التراث فيجعلـك تكره أهلك وتكره اليوم الذي فكرت فيه أن تقرأ شيـئًا من التراث ، ونوع آخر يقودك في رفـق عصري، ويسير أمـامك مضيئًـا لجوانب من التراث واسعة ومتألقة ، حتى تكاد ترفض أن تعود للمعاصرة . . . إلخ .

وتلك الأمثلة هي محض علامات دالة على مقدار التشوه في صورة التراث- والتراثيين - في أذهان مـعاصرينا ، أو بالأحـرى : في ثقافتنا المعـاصرة . . . والتي هي نتيجة مباشرة للتوجّه الأعرج نحو المخزون التراثي ، والنظرة العوراء إلى موروثنا الثقافي.

تأسيس الخطاب :

لا يمكن لثقافتنا المعـاصرة تأسيس خطابها التراثي ، وهو الخطاب الذي نحن في أشد الحاجة إليه لرؤية الذات والتـفاعل مع الآخر ، إلا انطلاقًا من تعامل رشيد مع النـص التراثي المؤسِّس للخطاب . والتعامل الرشـيد هذا ، لن يكون إلا بترشيد العمليات التراثية وتطوير تقنياتها لإنجاز الخطوة المتعلّقة بالنصوص - أولاً - ثم تخليق صـورة حقيـقيـة لهذا التراث المـتد فـينا عبر اللـغة والدين والموروث الاجتماعي .

ومقصودنا بتـرشيد العمليات التراثية وتطوير تقـنياتها ، هو العمل من أجل استنـارة العاملين في حـقل التراث ، والأخـذ بيدهم لإخـراجهم من كـهوف النصوص إلى آفـاق النظرة التراثية الكليـة ، التي لا تعطي الأولوية لجانب من التراث على حـساب جانب مقـابل ، وإنما تنظر للمنظومة التراثيـة في تكاملها وتدرك أن النتـاج التراثي مـتساندٌ ، ولا يمـكن إدراك مفرداتـه بمعزل عن بقـية الشـروط الموضـوعـية الـتي أنتـجت هذا النص أو ذاك ، والتي رسـمت هذه الشخصية أو تلك ، إذ لولا الغزالي لما كان ابن رشد ، ولولا القلق السياسي لما كان مقتل الحلاج ، ولولا علم الحديث لما اختلف الفقهاء ، ولولا سقوط بغداد

لما دوّنت القاهرة التراث من جديد ، ولولا خلاف بركة خان مع ابن عمه (هولاكو) لما انتصر المصريون في عين جالوت ، ولولا خروج التتار لما تأزّم فكر ابن تيمية ، ولولا الوهابية لما عاد ابن تيمية للحضور ، ولولا حضوره لما تأجّجت النزعات الأصولية ، ولولا تأجُّجها لما بطشت الحكومات المعاصرة بالإسلاميين ، ولولا هذا البطش لما وجد الحكام سبيلاً لإهدار الديمقراطية !

وعلى هذا النحو التساندي يمكن إدراك الخريطة التراثية في تكاملها ، ومن بعد ذلك يكون الشروع المتطور في العمل التراثي بالاعتماد على التكنولوجيا الحديثة في إنجاز عمليات الفهرسة ، والتحقيق ، والتعريف (على نحو متكامل)، وبالاعتماد على مناهج أحدث وأوفى؛ لخوض غمار هذه العمليات. وبهذا يمكن إدراك الصورة التراثية ، ورؤية النصِّ ناصعًا . . . ومن ثم تخليق خطاب تراثي يتجاوز النصَّ المؤسس له ، وينطقه بأشياء جديدة . ولنعط مثلاً على ما نقول ، لنختم به هذا التطواف :

من المناطق المهجورة في العملية التراثية الحالية ؛ جانب مهم من جوانب الموروث العربي ؛ أعني : تاريخ العلوم . ولا نريد هنا أن نستعرض بالتفصيل مقدار الهجر والنقص والتشوه والتكرار في هذا المجال المهم ، إذ تكفي الإشارة إلى حقائق بسيطة من نوع أن ابن الهيثم لم تزل أغلب أعماله العلمية مخطوطات لم تنشر ، وأن ابن النفيس (ولنا شكوكٌ على لقبه هذا) لم يزل معتقلاً في عبارة (مكتشف الدورة الدموية الصغرى)، مع أن للرجل إسهامات عملية تتجاوز ذلك بكثير، وأن ابن سينا لم يُدرس دراسةً وافيةً كطبيب ، ولانزال ننظر في إنتاجه الفلسفي ونجترُّ الكلام ، مع أن الطب هو مجال إبداعه وليس الفلسفة، وأن أجيالاً كاملة من علماء العرب في شتى الفروع ، لم يُكتب عنهم سطرٌ واحد في واقعنا الثقافي المعاصر . . . إلخ .

وترشيد العمليات التراثية في مجال تاريخ العلوم ، من شأنه تبيان النَّصِّ

العلمي العربي / الإسلامي في تجلياته المختلفة ، ثم يكون الخطاب والرؤية لهذا النص التراثي . فعلى الحقيقة ، فإن نص ابن الهيثم - أو غيره من العلماء - لا يهمني إلا بمقدار تعرُّفي إلى كيفية التفكير المنهجي عند الرجل ، وبمقدار إدراكي لطبيعة النـظرة العلمية عنده ، ولماذا تتجلَّى هذه النظرة حينًا وتخـتفي أحيانًا ؟ وهل يمكن تأسيس منهجية علمية جديدة اعتماداً على جهود ابن الهيثم ؟ أم أن ذلك غير ممكن؟ وكيف تطورت النظرية المتعلقة بالإبصار في تراثنا . . . إلخ .

ومن خلال ذلك كله ، يمـكن تأسيس خطاب معـرفي، ينطلق من نص ابن الهيثم أو غيره من العلمـاء العرب المسلمين ، الذين لم يزل تراثهم مجهولاً في ثقافـتنا المعاصرة ؛ مع أن لهم حـضوراً في الثقـافة الغربية (المـعاصرة) نتيـجة لاهتمام المستشرقين بتراثهم ! .

***



تعقيبات ومداخلات

■ **د. عبدالستار الحلوجي:**

تضمن بحث د. عدنان عرضًا شاملاً ، فقد تناول الضبط الببليوجرافي لمخطوطات التراث وعمليات التحقيق والنشر والإعلام عن التراث المخطوط، فطوّف بنا في آفاق عديدة، غير أني أختلف معه في عدة أمور:

الأول أنه يُصرّ على تعريف الببليوجرافيا أو تعريبها أو وضع مقابل لها هو الفهرسة الوصفية، ويمضي إلى ما هو أبعد من ذلك، فيسمي الأعمال الببليوجرافية الوطنية بالفهرسة الوصفية الوطنية.

إن كلمة ببليوجرافيا، ليست عربية كما ذكر د. عدنان، لكن اللغة - كما نعلم - تواضع واصطلاح، وخطأ مشهور خير من فصيح مهجور، وكلمة ببليوجرافيا تعني لدى المتخصصين أكثر من معنى، إلا أن المعنى الشائع هو حصر الإنتاج الفكري في أي مجال من مجالات المعرفة.

أما كلمة الفهرسة فهي حصر الإنتاج الفكري المتاح في مكتبة محددة، وبين الفهرسة والببليوجرافيا ثمة كتبٌ تجمع بينهما مثل: حدائق الأنوار، وإرشاد القاصد. هذه هي النقطة الأولى التي أختلف معه فيها، وأرجو أن يتسع صدره لها، وخاصة أن الذين يكتبون في علوم المكتبات يُسمون - أحيانًا - الببليوجرافيا بالوِراقة، وأنا اختلف معهم في هذه التسمية، والفيصل بيني وبينهم هو معجمات اللغة والتعريفات القديمة لكلمة الوراقة؛ فابن خلدون يُعَرِّف الوراقة بأنها عملية الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكُتُبية والدواوينية، ومعنى هذا أن الوراقة تعني صناعة الكتاب ولا تعني حصر

المؤلفات المكتوبة في موضوع معين.

والحق أن كلمة «الوراقة» على الرغم من عربيتها، فإنها لا تصلح أن تكون بديلاً لكلمة «الببليوجرافيا» غير العربية، ومثلها كلمة «الفهرسة» لا تصلح هي الأخرى لأن تكون مقابلاً لكلمة ببليوجرافيا، على الرغم من انتشارها واستقرارها في الأذهان.

الأمر الثاني هو الخلاف حول مفهوم الوطنية في عبارات من مثل: الفهرسة الوصفية الوطنية أو الببليوجرافيا الوطنية، فهناك من يستخدمون بدلاً منها كلمات كالمحلية أو القطرية أو القومية، ولقد سعدتُ حينما أصّر على كلمة الوطنية، وأذكر أني حضرتُ مؤتمرًا كان قد عُقد بالرياض منذ خمسة وعشرين عامًا تقريبًا دار فيه جدل كبير عن أي هذه الكلمات هو الأدق، على الرغم من أننا جميعًا تنصرف أذهاننا إلى مدلول واحد عندما ننطق بواحدة من هذه الكلمات !

وما يجعلني أبعث كلمة الوطنية من مرقدها والخلاف حولها، إنما هو إشارة د. عدنان في بحثه إلى أنه في الببليوجرافيا الوطنية أو في الفهرسة الوصفية الوطنية - كما يحب أن ينعتها - ثمة حاجة إلى التعرف على الانتماء الإقليمي للمؤلفين، مما يثير سؤالاً هو: هل الببليوجرافيا الوطنية تحصي إنتاج أبناء الأمة أم تحصي ما نُشر داخل هذا الوطن أو ذاك حتى لو كان من غير أبناء الأمة، أم تحصي ما كُتب عن الأمة؟

كان د. عدنان طموحًا جداً عندما طالب المكتبيين بأن يتتبعوا في الببليوجرافيات الوطنية التي يصنعونها، المكتوبات الخاصة بكل إقليم، ويترجموا ترجمات وافية للمؤلفين تشمل مؤلفاتهم وشيوخهم ورحلاتهم وطبقاتهم بين العلماء، والمظانّ التي قد يرد فيها ذكر للمؤلف أو مؤلفاته والأماكن التي تُحفظ فيها هذه المؤلفات على اختلافها، وما نشر من هذه المؤلفات وأماكن نشرها وعدد طبعاتها والنسخ التي قامت عليها كل نشرة !

والحق أن ما يطالب به د. عدنان المكتبيين مطالب هم أعجز من أن يرتفعوا إلى مستواها، ولو سعوا في الوفاء بها، لكان ذلك غاية في الصعوبة، ولما أنجزوا ببليوجرافية واحدة لمؤلف من المؤلفين!

ولقد كان د. طاشكندي أكثر واقعية عندما قال: إن الببليوجرافيات ليست سوى أداة إيجاد نتعرف بها على الأشياء، وليست أدوات بحث.

أما د. يوسف زيدان فقد كنت أرجو أن يخلع عنه رداءه الفلسفي في البحث الذي قدمه، كما كنت أرجو منه أن يكون رفيقًا بتراثنا، فلا يستخدم عبارات مثل: الكهوف التراثية والضلال الثقافي المعاصر ، وإلا كنا من بين هؤلاء الذين أصابهم الضلال!

■ **د. عبدالكريم عوفي:**

إن إشاعة الثقافة التراثية لها مناحٍ عدة، فقد تكون هذه الإشاعة عن طريق النصوص التراثية نفسها، وذلك بأن تُخرج إخراجًا جيدًا يمكِّن القارئ من استيعابها وتمثلها، إلى جانب إذاعتها في وسائل الإعلام المختلفة.

ما قدمه د. عدنان - كما ذكر د. الحلوجي - مشروع ضخم، وفيه من الطموح ما فيه ، غير أنه يصعب تحقيقه في ظل الظروف التي تعيشها مكتباتنا.

يُعد إصدار الفهارس وجهًا من وجوه إشاعة الثقافة التراثية، وقد أحصى د.عدنان كتبًا في هذا الشأن مثل: إحصاء العلوم، ومفاتيح العلوم، والفهرست، وما يتبعها من مؤلفات، وهي مؤلفات - في رأيي - مشرقية، ولم يشر إلى كتب المغرب الإسلامي ، مع أنها قدمت خدمة كبيرة للفهرسة الوصفية التي ننشدها.

كما ذكر د. عدنان في معرض حديثه عن العملية الاصطفائية باعتبارها وجهًا من وجوه إشاعة الثقافة التراثية، أن من العلوم والمعارف التي يمكن أن نختارها كتب النحو والأصول ، مع الاستغناء عن الشروح والحواشي وما إلى

ذلك، وأنا أسأل : هل يمكن أن نطرح شروح كتاب سيبويه والمفصل والكافية وغيرها من الكتب ؟! إن ما يمكن أن نستغني عنه من هذه الشروح هو أقل القليل، وأحسب أن د. عدنان يرى مثلي هذا الرأي، وإن كان كلامه في بحثه يوهم القارئ بأنه يرمي إلى التخلص نهائياً من هذه الشروح التي ألفها العلماء على الكتب الأصول .

وفي ما يخص حديث د. يوسف عن ابن رشد، فقد حاول إخراجه من دائرة الفلاسفة العقلانيين، وهذه مسألة تحتاج إلى دراسة لفكر ابن رشد ككل، تضعه في الميزان مع أقرانه الذين سبقوه أو عاصروه أو الذين جاءوا بعده.

■ **د. محمود الطناحي :**

استشهد د. يوسف في أول بحثه بكلمة لمحمود درويش وهي قوله:

أبوك احتمى بالنصوص

فدخل اللصوص

وأرى في هذا الكلام طعنًا على التراث، وأن وراءه ما وراءه، والذين يعالجون قضايا التقدم في الشعر الحديث يعرفون هذه الدلالات ومراميها، فالنصوص هنا هي رمز - هذا فهمي، وقد أكون مخطئًا - للتراث وتاريخه وما حملته الأمة، وكأن تعلقنا بالقديم هو الذي أوقعنا في هذه المهالك، كما قال أخ له من قبل - وهو شاعر كبير معروف - قال: إن الذي يذهب إلى التراث القديم ، ويترك منجزات العلم الحديث، كمن يذهب إلى حلاق الصحة ويترك الطبيب !

أما ابن تيمية - وقد ذكره د. يوسف - فهو ملك للأمة كلها، والعناية به ليست صادرة من جهة بعينها، بدليل أن مطبعة بولاق في أيامها الأولى نشرت له كتابه «منهاج السنة النبوية» ، وذلك قبل أن تظهر توجهات البترول، وتجلياته.

وفي الخمسينيات الميلادية - ولم يكن البترول قد آتى أكله - توجه شيخنا محمود شاكر - رحمه الله - إلى الشيخ الباقوري ، وكان وزيرًا للأوقاف، وقال له: يا شيخ أحمد، المعتزلة بدأوا يطبعون كتبهم، ككتاب «المغني» للقاضي عبد الجبار ؛ فلابد أن تجعل وزارة الأوقاف من أموال أوقافها نصيبًا مفروضًا لطبع كتب أهل السنة والجماعة، فقال له: ماذا تقترح ؟ قال: أقترح إعادة نشر منهاج السنة النبوية بدعم منكم، ونشر الكتاب حقاً في مطبعة آل عبيد، بتحقيق د. محمد رشاد سالم.

أما كتب ابن تيمية التي طُبعت في الجهات التي أشار إليها د. يوسف مثل «درء تعارض العقل والنقل» الذي طُبع في الرياض، في أحد عشر مجلدًا، فإن القوم في الرياض لم يُملوا على د. محمد رشاد سالم تحقيقه، إنما أعانوه على نشره، والرجل كان قد حققه في القاهرة، وطبع منه جزأين في دار الكتب المصرية . فالقول : إن جهات ما في السعودية كجامعة الإمام وجهت د. رشاد إلى طبع هذا الكتاب، هو قول غير صحيح، وهذه الجهات طبعت لابن تيمية كما طبعت لغيره، فقد أعانت الشيخ محمود شاكر - مثلاً - على طبع «تهذيب الآثار» ، وأعانت الشيخ عبدالخالق عضيمة على طبع موسوعته العظيمة «دراسات في أسلوب القرآن الكريم»، بل إن هذه الجهات قد طبعت لعلماء يحملون على ابن تيمية، فطبعت «سير أعلام النبلاء» للذهبي، والذهبي كان يخاصم ابن تيمية، ووجه له رسالة اسمها «الرسالة الذهبية»!

أما قول د. يوسف : إن ابن تيمية ظهر نتيجة سقوط بغداد، فإن هذا كلام للناس الذين يبالغون في فلسفة الأمور ؛ لأن القرن الثامن الذي نبغ فيه ابن تيمية، نبغ فيه أعلام كبار جداً سوى ابن تيمية مثل: الذهبي، والبرزالي ، والمِزِّي، وابن كثير، وشرف الدين الدمياطي، وابن سيد الناس اليعمري، وصلاح الدين الصفدي، والسُّبكي وابنه، كل هؤلاء هم نجوم الفكر العربي في القرن الثامن الهجري، فهل هؤلاء جميعًا أفرزهم سقوط بغداد؟! إن هؤلاء قوم هيأهم الله وصنعهم على عينه لحفظ تراث هذه الأمة !

وما كنتُ أريد أن أخوض في هذا الكلام لولا أن أخي د. يوسف شغلني بابن تيمية، فقد كنت أعددت حديثًا عجبًا عن الثقافة التراثية.

وختامًا أقترح على الهيئة المشتركة أن تعقد لمسألة الثقافة التراثية هذه ندوة خاصة.

▪ **عصام الشنطي:**

أشكر د. عدنان على بحثه، فقد جاءت مادته موافقة لعنوانه، دون أن يخرج عما حدده لنفسه، وهو أمر يُحمد له.

أما شرحه للفئات التي تتلقى التراث، فآت من تجربة سورية ناجحة، لكنني أسأل د. عدنان: ألا يعد ذوو المهن والأميون فئة رابعة إلى جانب الفئات الثلاث التي ذكرها يجب أن يكون لها نصيب من الثقافة التراثية؟

▪ **د. محمد عبد الرحمن الربيع:**

تحدث د. عدنان في بحثه عن تيسير كتب التراث واختصارها، وركز على قضية أن يبقى النص كما هو، وهذا شيء جيد، حتى لا يكتفي الطالب بما لخص له ويستغني به عن الرجوع إلى كتب التراث، فيكون عملنا بذلك قد أساء من حيث أراد أن ينفع!

أضيف إلى هذا الأمر - في عجالة - أمرين آخرين قد يعينان على إشاعة الثقافة التراثية:

الأمر الأول يتعلق بالتراثيين أنفسهم، وهو انغلاقهم - في كثير من الأحيان - على ذواتهم. يجب أن ننفتح - نحن التراثيين - على كل الوسائل التي تعين على نشر رسالتنا ووصولها إلى أكبر قدر ممكن من الناس، فلا ننحصر في المجلات المتخصصة، بل نخصص جزءًا من أوقاتنا للكتابة في المجلات العامة وفي الجرائد، عن موضوعات من التراث ساخنة بأسلوب يجذب القراء.

الأمر الثاني هو العناية بإدخال النصوص التراثية في المقررات الدراسية، حتى تكون ثقافة الطلاب أو الطالبات مزاوجة بين التراث والأشياء الحديثة، وقد كان هذا الأمر ملحوظًا في المقررات القديمة، إلا أنه بدأ يقل في المقررات الحديثة، ومن ثم يجب العودة إليه.

أما بحث د. يوسف فلم يتحدث فيه عن موضوع جلستنا حسبما أراه، وإنما أدخلنا في الكهف، وكنت أتمنى أن يخرجنا منه، أو أن يُدخل النور إليه، أو أن يهدمه على أهله !

وعلى الرغم من ذلك فقد أُعجبت بما ذكره في نهاية بحثه عن ابن رشد . أما ابن تيمية، فقد تحدث د. الطناحي عنه، وكفاني مؤونة الرد.

■ **د. أيمن فؤاد سيد:**

في ما يخص بحث د. يوسف. فقد أعطانا صورة فيها كثير من القتامة، فليس صحيحًا أن كل الذين تصدَّوْا لإحياء التراث العربي من السلفيين، فالمستشرقون كانوا البادئين بنشر التراث ثم جاء بعدهم قوم آخرون، والحق أن المهتم بنشر التراث لابد أن يكون مهمومًا بقضية ما من قضاياه، فأنا - مثلاً - مهتم بالمقريزي، ود. عدنان مهتم بابن قاضي شهبة، ود. عبد الحميد صبرة مهتم بابن الهيثم، ود. عبد الله الغنيم مهتم بالبكري ، ود. الطناحي مهتم بالسبكي والهروي ؛ إذن ليست القضية نشر كتب التراث من أجل نشرها فقط، وعلى ذلك فإن قَصْر د. يوسف الحديث على الجانب الذي تناوله في بحثه هو قصر ليس في مكانه، وكان أولى به أن يوسعه، فيشمل كل مصادر التراث على اختلافها.

■ **محمد إبراهيم الشيباني:**

لا أحسب أن الحقيقة السلفية كما يراها د. يوسف ؛ فسلفيَّة اليوم، وخصوصًا في منطقة الخليج، أصبحت تعني ربط الماضي الطيب الذي ورثناه

بالحاضر الذي نحياه ؛ فما ذنب ابن تيمـية إذا فُهم فكره مغلوطًا من قِبَل شباب اليوم بل مـا ذنب علماء آخرين سوى ابن تيـمية إذا فُـهم فكرهم مغلوطاً على صورة لم تخطر لهم ببال؟!

إن ابن تيمية مـلك للأمة جمعاء، وليس ملك طائفة بعـينها من الناس تتبنى فكره، وتبني عليه آراء لهـا قد تكون خاطئة، وإلى جـانب ذلك فإن صورة ابن تيمـية الفكرية - في مـا أعتقـد - غير مكتـملة في الأذهان، ذلك لأن بعض مؤلفاته غير منشورة.

■ **د. غسان اللحام :**

يجب أن نهتم بنشـر تراثنا العلمي ، فأغلب ما ينشر اليـوم من كتب التراث متعلق بالأدب واللغة والتاريخ، على الرغم من أن العصر الذي نعيشه هو عصر المعلوماتية والتكنولوجيا، يقبل الشباب فيه على الكليات العلمية.

ولا يعني قولي هذا أني أبخس كتب الأدب واللغة والتاريخ حقها، ولكن أن تطغى، فيـقل نشر الكتب العلميـة، فهذا معناه أننا لا نـقدر تراثنا العلمي حق قدره.

لابد أن نهتم إذن بإشـاعة الكتب التـراثية في المجالات العلمـية، ونقدمـها للجيل الصـاعد، وأقترح على الكلـيات العلمية أن تدرِّس مـادة - ولو لفصل دراسي واحد - تتعلق بتاريخ العلوم عند العرب .

■ **د. عادل سليمان جمال :**

ذكر د. يوسف أن خـروج رفاعة الطهطاوي إلى باريس، كان بداية النـهضة المصرية العربية، وهذا أمر مشهـور بطبيعة الحال، غير أني أحب أن ألفت النظر إلى كتاب لم يأخـذ حقه من الدرس والتحصـيل، وهو كتاب الأستاذ مـحمود محمـد شاكر - رحمـه الله - وهو «رسالة في الطريق إلى ثقافـتنا»؛ ففي هذا

الكتاب يرى الأستاذ شاكر أن النهضة العربية كانت بسبيل حدوثها، وذلك بخروج عدد من العلماء الأفذاذ، مثل: الجبرتي الكبير، أبي الجبرتي المؤرخ المعروف، وعبد القاهر البغدادي، والفيروزآبادي، ومحمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وقد تنبهت أوربا إلى هذا الخطر، وأحسَّت ببشائر النهضة العربية، فوجهت الضربة إلى مصر تحديداً؛ لأنها لم تنسَ أن مصر كانت في عهد المماليك هي القاضية على الحملات الصليبية!

* * *



الجلسة السادسة

نحو إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث



جدوى إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث؟



■ **د. أحمد نظيف (رئيس الجلسة):**

إن أحد أهداف هذه الجلسة هو إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث، وهو موضوع يحظى بالكثير من اهتمامي، فتكنولوجيا المعلومات باتت اليوم قادرة بدرجة كبيرة على خدمة التراث في مختلف المجالات.

لدينا في هذه الجلسة متحدثان هما: د. عباس طاشكندي، أستاذ علم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز، ويحدثنا عن جدوى إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث المخطوط، ود. أيمن فؤاد سيد مستشار دار الكتب المصرية، ويحدثنا عن محتوى الشبكة.

فليتفضل د. طاشكندي أولاً

***

بداية تتجاوز هذه الدراسة كافة التفصيلات الإحصائية لحجم التراث العربي المخطوط المتناثر على وجه المعمورة، أو الإشارة إلى أهميته وتميزه ، ذلك أن ما يرتبط بتلك العناصر لا يحتاج إلى تدليل أو برهان، فالتراث العربي المخطوط هو التراث الإنساني الذي أذن للحضارة الإنسانية أن تستمر وتتراكم وأن تتسامق عبر العصور الوسطى وفق ما كانت عليه من ثراء وأصالة في عهود ازدهارها ، بيد أن محاور هذه الدراسة ستركز قبل أن تطرح جدوى إنشاء شبكة عربية للتراث المخطوط - على إثارة عدد من الاعتبارات الأساسية التي يجدر أن تأخذ العناية الكافية من الاستيعاب، إذ من خلالها يمكن طرح إشكالية الشبكة في إطار ما يتداخل معها من عناصر.

وتتمثل تلك الاعتبارات في عدد من الحقائق، على النحو التالي :

أولاً : التراث العربي المخطوط هو نتاج حضارة بأكملها، وقد احتلت في أوج تألقها مساحة جغرافية كبيرة امتدت من إسبانيا غرباً إلى مشارف الصين شرقًا ، وهي حضارة ضمت أممًا كثيرة، وشعوبًا متعددة ، توحدت جميعها في إطار حضارة إسلامية واحدة ، كانت لغة العلم فيها هي اللغة العربية ، وكان نتاج تلك الحضارة مصوغًا في معظمه باللغة العربية على اختلاف المواقع التي انبعث منها، وشكَّل ذلك التراث هوية الحضارة الإسلامية بأكملها.

والتراث العربي المخطوط المتناثر في العديد من المراكز العربية والإسلامية حالياً يشكل بالنسبة لنا نحن العرب خاصة وللدول الإسلامية التي كانت ضمن حدود الدول الإسلامية في العصور الوسطى عامة عنصر هوية ثقافية يربط الأمم بماضيها ؛ فالدول الإسلامية التي رزحت تحت حكم الشيوعيين لسنوات طويلة - في ما عرف بالاتحاد السوفيتي سابقًا - وجدت في ما احتفظت به من تراثها الثقافي بعد استقلالها بعداً مهماً استعادت به شيئاً من هويتها الثقافية الإسلامية، وذكرها بماضيها. مما جعل لكياناتها السياسية الحالية مرتكزات ثقافية تراثية تتجاوز بها سنوات المحنة ومحاولات تبديل الهوية . ومن هنا فإن التراث العربي المخطوط له من الأهمية في كل موقع هو فيه بما يمثل من عناصر الهوية للأمم التي شاركت في إنتاجه ؛ صناعة وتأليفاً . . . وهو حبل تواصل بين المسلمين بعد أن قطعت عشرات الحبال، فما بقي منها إلا حبال الدين واللغة والتراث.

ثم إن التراث العربي المخطوط يعد في الوقت الحاضر أهم تراث إنساني مكتوب، بل لعله التراث الإنساني الوحيد الذي بقي بصورة كبيرة قياسًا بأوعية التراث في الحضارات الإنسانية الأخرى كالرومانية والصينية القديمة والفارسية وغيرها ، والتي اندثرت وتبددت وزالت معالمها ، وهو الأمر الذي يوجب أن تكون العناية به عناية عالمية باعتباره إرثًا حضارياً إنسانياً، حفظ للإنسانية تراكم

المعرفـة ، بالإضافة إلى الإسـهامات الأصـيلة في شتى مـيادين المعرفـة خلال العصور الوسيطة وما بعدها.

هذه الحقائق تتطلب منا دعـمًا متواصلاً لا يقف عند دور الهيئـات الإقليمية العربية فحسب، بـل يجب أن يتعداها إلى الهيئات الإسلاميـة والهيئات الدولية كمنظمة اليونسكو وغيرها من الهيئات التي ترتبط أهدافها بالمحافظة على التراث الإنساني عامة.

ثانيًا : يسهل علـى الكثيرين عند تناول المخـطوطات العربية التـعـويـل على العدد ، فتـأتي الإشارة أحيانًا في خانات عـشرات الملايين . ولا جدال في أن التراث العزبي المخطوط كان إنتاجًا كمياً ونوعياً ، فقد أتاحت تسهيلات صناعة الكتاب في العصـور الوسطى بما صاحبهـا من إبداع فكري وتواصل ثقافي ونمو في حـركة التـأليف إنتـاج كم غزير من الأعـمال تـواصلت من القرن الثـاني الهجري حـتى القرن العاشر الهـجري. ثم جاءت عصور الانـحطاط والتأخر، وأفرغت العديـد من الدول الإسلامية من تراثهـا وما يشكل مقومـات هويتها، وتكالبت الأمم شـرقًـا وغـربًا علـى العـرب والمسلمين : المغـول من جـهـة، والصليبيون من جهة أخرى، والاستعمار من جهة ثالثة، فما أُحرق قد أحرق، وما انتـقل إلى غير مـوضعه احـتوته مراكـز في الغرب، ومـا تبدد على أيدي المسلمين أنفسهم نتيجة الإهمال أو التهريب أو الحرق قد انتهى إلى غير رجعة، مما حجَّم من التمـيز العددي والنوعي للتراث العربي المخطوط الذي تجمع عبر عشرة قرون من الزمان.

على أن من أهم ما عوض تلك الحالة من التـردي هو حركة الاستنساخ التي سادت القرون التالية حتى ظهور الطباعة في أرجاء العالم العربي والإسلامي ، غير أن السـمة التي سادت حركة الاستنسـاخ التراثي عبر القرون العـاشر حتى الرابع عشر كانت محصلة للاتجاهات الثقـافية التي سادت تلك الفترة المتأخرة،

وهي فترة معتمة إلى حد كبير اتصفت باهتمامات محدودة ، ونتج عنها تراث هزيل صوره الدكتور يحيى محمود بن جنيد الساعاتي تصويرًا دقيقًا في كتابه «كيف ورثنا الأمية».

لعل القصد من إيراد هذه الحقيقة هو العمل على إنجاز دراسات مصدرية تتناول تقويم التراث العربي المخطوط في المراكز التي يتوافر بها . وهناك أمثلة على مراكز حالية تجمعت لديها آلاف المخطوطات عن طريق الشراء، وهي منسوخات لأعمال أساسية أو فصول من الكتب التراثية الدينية التي يدرسها الطلاب في بعض المدارس الدينية التقليدية في شبه القارة الهندية وأفغانستان وبعض الدول العربية ، وقد لا نجانب الحقيقة إذا قلنا بأن هناك عشرات الألوف من النسخ الخطية لبعض الكتب الشائعة مما يتم تداولها حالياً على أنها من التراث العربي على الرغم من أنها تشكل عبئاً عددياً على التراث من ناحية، وعبئاً في الحفظ والتنظيم والفهرسة والإعداد من ناحية أخرى.

إننا في حاجة ماسة لمعرفة :

- حجم التراث العربي الإسلامي ما يتوفر منه وما لا يتوفر حالياً، فالجهد الذي بذله بروكلمان وسزجين لا يكفي. ولا يتأتى ذلك إلا بمراجعة دقيقة للتراجم وكتب الأعلام المخطوطة والمطبوعة.

- حجم التراث العربي المخطوط العائد للقرون الثاني حتى العاشر مما يتوافر في مراكز المخطوطات.

- تقويم حركة الاستنساخ التي سادت القرون العاشر حتى الرابع عشر الهجري.

- تقويم مجموعات المخطوطات الأصلية في مراكز المخطوطات ، على أن يشمل التقويم عناصر المخطوط المادية والموضوعية.

ثالثاً: باستثناء وضوح الغايات عند إنشاء معهد المخطوطات العربية تحت مظلة جامعة الدول العربية في تكليفه بجمع مصورات للمجموعات النادرة من المخطوطات العربية في أنحاء العالم لدراستها وتوثيقها وإعدادها للاستخدام ، فإن تجميع المصورات في بعض المراكز الأخرى يُحدث إشكاليات عديدة تؤدى في بعض أبعادها إلى إهدار الطاقات والإمكانات من ناحية ، والازدواجية من ناحية أخرى.

إن العديد من المكتبات ومراكز المعلومات لا تفرق بين المخطوطات ومصوراتها ، وتسجل بالتالي مقتنياتها المصورة من المخطوطات ضمن مجموعاتها الأصلية بما يوحي عددياً بانطباعات غير حقيقية، فالمخطوط عند أهل الاختصاص غير النسخة المصورة، على اعتبار أن النظر إلى المخطوط من الناحية التراثية لا يعزل بين مكوناته المادية ونصوصه الموضوعية . أما المصورات فمدلولها ينحصر في النص دون المحتوى المادي الحقيقي ،

وتتضح مظاهر الإهدار بالنسبة للمصورات في أمرين:

الأول في اقتناء مجموعات كاملة من المصورات التي تعود ملكية أصولها إلى مكتبات معروفة تتيح للباحثين الحصول على مصورات لمخطوطات بذاتها دون عوائق . والمثال على ذلك مجموعة شستربيتي أو جاريت أو ييل أو هارفارد أوغيرها ؛ فما الدافع للحصول على مجموعات كاملة من المصورات إذا كانت سبل إتاحتها مفردة للباحثين الراغبين في عمل بعينه ممكنة وميسرة ، وقد تراكمت نتيجة لذلك مجموعات مكررة من المصورات منها مجموعات شستربيتي الشهيرة ، التي تمتلكها في دولة واحدة أكثر من خمس مكتبات.

الثاني في فهرسة المصورات التي يتم اقتناؤها من المكتبات المعروفة، وهناك أمثلة لمكتبات اقتنت من معهد المخطوطات العربية مجموعة من صور المخطوطات التي سبق فهرستها في المعهد. ثم قامت بتكرار الفهرسة وفق النمط

الذي تصدر به فهارسه. ويمكن ملاحظة نماذج عديدة تباينت فيها فهرسة المصور عن المخطوط الأصلي رغم أن الأساس واحد .

ولا شك أن تلك الممارسات تؤدي إلى إهدار الإمكانات والطاقات مما ينعكس سلبًا على أولويات هي الأجدر بتكريس الجهود نحوها.

رابعًا : تتقاعس بعض المكتبات الوطنية في أرجاء عالمنا الإسلامي والعربي عن ممارسة دورها في تجميع وحفظ وتوثيق التراث المخطوط، وهي أولى بتلك المهمة من غيرها، فالمكتبة الوطنية هي الذاكرة لإنتاج الأمة بأشكاله المعاصرة والتراثية ، وهي المسؤولة عن جمعه وحفظه وترميمه وتسجيله وحمايته وضبطه ، وهي التي تعمل على استصدار القوانين والأنظمة الكفيلة بإنجاز تلك المهمات، وهي المسؤولة أيضًا عن إصدار الفهارس المختصة بالمخطوطات ، وتعمل على تيسير الاستفادة بها من قبل الباحثين، والمكتبات الوطنية عادة ما تكون بمثابة هيئات وطنية مستقلة تتوافر لها من الإمكانات ما لا يتوافر لغيرها . كما أن أنظمتها تخصها بتلك المسؤوليات تحديداً مما يوفر لها إمكانات التنفيذ أفضل من غيرها من المكتبات والمراكز.

على أن تقاعس بعض المكتبات الوطنية في أرجاء العالم الإسلامي والعربي كان من أهم الأسباب التي أدت إلى تشتت وضياع التراث العربي المخطوط، إذ من المعروف تاريخياً أن معظم الأعمال التراثية ارتبطت بأنماط من المكتبات الوقفية الصغيرة في المساجد والمدارس والخانقاهات والأضرحة ودور الأيتام ، وبعض المكتبات الوقفية المتخصصة ، إضافة إلى ما توافر من مجموعات صغيرة بأيدي الأفراد . ولا تلقى تلك المجموعات عناية الهيئات التي تشرف عليها ، بل أدت مظاهر الإهمال إلى ضياع العديد منها . وكان بالإمكان قيام المكتبات الوطنية إما بتجميع تلك المجموعات أو الحصول على مصوراتها وتوثيقها وضبطها حماية للتراث الوطني .

ولعلي أشير إلى أن وزراء الثقافة العرب كانوا قد عقدوا اجتماعًا منذ ما يقرب من عقدين من الزمان ناقشوا خلاله وضع صيغة موحدة لقانون حماية التراث المخطوط ، وتضمنت توصياتهم حث الدول العربية على إصدار قانون مخصص لحماية التراث المخطوط في كل دولة على حدة . وتبين بالبحث عدم صدور أي قانون مخصص باستثناء نص مقتضب جاء في قانون الآثار الصادر في دولتين عربيتين.

ثم تبقى أن نطرح السؤال: هل تتوافر الجدوى لإنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث المخطوط ؟

إن الاعتبارات التي طرحت بداية تجيب على السؤال دون أي تردد، يضاف إلى ذلك حقائق عديدة منها :

- ضخامة حجم هذا التراث عددياً وتميز سماته نوعياً.
- تعرضه للتشتت بين أنواع عديدة من الهيئات القادرة وغير القادرة على التعامل معه.
- الفقدان القسري نتيجة ضعف أدوات ضبطه ببليوجرافياً.
- تعدد مناهج فهارسه وتحقيقه.
- وضوح الازدواجية والتكرار في التعامل معه، ضبطًا وتحقيقاً وصيانة واستخداماً.

وقد نخطئ التقدير إذا اعتمدنا على مقولة ضعف الإنفاق «الحكومي، فهناك بلا شك إنفاق يتم عبر قنوات كثيرة . بيد أن الإنفاق في ظل تلك الحقائق التي أشرنا إليها لا يؤدي في الغالب إلى نتائج ملموسة.

وتعتمد جدوى إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث المخطوط على مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى - مرحلة التخطيط :

تستهدف هذه المرحلة وضع خطة شاملة يتم فيها التعرف على :

- حجم التراث العربي المخطوط بصورة شاملة (تطوير دراسات بروكلمان وسزجين)

- المتوافر من التراث العربي المخطوط حول العالم (تجميع فهارسه وأدواته) .

- تقويم مجموعات المخطوطات المتوافرة (صناعة وتأليفًا) .

هذه الخطة تنتهي إلى وضع صياغات بشأن إنشاء شبكة عالمية لمعلومات التراث العربي المخطوط تنحصر مهمتها في إدخال البيانات الببليوجرافية ومستخلصاتها، على أن تركز تلك البيانات على :

- الوصف الببليوجرافي للمخطوطة الأصلية.

- الوصف المادي للمخطوطة الأصلية.

- المستخلص.

- موقع المخطوطة.

على أن تعتمد قاعدة الشبكة على التقنيات الآلية باستخدام التقنيات المتاحة عبر مواصفات شبكة الإنترنت.

ويمكن عند وضع مواصفات الشبكة اختيار البدائل المتاحة من حيث قيامها تعاونياً عبر الجهات المشاركة ، أو قيام هيئة مركزية بإنجازها واستثمارها في ما بعد عن طريق تقديم خدماتها عن بعد لقاء رسوم معينة عبر نوافذ الإنترنت.

والشبكة على هذا النمط تعدل مساراً وقع فيه المخطوط العربي من حيث الضبط مما أدى إلى تعثر السيطرة على ضبطه بطرق سهلة ميسرة ، فقد عمل الببليوجرافيون الأوربيون خلال القرون السابع عشر حتى التاسع عشر إلى

وضعه ضمن مناهج نقد النصوص للتحقق من صحته الزمنية ، ومن ثم إقامة البراهين على صحته الموضوعية ، وهو نهج خصص في الأصل للتحقق من النصوص اللاتينية القديمة ، واستخدم في مقارنة النصوص الشكسبيرية ، ويصعب إعداد القائمين عليه في الوقت الحاضر.

وفهارس المخطوطات في حاضرنا تعد أدوات حصر وإيجاد FINDING TOOLS ، ومن ثم فإن الاقتصار على العناصر التي سبق ذكرها يحقق الأهداف التي نسعى إليها.

المرحلة الثانية - برامج التنسيق والتعاون :

لن يتأتى للشبكة استكمال مقوماتها إلا بوضع برامج للتعاون والتنسيق بين المراكز التي تضم مجموعات من التراث العربي المخطوط ، ولا تتشكل بنية التعاون والتنسيق إلا من خلال برامج حقيقية تتولى وضعها جهة مركزية ثم توالي تعميمها على الجهات المعنية ، ومن تلك البرامج :

١- صياغة برنامج تجهيزي آلي يضع مواصفات :

- الوصف الببليوجرافي للمخطوطات الأصلية.
- الوصف المادي للمخطوطات الأصلية .
- بناء المستخلصات.
- ترميز مواقع المخطوطات

ويتم تعميمه على المكتبات والمراكز المشاركة التي استكملت بنيتها التقنية الأساسية المتوافقة مع متطلبات شبكة الإنترنت.

٢- إعداد برامج تدريبية متكاملة لفهرسة المخطوطات على وفق المعطيات الآلية.

٣- ترويج البرنامج الآلي لكافة الهيئات التي تقتني المخطوطات العربية.

٤- إنشاء صندوق إقليمي أو دولي بمساندة الهيئات المحلية والإقليمية والدولية ، ومنها منظمة اليونسكو لمساعدة الهيئات التي تقصر مصادرها في تمويل مشاريع ضبط التراث المخطوط ، وتقديم المساعدات التجهيزية والمادية لتمكينها من المشاركة في الشبكة.

٥- ربط الهيئات المشاركة بقاعدة الشبكة مما يعين على المشاركة التعاونية في تجهيز بيانات الشبكة .

المرحلة الثالثة - مرحلة تداول النصوص آلياً FULL TFXT :

تتكامل غايات الشبكة بإتاحة تداول النصوص آلياً عن بعد، ويتم في هذه المرحلة استثمار الشبكة مادياً لتحقق الجهات المشاركة مردوداً مادياً لقاء تداول النصوص ، مما يتيح لها إمكانات التطوير المستمر ، بالإضافة إلى ما تحققه الهيئات من استثمار لمجموعاتها من ناحية وترويج للتراث العربي المخطوط من ناحية أخرى.

وتتكامل مجمل غايات الشبكة بإنجاز المرحلة الثالثة حين تتاح النصوص الكاملة للمخطوطات آلياً عبر شبكة عالمية تتحقق لها مظاهر الإنجاز ، كما تتحقق لنا فرص التعريف بأعظم تراث خلدته الإنسانية في عصورها الوسطى، مما يعطي زخمًا لمزيد من الدراسات العلمية للكتاب الإسلامي، صناعة وتأليفاً. وتلك أعظم غايات العناية به.

تجربة جامعة الملك عبدالعزيز :

تخوض جامعة الملك عبد العزيز ممثلة في عمادة شؤون المكتبات تجربة رائدة في هذا الميدان عن طريق البدء في مشروع إنشاء قاعدة معلومات خاصة بمجموعاتها من المخطوطات العربية ، فقد تولت شراء نظام «المستشار» بتجهيزاته التنظيمية والمادية، وعملت على توسيع سعة الإدخال فيه بما يعادل

٥٠٠٠ ميجا بايت ، وأثبتت التجربة إمكانية التوسع المرحلي بحيث يكفي النظام إدخال ما يعادل خمسة آلاف مخطوطة بنصوصها الكاملة.

وتتكامل خطوات التنفيذ عبر المراحل التالية:

١- تحويل حقول فهرس المخطوطات المطبوع إلى برنامج تجهيزي يستند على الحقول التالية :

- حقل الموضوع .
- حقل التاريخ .
- حقل التأليف .
- حقل العنوان .
- حقل الناسخ والمكان .
- حقل الوصف المادي .
- الوعاء .
- الخط .
- الملاحظات المادية .
- حقل المحتويات .
- حقل الترميز .

وتُعد تلك الحقول حقول استرجاع جزئي أو كلي للقاعدة.

٢- إدخال بيانات القاعدة من خلال فهرس المخطوطات المطبوع بناء على الحقول التي يتيحها البرنامج الآلي.

٣- استحضار المخطوطة الأصلية وإجراء المسح الضوئي لكافة نصوصها وتخزينها بالمضاهاة مع الحقول المعدة لوصفها ببليوجرافياً ومادياً.

وقد أنجز حتى الآن ما يقارب ١٠٪ من المجموعات ، والسبب في التأخير هو المراجعة المستمرة في المراحل التجريبية ، ومحاولة تفادي احتمالات الـ GIGO، مما يمكن أن يؤثر على استمرار التجربة.

وقد لاحظنا خلال مراجع التجريب الأولى توفر حد كبير من إمكانية التنفيذ ، مع الأخذ في الحسبان التوسع المستمر في سعة التجهيز الآلي عن طريق إضافة ميجا بايت إضافية، أو البحث عن بديل آخر، وهو تنفيذ النصوص الكاملة على أسطوانات مدمجة، يتم تلقينها آلياً عند الحاجة إليها.

١- مرونة وسهولة مبررة إلى حد كبير.

٢- إمكانية تكبير النص أو الكلمة بمعدلات كبيرة مما يساعد على تحقيق النصوص.

٣- إمكانية إخراج نصوص ملونة يتم استخدامها للتعبير عن السمات المادية في المخطوط.

٤- إمكانية طباعة النصوص كاملة أو جزئية وبثها عن بعد.

وإذا ما قدر لهذا المشروع النجاح، فإنه يؤكد إمكانية قيام شبكة معلومات تعاونية للتراث العربي المخطوط.

***

محتوى شبكة معلومات التراث

د. أيمن فؤاد سيد

مع ظهور الإسلام واتساع حركة الفتوح العربية ورث الإسلامُ أرض الحضارات القديمة، وأسَّس نمطًا حضارياً جديداً استمده من روحه وتعاليمه. وتأثر كذلك بالمعطيات المحلية للبلدان المفتوحة. وامتد الفتح الإسلامي متخطيًا موطن حضارات الشرق القديم إلى حضارات الهند والصين شرقًا، وإلى بلاد الأندلس وجنوب أوروبا غربًا، مؤثرًا ومتأثرًا.

وقد تركت هذه الحضارات المتميزة على امتداد خمسة آلاف عام عطاءات ثقافية وحضارية أَثْرَت التراث الإنساني، وتمثَّلت في عمائر دينية وحربية ضخمة ذات طابع اجتماعي، وآثار ثابتة ومتنقلة كالتماثيل والأحجار والواجهات المنحوتة، وقطع فنية من المعادن والأخشاب والخَزَف والحجر البِلَّوري والمنسوجات والنقائش والمسكوكات ، بالإضافة إلى مئات الآلاف من أوراق البردي والمخطوطات والوثائق الرسمية وحُجَج الأوقاف والسِّجلات الشرعية وأوراق الجنيزة.

وإذا كان كل ذلك يُمَثِّل التراث الذي ورثته الأمة العربية الإسلامية أو الذي ابتدعته ، فإن «المخطوطات العربية» تُمَثِّل بين هذا التراث المُتَنَوِّع السِّجلَّ الحافل للإنتاج الفكري والأدبي والعلمي للأمة الإسلامية على امتداد أربعة عشر قرنًا. وما وَصَلَ إلينا من هذه المخطوطات يُعَدُّ نزرًا قليلاً مما أنتجه العلماء العرب والمسلمون في كافة مجالات المعرفة ، وهذا التراث الضخم تَتَوَزَّعه المكتبات والمتاحف العالمية ، وهو مُسَجَّلٌ فيها بطريقة غير متوازنة، ففي الوقت الذي أخرجت فيه مكتبات ومتاحف أوروبا وأميركا وبعض مكتبات المشرق - فهارس

تُعَرِّف برصيدها من هذا التراث ، فإن قسمًا كبيرًا منه ما زال حبيسَ بعض الخزائن، أو لم يُعَرَّف به تعريفًا جيدًا.

إن هذا الحجم الهائل من المخطوطات والمعلومات التي تشتمل عليها لا يمكن الإحاطة به أو التَّعَرُّف عليه بوضوح بالطرق التقليدية. لذلك فإن التطور التكنولوجي ، وخاصة في مجال المعلومات ، سيفسح لنا الطريق لإمكانية التعرف على مشتملات هذا التراث الضخم وربطها بعضها ببعض، عن طريق بناء قواعد بيانات آلية لموضوعات مختلفة تشتمل عليها هذه المخطوطات أو هذا التراث الكبير بمعناه الواسع.

قاعدة بيانات المخطوطات العربية

أول شيء نبدأ به هو حصر هذا التراث الضخم من المخطوطات العربية والإسلامية التي تمثل وعاء هذه المعلومات التي نسعى إليها. ففي سبيل التعرف على هذا التراث قامت محاولات متعددة لبناء قواعد بيانات للمخطوطات العربية والإسلامية ، ولكنها جميعًا بدأت وتقدمت بدون تنسيق بين أصحابها وبدون اعتماد «استمارة مُوَحَّدَة» لإدخال البيانات المطلوبة ، فهناك قاعدة في مصر، وأخرى في سورية، وثالثة في تركيا، ورابعة في السعودية، بالإضافة إلى قواعد بيانات أخرى في مناطق مختلفة في أوروبا.

والهدف الأساسي من هذه القاعدة هو تمكين الباحثين من استرجاع بيانات عن هذه المخطوطات عن طريق العنوان ، والمؤلف ، والموضوع وتفريعاته، وتاريخ النّسْخ، وأسماء النساخ، وأصحاب السماعات والقراءات، وأسماء الذين تملكوا هذه المخطوطات، وأسماء الذين وقفوها،والجهات الموقوفة عليها.

وحتى يتم هذا العمل فإنه يتطلب إعادة فهرسة جميع المجموعات المعروفة لنا، فأغلب فهارس المخطوطات المنشورة تُعنى بالبيانات الببليوجرافية أكثر من عنايتها بالبيانات الكوديكولوجية ، وهذه البيانات الأخيرة هي التي ستمكننا من

إعادة بناء أغلب المجموعات القديمة والتعرف على رحلة المخطوطات وانتقالها من مكانٍ إلى آخر، والنسخ الأكثر استخدامًا والأكثر درسًا بين طلاب العلم، والكتب التعليمية، والكتب النادرة... إلخ.

وقد أشرتُ في ورقة سابقة إلى أن مجموعة دار الكتب المصرية التي تُعد من أكبر المجموعات المتكاملة (أكثر من ٥٥,٠٠٠ مخطوط و٧٠٠٠ مؤلِّف) تمثل أساسًا طيبًا لبناء قاعدة بيانات المخطوطات العربية أو «الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط»، بعد أن تم توثيق بيانات هذه العناوين وهؤلاء المؤلفين.

وقد سبق أن أوصت «الندوة العلمية لتطوير دار الكتب المصرية»، التي عقدت في القاهرة يومي ٧ و٨ يوليو سنة ١٩٩٣ (توصية رقم ٦) بـ:

«ضرورة عقد اجتماع لخبراء مراكز المخطوطات المتخصصة للاتفاق على توحيدٍ للمداخل والبيانات المستخدمة في بناء قاعدة معلومات متكاملة تساعد على تحقيق الخطوات الأساسية نحو الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط».

وكسائر التوصيات التي تصدر عن مثل هذه الندوات فلم يعقد مثل هذا الاجتماع. ولعل في جمعنا الموجود الآن فرصة مواتية للاتفاق على اجتماع يخصص فقط لبحث هذا الموضوع والخروج باستمارة بيانات موحدة للفهرسة الآلية للمخطوطات العربية.

قاعدة بيانات المخطوطات العربية المطبوعة

وإذا كان التعرف على المخطوطات العربية يشغل بال المتخصصين ، فإن التعرف على ما نُشر من هذه المخطوطات، سواء في طبعات علمية محققة أو طبعات تجارية، أو ما نُشر في مجلات متخصصة، مما يشغل بال المتخصصين أيضًا. ولعل في الأعمال البيليوجرافية الكثيرة التي اهتمت بحصر التراث العربي المطبوع ممثلة في مؤلفات يوسف إليان سركيس، وصلاح الدين المنجد،

وجورج شحاته قنواتي، ومحمد عيسى صالحية، نواة جيدة لبناء قاعدة بيانات للتراث العربي المطبوع، يسترجع من خلالها هذه الكتب عن طريق: عناوين هذه الكتب، وأسماء مؤلفيها، وأسماء المحققين والناشرين، ودور النشر المختلفة، والدوريات المتخصصة في نشر التراث.

قاعدة بيانات الدراسات الخاصة بعلم المخطوطات:

تشتمل هذه القاعدة على بيانات تفصيلية عن فهارس المخطوطات العربية والشرقية المطبوعة في العالم، والدراسات الخاصّة بعلم المخطوطات التي تعتني بالمخطوط باعتباره أثرًا من حيث المواد المكتوب عليها: بردي - رَقّ - كاغَد، التزاويق والمنمنمات، الوقفيات والسماعات والقراءات المثبتة على النُّسَخ، وعلامات التملك والمطالعة، وحَرْد المتن ... إلى غير ذلك من العناصر التي لا ترتبط بنصّ الكتاب الذي كتبه المؤلِّف.

قاعدة بيانات العلماء العرب:

تُمَثِّل كتب التراجم والوفيات في التراث العربي قسمًا كبيرًا من هذا التراث، والاستفادة من هذه الكتب في غيبة قاعدة بيانات تربط معلومات هذه الكتب بعضها ببعض، قد لا يُمكِّن الباحث من الاستفادة المثلى من هذه الكتب.

وقد بدأ «معهد الأبحاث وتاريخ النصوص» Institut de recherche et d'histoire des Textes التابع للمركز الوطني للبحث العلمي في باريس Centre national de la recherche scientifique - Paris منذ نحو ثلاثين عامًا مشروعًا رائدًا لتحليل بيانات كتب التراجم الكبرى بعنوان ONOMASTICON ARABICUM، بدأ فيها بكتاب: «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي الذي يشتمل على سبعة آلاف ترجمة لأفراد عاشوا في الفترة بين سنتي ١، ١٠٠٠ للهجرة، وكتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، وكتاب «النور السافر»

للعَيدروس، وكتاب «مطلع البدور ومجمع البحور» لابن أبي الرجال، وهو في تراجم رجال الزيدية في اليمن.

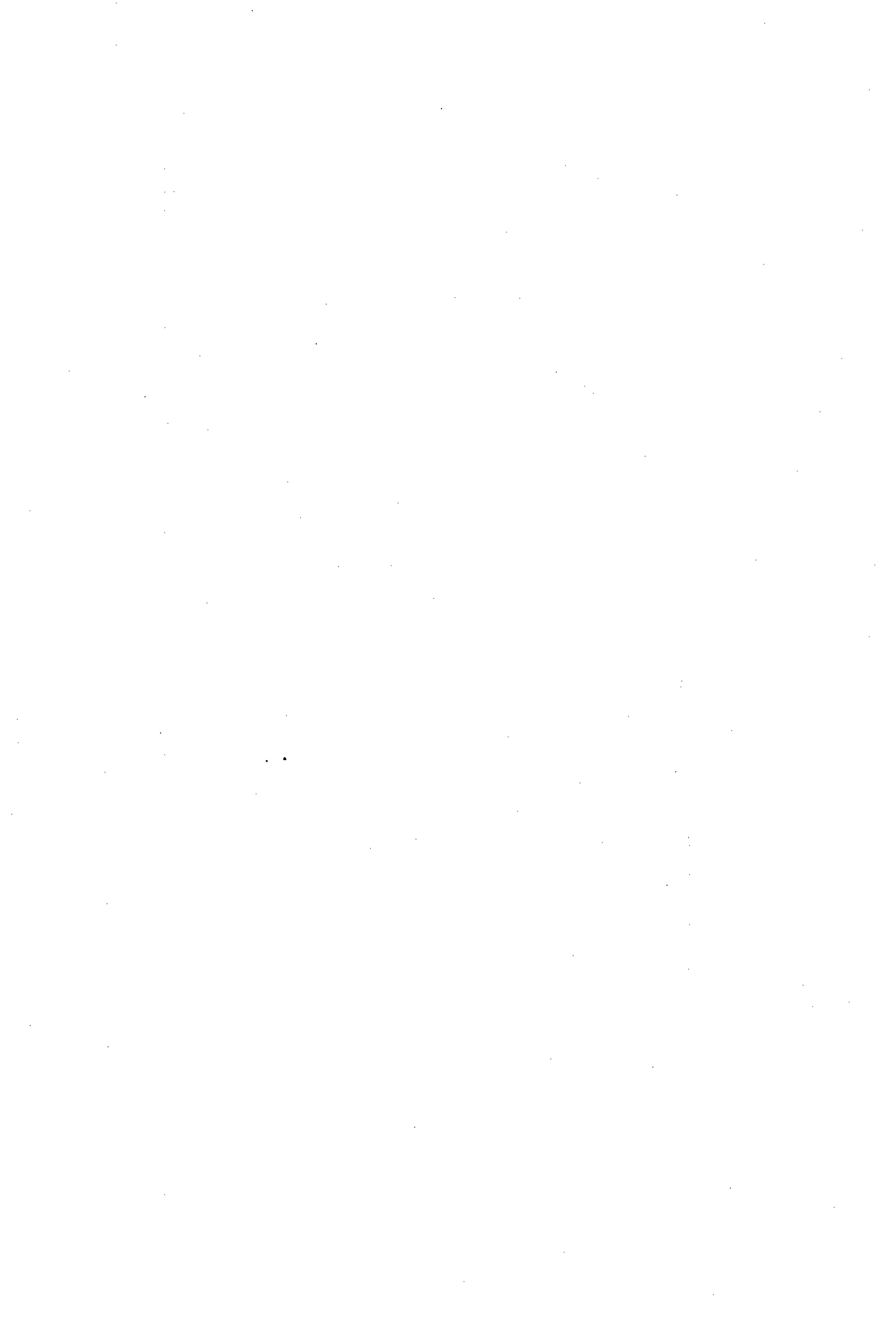
ومع تَقَدُّم تكنولوجيا المعلومات، أصبح الآن من اليسير تخزين بيانات جميع كتب التراجم والطبقات المنشورة وربط بعضها ببعض، للوصول إلى معلومات متكاملة عن أصحاب هذه التراجم (الأسماء والكنى والألقاب، تواريخ الميلاد والوفاة، أسماء الشيوخ والتلاميذ، الرحلة في طلب العلم، الوظائف التي تولوها، المهن التي امتهنوها، المذهب، العقيدة، عناوين المؤلفات. . . إلخ).

ويمكن أن تتوزع هذه القاعدة مراكز علمية مختلفة تبعًا لاختصاصاتها، فهناك من يقوم ببناء قاعدة بيانات لمعطيات كتب الجرح والتعديل، وآخر يقوم ببناء قاعدة بيانات لكتب فقهاء المذاهب المختلفة، أو كتب التراجم النوعية (الأدباء - الشعراء - الأطباء والحكماء - النحاة واللغويون - القراء. . . إلخ).

قاعدة معلومات المصطلحات النوعية

إن المشتغلين بالحضارة الإسلامية في حاجة دائمًا إلى تعريفات للمصطلحات الواردة في كتب التاريخ والحضارة وتطور استخدامها والتي لم ترد في المعاجم اللغوية. وهو عمل كان قد قام به في القرن الماضي المستشرق الهولندي رينهارت دوزي R.Dozy في كتاب «ملحق المعاجم العربية» Supplement aux Dictionnaire Arabes ، ولكن مع توالي نشر الكتب التاريخية والموسوعات الضخمة، وخاصة التي ترجع إلى عصر المماليك ، فإننا نستطيع - اعتمادًا على ما ورد بهذه الكتب والموسوعات - تحديدَ هذه «المصطلحات» وربطها بعضها ببعض ومعرفة تطور استخدامها والمعاني المختلفة لها.

* * *



تعقيبات ومداخلات

■ **د. حامد عبدالرحيم عيد:**

تحدث د. طاشكندي بشكل مستفيض عن ثلاثة محاور:

المحور الأول عن التراث العربي وخريطة توزعه على مختلف بلدان العالم . ولقد أحزنني أن يكون جزء من هذا التراث في حوزة كثير من بلدان أوربا، وحقاً هم يعتنون به أشد الاعتناء إلا أننا أولى به منهم!

وكان المحور الثاني عن حجم التراث العربي على وجه اليقين، فثمة أعداد كبيرة منه متناثرة في بلدان كثيرة من العالم، يُعد حصرها الحصر الدقيق عملاً عسيراً.

أما المحور الثالث فعن تنشيط دور معهد المخطوطات ليكون أكثر بروزاً في الحياة الثقافية.

وفي ختام بحثه آثار سؤالاً عن جدوى إنشاء شبكة عربية للمعلومات حول التراث المخطوط، وأفاض في الحديث عن جدوى الشبكة ومسيس الحاجة إليها في الوقت الراهن، ولقد سعدتُ كثيراً بتجربة جامعة الملك عبد العزيز من أجل إنشاء شبكة من هذا الطراز، ومثل هذه التجربة - في رأيي - يمكن أن يُعتد بها في الشبكة التي نزمع إنشاءها.

ثمة مشروع تمت الموافقة عليه من جامعة القاهرة، هو إنشاء مكتبة إلكترونية على شبكة الإنترنت في مجال تاريخ العلوم والتكنولوجيا في العصرين الفرعوني والإسلامي، وكما هو واضح فإن هذا المشروع مرتبط بتاريخ العلم والتراث العلمي عند العرب ، مما يرفع - ولو جزءاً صغيراً - من الحيف الذي

لحق به ، والذي سبق أن أشار إلى شيء منه د. غسان اللحام.

إن هذا المشروع الذي شرعنا في تنفيـذه ليس نهاية المطاف، بل هو جزء من الشبكة الكبيـرة التي نحلم بإنشائها، وذلك بالاستعانة بالتـجارب التي خضناها في هذا الصدد، مثل تجربة د. طاشكندي التي سبق أن أشرتُ إليها.

■ **د. غسان اللحام:**

بحثا د. طاشكندي ، ود. أيمن فؤاد بحثان جيدان ، ويبدو لي أن لا مزيد يمكن أن يضاف إلى ما قـدماه ، غير أني أحب أن أنبه إلى أن ثمة فـهارس بها معلومـات قد لا تكون مـوجودة في فهـارس أخرى ، بمعنى أن هناك حـقولاً موجودة في بعض الفهارس، ولا وجود لها في الفهارس الأخرى، بل إن سعة المعلومات الموجـودة في هذه الحقول قد تخـتلف من فهرس إلى آخر، فـعندما نعتمد خطة حـديثة لتوثيق المخطوطات، ينبغي أن تكون هذه الفهـارس مساعدة في جمع المعلومات، ولكنها لا تغني - بحال من الأحـوال - عن جهود كبيرة يجب أن تُبذل من أجل تحـديد خطة لفهرسـة المخطوطات تتضح منها الحـقول التي نحتـاج إليهـا في هذه الخطة ، ونوعيـة المعلومات التي سـتُوضع في هذه الحقول.

وفي ما يخص التـقنيات الحديثـة وكيفـية الإفادة منها فـي الشبكة التي نريد إنشاءها، فإن هناك تفاوتًا كبيرًا في استخدام هذه التقنيات على مستوى مكتبات المخطوطات في الوطن العربي، فثمة مكتبات قطعت شوطًا كبيرًا جداً في مجال التحديث، وثمة مكتبات على الطرف الآخـر لم تكمل بعد فهرسة ما لديها من مـخطوطات، وبين هذين الـطرفين تتـفـاوت حظوظ المكتـبـات الأخـرى من التحديث. والمكتبـات التي لا تحتوي على تقنيات حديثة لن تـستطيع أن تتعاون مع غـيرها من المـكتبـات، سواء داخـل القطر الواحد أو في الأقـطار العربيـة الأخـرى، أو حتى خـارج هذه الأقطار، ومن ثم فإن الإسـراع بتحـديث هذه

المكتبات أمر ضـروري حتى تستطيع خدمات الشبكة أن تعم أكبـر مساحة ممكنة من أقطارنا العربية.

ومما هو بسبـيل من التقنيات الحديثـة أيضًا أن ننشئ مركزًا لإنـتاج الأقراص الليـزرية ، نضع عليـهـا فـهـارس المخطوطات، ويمكن أن نشـجع مكتـبـات المخطوطات على أن تقتنـي التجهيـزات التي تمكنها من تخـزين المعلومات على الأقراص الليزرية، ثم نتبادل هذه الأقراص في ما بيننا.

ثمة اقتـراح آخر، وأرجو أن يصبح توصـية نخرج بها، وهو أن نـعقد ندوة يشارك فيها المسؤولون عن المخـطوطات، والمسؤولون عن تطبيق التكنولوجيا في مجال المعـلوماتية؛ لنخرج بكلمـة واحدة حول عمليـات توصيف المخطوطات والعناصر اللازمة لفهرستها، ثم نستـعرض بعد ذلك كل خيارات التقنية الحديثة الموجودة ، فنختار منها ما يتوافق مع أقطارنا العربية.

■ **د. محمود الطناحي:**

أعتقد أن الذي وضع برنامج العمل في هذا اليوم قـد وُفق توفيقًا كبيرًا حين جمع بين موضوعين متسقين هما: إشاعة الثقافة التراثية، ثم إنشاء شبكة عربية للمعلومات، فإن الموضوع الأول ضروري للثاني.

الحق أن ثمة خصوصـية لتراثنا العربي، وبخاصة مـا يتصل منه بالنصوص، فينبغي أن تؤخذ مساهمة الكمبيـوتر في هذا المجال بحذر؛ فقد بسط الكمبيوتر الآن سلطانه على كل أنشطة الحيـاة، فضبط حركـتها ونظمها، غـير أن تحكيم الكمبـيوتر في النصـوص العربية - كـما ذكرت آنفًـا - يعرض التـراث لبعض المحاذير والمخاطر!

ولقـد رأيتُ في الإمارات في الـعام الماضي، تجـربة في هذا الصـدد، فقـد أدخلوا كتب الـسنة مُسَجَّلة على الكـمبيـوتر، فوجدت بعض التـخليط، وهذه مسألة خطيرة مرتبطة بتكوين المثقف التراثي، وقد أشار إلى شيء منها د. أيمن،

لأن المسألة ليست أن نُعد إنسانًا يقدر على تحريك الأزرار.

وجدتُ في هذه التجربة الإماراتية مُحَدِّثًا معروفًا اسمه: عياش بن حمار المجاشعي - هكذا اسمه - فكأن الذي وضع الاسم على الكمبيوتر لم يرتح لهذا الاسم، فجعله عياش بن حماد. ثمة خصوصية إذن لتراثنا، فأرجو أن نتنبه لها ونحن نستخدم الكمبيوتر، فقد تحدث مشاكل في عنوانات الكتب أيضًا، مثل إصلاح المنطق، فقد وضع أحد المفهرسين هذا العنوان في علم المنطق، وهو في اللغة، وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف وُضع في بعض الفهارس على أنه في علم الحديث، وهو خاص برسوم الخلافة والسلطنة، وكتاب المعجم الكبير للطبراني وُضع في المعاجم، على الرغم من أنه كتاب في الحديث.

لابد إذن أن نتنبه إلى هذه المحاذير والمخاطر التي قد نقع فيها، ونحن نسجّل نصوصًا تراثية على الكمبيوتر، وقبل ذلك يجب أن نعد المثقف التراثي إعدادًا سليمًا.

■ **د. محمد عبدالرحمن الربيع:**

أقترح في ما يخص الشبكة أولاً أن نقوم بتحديد الآليات والأهداف، ثم نختار جهة تكون هي الأساس، ولا ننشىء أشياء جديدة، لأن الإنشاءات لها تكاليفها الباهظة، ثم يتم العمل بعد ذلك من خلال أطراف متعددة حسب تنظيم واحد، فيعمل كل منا في ما لديه على الشبكة. وبهذه الطريقة يكون الموضوع محصورًا - على الأقل في مرحلته الأولى - في الفهرسة مثلاً، ثم تأتي قضية إدخال النصوص في ما بعد، لأنها قضية لها آليات مختلفة ومشاكل كثيرة، إلى جانب تكاليفها الكبيرة.

أما ما رصده د. الطناحي من أخطاء في تجربة دولة الإمارات في إدخال النصوص، فإن هذه ليست أخطاء الكمبيوتر، بل أخطاء المتعاملين معه، الذين

لم يكونوا مهيئين ليحسنوا التعامل مع النصوص التي يريدون إدخالها.

ثمة مشكلة أخيرة، وهي أن كثيرًا من المخطوطات موجود في مكتبات أو أماكن لا تستخدم التقنية، ومثل هذه الأماكن يجب أن نلتفت إليها، ونعمل على تنشيط معهد المخطوطات، حتى يعود إلى كامل عافيته وقوته، فيقوم برحلات إلى أماكن هذه المخطوطات المدفونة في الأقبية والزوايا، فيصورها، ومن ثم تكون الأمور متكاملة.

■ **أسامة النقشبندي:**

البيانات المطلوبة من إدخال وتحديث وتعديل واسترجاع، تعد عناصر لتوثيق المخطوطات يمكن الحصول عليها من الفهارس أو من القوائم، وقد استطعنا في العراق ، أن ندخل مجموعة كبيرة من الفهارس على الكمبيوتر كانت قد صدرت عن دار صدام للمخطوطات، وجارٍ العمل الآن على إمدادها باستمارة تضمنت كل ما ذكره د. أيمن حول المخطوطات وعنواناتها وموضوعاتها ومؤلفيها وتراجمهم وأسماء النساخ، بالإضافة إلى معلومات أخرى كثيرة تتعلق بالمخطوطات من جوانبها المختلفة.

أما كتابا كل من بروكلمان وسزجين، فإنهما من المصادر التي تهم المحققين والمفهرسين على السواء، غير أن ثمة نقطة يجب التنبه إليها، وهي أن كلا الرجلين كان يعتمد أحيانًا على السماع لا على الاطلاع المباشر، وفي ذلك من الخطورة ما فيه، فقد تنتقل المخطوطات التي رصداها في كتابيهما من أماكنها التي ذكراها إلى أماكن أخرى جديدة.

أما النديم فإن كتابه «الفهرست» لا شك في أهميته، فقد سجل لنا إنجازات العرب في مختلف العلوم والمعارف حتى نهاية الفترة التي عاشها، وقد شُكلت لجنة من قِبَل المجمع العلمي العراقي، وأنا عضو فيها، تهدف إلى وضع الكتاب

وكل ما يتعلق به، على قرص ليزري، وقد قطعنا شوطًا كبيراً في ذلك.

أما شبكة المعلومات على الإنترنت، فأنا مع من يتحفظون عليها، وأحسب أن تحفظ د. الطناحي في محله، وإذا لم يكن هناك بد من ذلك، فإن إعداد العاملين في هذا الأمر لابد أن يخضع لشروط صارمة، وأن يُعد هؤلاء العاملون إعدادًا جيدًا، وإلا وقعنا في أخطاء كالتي رصدها د. الطناحي تكثر مع الأيام، ولا نستطيع لها مرداً.

■ **د. محمود فهمي حجازي:**

أصبح الوعي الآن واضحًا بأهمية إيجاد شبكة لمعلومات التراث العربي، وأقترح أن تخصص ندوة لهذا الموضوع، وذلك على أساس أوراق عمل محددة هي :

- أن يكون التنفيذ على مراحل، أسهلها وضع الفهارس والمعلومات المتاحة على الكمبيوتر.

- استكمال الفهرسة في المكتبات البعيدة في مرحلة تالية.

- التعاون مع المكتبات الصديقة التي بها تراث عربي مخطوط.

- وضع النصوص العربية التراثية على الكمبيوتر كاملة ، مع الأخذ في الاعتبار التحفظات التي أثيرت حول ذلك.

- إيجاد مواصفات علمية نستطيع أن نتجنب بها التصحيف والتحريف وما إلى ذلك.

- اعتبار التحفظات الخاصة بالتقنية التي تتضمن عدم التدخل وعدم التزوير وعدم الإهدار.

أما قضية الدقة في الفهارس، فيمكن أن نحكي عنها إلى يوم الدين، حتى

أدق الكتب أو التي يُتصور فيهــا الدقة أو يُنتظر منها ذلك، هذه الكتب لا تنجو من الهنات في عنوانات المخطوطات أو أسمــائها أو ما يتعلق بها . إن القـضية الحقيقية هي إتاحة أكبر قدر ممكن من المعلومات بأكبر قدر متاح من الدقة.

■ **د. مراد الرماح:**

ثمة خصوصية لبعض مكتبات المخطوطات في الوطن العربي، ومن ثم تحتاج إلى استمــارة تختلف شيئًا ما عن الاســتمارات الأخرى المسـتعملة في البلدان العربية الأخرى ، وأضرب مـثلاً على ذلك بمكتبة القيروان، فإن فيــها استمارة خاصــة بالمصاحف غــاية في الدقة، ولا يســتطيع التعــامل معــها إلا مَن تمرس بعلامات الشكل والوقف وغير ذلك مما يخص المصاحف.

أما مسألة الأخطاء التي ترد في شبكات الإنترنت، فإن هذه أخطاء كالتي ترد في الفهــارس الورقية، حــتى لو قام بها أناس ذوو خـبرة في الفهــرسة، بل إن الأخطاء الواردة على الشبكات من الممكن تداركها بسهولة أكثر من تلك الواردة في فهارس عادية مطبوعة على ورق.

■ **حسين المزوغي:**

ثمة قاعدة بيانات على الإنترنت تزمع دار الـكتب الوطنية التونسية إنشاءها، وذلك بالتعاون مع منظمــة اليونسكو ، تضم هذه القاعدة مجـموعة من الكتب والمخطوطات النادرة الــتي تملكهــا الدار، وحــبــذا لو تم التــعــاون بين مــركــز المعلومات المصري والدار لدينا في هذا الصدد، فإن للمركز المصرى تجربة سابقة في ذلك.

■ **د. أيمن فؤاد سيد:**

في مــا يتـعلق بالأخطاء التي قــد تقع من العــاملين في إدخــال النصــوص التراثــية، فإن هذا أمــر خطير، ويســتدعي عــمل دورة تدريبيــة يتولاها مــركز

المعلومات ودعم اتخاذ القرار أو معهد المخطوطات، وحبذا لو خرجنا في آخر هذا الاجتماع بتوصية بذلك.

■ **إجلال بهجت:**

نعت كثير من المتحدثين الشبكة بأنها موحدة ، ولم يقل أحد بذلك، فليس من الضروري أن يكون كل شيء موحداً فيها ؛ خصوصًا وهي مازالت في بدايتها، وتوحد الشبكة أمر قد يأتي شيئًا فشيئًا ، كنتيجة للتعامل المثمر بين مكتبات المخطوطات في الوطن العربي.

وبخصوص سلبيات الشبكة والتحفظات عليها، فإن أحداً لم يقل بأن الشبكة دون عيوب، غير أن البداية شيء لابد منه مهما كانت العيوب، وقد نقدر على تداركها في ما يأتي من أيام، أما أن ننتظر حتى يكون كل شيء في الشبكة مكتملاً ثم نبدأ، فهذا شيء غير معقول!

■ **د. أحمد نظيف:**

اسمحوا لي في نهاية هذه الجلسة أن ألخص بعض الأفكار والمقترحات التي أرجو من القائمين على هذا الاجتماع، أن تكون في الاعتبار عند تلاوة التوصيات:

- ثمة اتفاق حول ضرورة بداية عمل الشبكة، والانتقال من مرحلة التبشير بها إلى مرحلة التنفيذ، ولا أحسب أن شكاً لايزال موجوداً حول جدوى إنشاء هذه الشبكة، فقد وضح للجميع أهميتها، ووضعت اقتراحات محددة للبداية ، وأهمها عقد اجتماع تنفيذي يتبناه معهد المخطوطات إلى جانب مؤسسات أخرى عاملة في هذا الصدد.

- لن يتم تنفيذ الشبكة بين يوم وليلة كما قد يظن البعض، بل إن هذا أمر سيتم مرحلياً، وينمو مع الوقت، ولن تكون هناك مشاكل على الأقل من

الناحيـة الفنيـة بين مكتـبات المخطوطات من حـيث تحـضيـر كل واحدة منهـا للشبكة.

- ثمة حتمية لا إرادية لإنشاء هذه الشبكة، ولو لم نقم بإنشائها نحن، فإنها ستظهر إلى الحياة ولو بصورة عشوائية.

- لابد من الابتـعـاد عن النمطيـة، فلم يعـد لهـا مكان في عـالم اليـوم، والتكنولوجيا تتيح بسهولة أن نتكامل، ونحصل في النهاية على ما نريد.

- الأخطاء الناتجة عن إدخـال النصوص التراثية على أجـهزة الكمبيـوتر أمر وارد، ولا سبيل إلى مواجـهته إلا بأن تكون عملية الإدخال هـذه على مستوى عال من الجـودة، ويتم مراجعتـها من قِبَل مراجـعين على مستول عـال أيضًا. وبالإضـافة إلى ذلك فـإن تدريب العامـلين في إدخال الفـهارس أو النصـوص التراثية على أجهزة الكمبيوتر أمر ضروري ، وأعتقد أن هذا الأمر سيكون جزءًا من الخطة التنفـيذية التي سنصل إليـها في الاجـتمـاع التنفيذي الـذي سبق أن اقترحته.

***

الجلسة الختامية





التقرير الختامي والتوصيات

د. فيصل الحفيان

■ **د. عبد الله يوسف الغنيم (رئيس الجلسة) :**

هذه هي الجلسة الختامية، وفيها نستمع إلى التقرير الختامي والتوصيات يتلوها د. فيصل الحفيان ، يليه د. محمد عبد الرحمن الرُبيِّع ، الذي يلقي كلمة بالنيابة عن المشاركين في هذا الاجتماع ، وأخيرًا يلقي د. أحمد يوسف أحمد محمد ، مدير المعهد ، كلمة يختم بها هذا الاجتماع المبارك .

فليتفضل أولاً د. فيصل الحفيان .

* * *

عقدت الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي اجتماعها الثالث يومي الأحد والاثنين الموافقين ١٥ و١٦/ ١١/ ١٩٩٨ ، بحضور معالي الأستاذ محمد الميلي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومعالي الدكتور عبد الله يوسف الغنيم رئيس الهيئة للدورة الماضية .

بدأ الاجتماع بكلمة للأستاذ الميلي ، أعقبتها كلمة للدكتور الغنيم . ثم اقترح الأستاذ الميلي استمرار الدكتور الغنيم في رئاسة الدورة المقبلة ، تقديرًا للجهود التي يبذلها في خدمة التراث ، سواء داخل بلده - الكويت ، أو على المستوى العربي . وقد أمَّن الأعضاء على الاقتراح .

شارك في الاجتماع أعضاء يمثلون ثلاثة عشر بلدًا عربياً هي : الأردن ، والإمارات ، وتونس ، والجزائر ، والسعودية ، وسورية ، والعراق ، وفلسطين ، وقطر ، والكويت ، ومصر ، وموريتانيا ، في حين تغيبت :

البحرين ، والسودان ، والمغرب .

هدف الاجتماع إلى استكمال رسم ملامح الصورة العامة للتراث المخطوط في البلدان العربية ، ومتابعة ما جد في أوضاعه خلال الدورة الماضية ، وإنقاذ التراث المخطوط المهدد بالتلف في عدد من المناطق ، داخل الوطن العربي وخارجه ، وحث المراكز والهيئات والمؤسسات الخاصة التي تعمل في حقل التراث على القيام بدور أكبر في خدمته ، وبناء مشروعات مشتركة ذات صلة وثيقة بقضايا المخطوطات العامة وهمومها بين المعهد ومراكز التراث العربية والرسمية ، ومراكز التراث الخاصة من جهة ، ويبن المراكز وبعضها من جهة أخرى . وإنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث ، وإشاعة الثقافة التراثية وإطلاق التراث من إسار النص إلى فضاء الخطاب .

وتحددت محاوره في النقاط التالية :

- بحث حالة التراث المخطوط في البلدان العربية ومتابعة ما جد في أوضاعه بين الاجتماعين السابق والحالي .

- وضع الخطط القابلة للتنفيذ لإنقاذ التراث المخطوط في المناطق التي يتعرض فيها للتهديد ، والبدء بمخطوطات فلسطين .

- تدارس الجهود التي تبذلها مراكز التراث ومؤسساته ، وتبادل الرأي في مجال وضع أولويات للتعاون في مشروعات مشتركة ، ثنائية أو متعددة الأطراف .

- وضع الدراسات اللازمة ، دراسات الجدوى والمحتوى الخاصة بإنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث .

- بحث السبل والوسائل الكفيلة بجذب الشباب إلى التراث وإشاعته بينهم ، وربطهم به ، حتى يصبح جزءاً من نسيج الحياة الثقافية العصرية .

وقد بلغ عدد الأعضاء الحاضرين ١٨ عضواً . وتغيب خمسة أعضاء من البلدان التالية : البحرين ، والسودان ، ومصر ، والمغرب .

كما شارك في الاجتماع عضو يمثل أحد المراكز الخاصة العاملة في حقل التراث ، وتغيب عضوان يمثلان مركزين آخرين .

وشارك في الاجتماع أيضًا تسعة من أعضاء الهيئة الاستشارية للمعهد ، وتغيب سبعة .

انصبت بحوث الهيئة ومناقشاتها ومداخلاتها في سبع جلسات ، أولاها الافتتاحية ، وأخراها الختامية .

وخصصت الجلسة الثانية لمحور حال التراث المخطوط في البلدان العربية ، وقد رأسها د. غسان اللحام وتحدث فيها الأعضاء الجدد ، أو الذين يحضرون لأول مرة ، وكان للأعضاء الذين حضروا الدورة الماضية مداخلات .

الجلسة الثالثة خصصت لموضوع إنقاذ مخطوطات فلسطين ، ورأسها د. محمود فهمي حجازي ، وتحدث فيها د. حمد أحمد عبد الله يوسف ، والأستاذ عصام محمد الشنطي ، وعقب على البحثين المقدمين د. محمود علي مكي ود. محمود محمد الطناحي .

أما الجلسة الرابعة فقد كان موضوعها «دور المراكز الخاصة في خدمة التراث». ورأسها د. عبد الله محارب ، وتحدث فيها كل من الأستاذ محمد إبراهيم الشيباني رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت ، ود. عبد الستار الحلوجي الذي عرض البحث الذي قدمه د. كمال عرفات نبهان مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن ، بعد أن حالت ظروف دون حضوره . وعقب على بحثي الجلسة د. عادل سليمان جمال .

استهل اليوم الثاني بالجلسة الخامسة ، التي كان موضوعها إشاعة الثقافة التراثية ، وقد رأسها د. عبد الله يوسف الغنيم ، وتحدث فيها د. عدنان

درويش ، ود. يوسف زيدان ، وعقب د . عبد الستار الحلوجي ، ود. عبد الكريم عوفي .

أما الجلسة السادسة فخصصت لـ «إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث» ، وقد رأسها د. أحمد نظيف ، وتحدث فيها د. عباس صالح طاشكندي عن جدوى الشبكة ، ود. أيمن فؤاد سيد عن محتوى الشبكة ، وعقب د. حامد عبد الرحيم ، ود. غسان اللحام .

وقد تركت مساحة زمنية للحوار في نهاية كل جلسة .

الجلسة السابعة - وهي الختامية - تضمنت كلمة المشاركين ، وكلمة الدكتور أحمد يوسف أحمد محمد المشرف على المعهد .

هذا وقد أسفرت المناقشات والمداولات عن التوصيات التالية :

١ - وضع إستراتيجية للعمل في التراث العربي المخطوط ، وعقد مؤتمر لكل المؤسسات المعنية لوضع مخطط مبدئي على أن يرعى هذا الاجتماع معهد المخطوطات العربية .

٢ - تشجيع الدول العربية علي إنشاء هيئات ولجان تُعنى بحماية التراث العربي تكون نواة لإنشاء «اتحاد عربي» لهذا الغرض .

٣ - دعوة المعهد لإجراء استبيان للأفكار والمقترحات الخاصة بتحديد الحالات العاجلة لإنقاذ المخطوطات في شتى بقاع العالم ، وتسجيل بدايات الأعمال الببليوجرافية والحقيقية في التراث لضمان استكمالها .

٤ - التأكيد على إنشاء معاهد دائمة وبرامج مستمرة في الجامعات والمؤسسات التراثية لتدريس مناهج التحقيق مع ما تحتاج إليه من علوم مساعدة كالببليوجرافيا والكتابة العربية وعلم النصوص وعلم المخطوط والتاريخ وغيرها .

٥ - إعداد أجيال من الببليوجرافيين في مجال النصوص والمخطوطات العربية الإسلامية ، لديهم الوعي بالتقنيات الحديثة بما يعمل على استحداث شبكة عربية للتراث العربي على أسس علمية سليمة.

٦ - الكتابة إلى وزارات التعليم العالي ورؤساء الجامعات العربية للفتهم إلى خطورة القرار الذي اتخذ بخصوص عدم قبول التحقيق في الرسائل الجامعية ، وفي ترقيات الأساتذة .

٧ - دعوة المعهد لإجراء اتصالات مع الجهات المعنية العربية ، وبخاصة صاحبة القرار ، للمطالبة بإيلاء مسألة إنقاذ مخطوطات القدس أولوية ، وتوفير العون الفني والمالي للمؤسسات المعنية.

٨ - الحث على وضع مؤلفات تعرِّف بالتراث وأهميته ، واختيار نصوص منه على وفق اعتبارات مختلفة ، وتقديمها للأجيال الجديدة ، في حالة تناسب العصر .

٩ - دعوة المراكز الخاصة التي تعمل في حقل التراث إلى زيادة التواصل والتعاون مع معهد المخطوطات العربية من ناحية ، ومع المراكز والمؤسسات المعنية بالتراث من ناحية أخرى .

١٠ - الدعوة لتكامل الجهود في نشر التراث وطباعته ، وبذل الجهد لاختيار عيون الكتب التراثية وتحقيقها ونشرها ، وبخاصة تلك الكتب الموسوعية أو الكبيرة التي نشرت بعض أجزائها ولم تستكمل .

١١ - العناية بالوثائق التاريخية العربية بوصفها عنصراً هاماً من عناصر الهوية الثقافية .

١٢ - تعميم بطاقة الفهرسة المعتمدة في معهد المخطوطات العربية على مراكز المخطوطات العربية الحكومية والخاصة للاعتماد عليها ، أو الإفادة منها في صناعة ما تصدره من فهارس ، تمهيداً لإخراج فهرس موحد للمخطوطات العربية .

١٣ - تشجيع المؤسسات العلمية على نشر الثقافة التراثية من خلال نصوص مختارة يراعى فيها التنوع في المادة ، مع التركيز على التراث العلمي الذي لم ينل قدراً كافيًا من الاهتمام .

١٤ - دعوة المنظمة لتنفيذ إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث ، والإفادة في ذلك من خبرة مراكز المعلومات ذات الصلة في الوطن العربي ، وعقد اجتماع تنفيذي لهذا الغرض .

١٥ - تأليف معجم موسوعي يضم المصطلحات المتعلقة بالمخطوطات ويجمع شتاتها في كتب القدماء والمحدثين ، ويُعنى بمصطلحات الوراقة والببليوجرافيا والفهرسة وعلم المخطوط ومناهج التحقيق وعلاقات النصوص ، وغيرها .

١٦ - تطوير التشريعات التي تيسر تداول المخطوطات وتصويرها في أشكال وعائية مختلفة .

***

كلمة المشاركين

د. محمد عبد الرحمن الربيع

نيابةً عن إخواني وزملائي المشاركين في هذا الاجتماع ، نتوجه بالشكر الجزيل للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مُمثَّلة في معهد المخطوطات ، على تنظيم هذا الاجتماع المفيد .

لقد استفدنا كثيراً من هذا الاجتماع ، ومما أُلقي فيه من بحوث ، وما دار في جلساته من مناقشات تهدف كلها إلى خدمة تراثنا العظيم ، ومما زاد في سعادتنا أن هذا الاجتماع قد عُقد في مقر الجامعة العربية ، بيت العرب الكبير ، وهذا يدل على اهتمام الجامعة العربية بتراث الأمة وحضارتها .

كما أشيد بجميع الإخوة الكرام الذين قدموا لنا كل ما يستطيعون من تسهيلات ، من أجل إنجاح هذا الاجتماع ، وأتمنى أن نتعاون جميعًا في خدمة معهد المخطوطات ، فهو يحتاج إلى الدعم ، وإلى أن يستعيد مكانته التي كانت له في سالف الأيام .

أكرر الشكر باسم جميع الزملاء للمعهد ، ولجميع الإخوة . وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

* * *



كلمة الختام

د. أحمد يوسف أحمد محمد

أود أن أعبر عن عميق امتناني لجميع حضراتكم ، ليس على تشريفكم لنا بالحضور وقبول دعوة المشاركة في هذا الاجتماع فقط ، ولكن - أيضًا - على مشاركتكم التي جعلت - في تقديري - من هذا الاجتماع نقلة نوعية في عمل الهيئة .

كما أود أن أشكركم من صميم قلبي على ثقتكم في معهد المخطوطات العربية ، وعلى المطالبة المتكررة بدعم دوره .

وإذا كانت هناك كثير من الاجتماعات تُعقد وتنتهي دون أن يخرج مَن عقدوها بشيء ، فإن الأمر يختلف في اجتماعاتنا في الهيئة ، فقد شعرنا منذ الوهلة الأولى بعد انتهاء الاجتماع الثاني للهيئة الذي عقد منذ عامين تقريبًا ، بالمردود السريع لعمل الهيئة ، فلم تكد تمضي أسابيع قليلة ، حتى لاحظنا ارتفاع مؤشر التبادل العلمي بين معهد المخطوطات والعديد من المراكز العاملة في حقل التراث على امتداد الوطن العربي ، كما تلقينا عروضًا لطباعة كتب من التراث بالاشتراك مع جهات أخرى مهتمة بالتراث ونشره .

أكرر شكري وتقديري لكل مَن حضر الاجتماع ، وأدلى بكلمة - ولو قصيرة - أثرت الحوار ، وأرجو أن تستمر مثل هذه اللقاءات التي نعمل على هدي منها .

***



الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي
(الاجتماع الرابع)



الفهـرس

* * *

المشاركـــون

*** الافتتاح والختام :**

د. عبد الله يوسف الغنيم (رئيس الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي).

أ. محمد الميلي (المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

*** التخطيط والتنظيم :**

د. أحمد يوسف أحمد محمد (مدير معهد المخطوطات العربية بالإنابة).

د. فيصل الحفيان (منسق برامج معهد المخطوطات العربية).

*** رؤساء الجلسات [على وفق ترتيب الجلسات] :**

د. غسان اللحام (مدير عام مكتبة الأسد الوطنية - سورية).

د. عادل سليمان جمال (أستاذ الأدب القديم بجامعة أريزونا - أميركا).

أ. إبراهيم الترزي (أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. أحمد فؤاد باشا (عميد كلية العلوم بجامعة القاهرة، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. محمد سالم (مدير مركز تكنولوجيا المعلومات بمركز المعلومات واتخاذ القرار بمجلس الوزراء المصري).

*** أصحاب التقارير والبحوث [على وفق ترتيب تقاريرهم وبحوثهم] :**

د. أحمد شوقي بنبين (محافظ الخزانة الحسنية - المغرب).

أ. أسامة ناصر النقشبندي (مدير دار صدام للمخطوطات - العراق) .

د. عبد الكريم عوفي (أستاذ في معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة باتنة - الجزائر).

د. علي صالح كرار (مدير دار الوثائق القومية السودانية - السودان) .

د. حمد أحمد عبد الله (عميد مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ببيت المقدس - فلسطين).

د. مود إسطفان هاشم (مديرة مشروع إحياء المكتبة الوطنية في بيروت - لبنان).

د. نوفان رجا السوارية (القائم بأعمال مدير مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - الأردن).

أ. عصام محمد الشنطي (مدير معهد المخطوطات الثاني سابقًا، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. أيمن فؤاد سيد (خبير في المخطوطات، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد.

د. فيصل الحفيان.

د. يوسف زيدان (مدير المخطوطات والتزويد بمكتبة الإسكندرية، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. عباس صالح طاشكندي (عميد شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز - جدة).

*** المعقبون وأصحاب المداخلات [على وفق ورود أسمائهم للمرة الأولى] :**

د. غسان اللحام.

أ. عصام الشنطي.

د. أيمن فؤاد سيد.

د. حمد أحمد عبد الله.

أ. أسامة النقشبندي.

د. عبد الله يوسف الغنيم .

د. عباس صالح طاشكندي .

د. حمد بن ناصر الدخيل (عميد كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - السعودية).

أ. محمد بن إبراهيم الشيباني (رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت).

د. يوسف زيدان.

د. محمد عدنان البخيت (رئيس جامعة آل البيت في عمَّان - الأردن).

د. عبد الستار الحلوجي (أستاذ في كلية الآداب - جامعة القاهرة).

د. أحمد شوقي بنبين.

د. عبد الكريم عوفي.

أ. دحيد ولد القاسم (نائب مدير المعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط- موريتانيا).

د. علي صالح كرار .

د. أحمد مختار عمر (أستاذ في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد).

د. فيصل الحفيان.

د. عبد اللطيف العبد (وكيل كلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .

د. محمد السيد الجليند (أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .

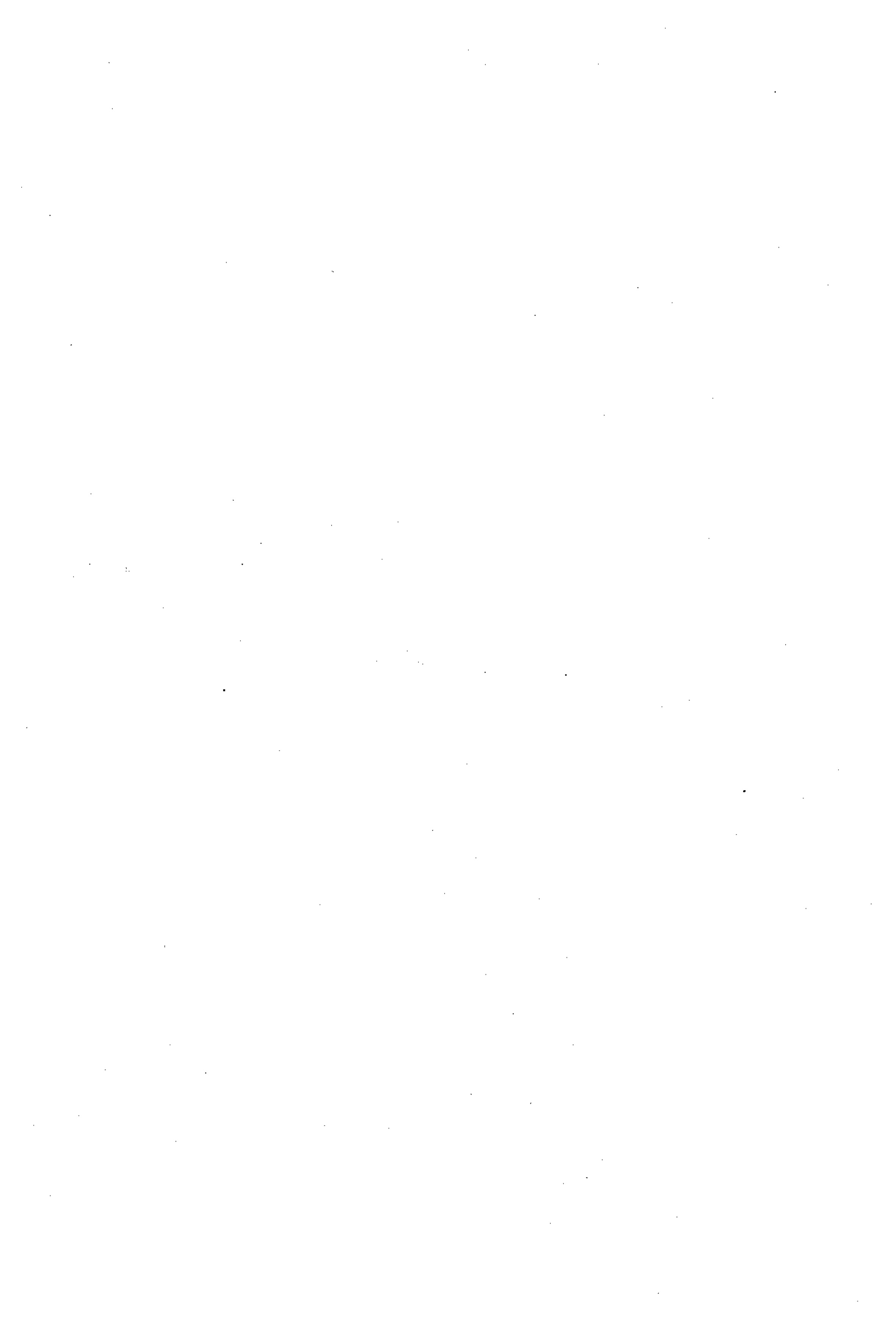
د. محمد سالم .

***



الجلسة الأولى

الافتتاحيـــة



كلمة د. عبد الله يوسف الغنيم

يسعدني أن أحييكم في مستهل لقائنا الرابع الذي جاء على حين فترة من اللقاء السابق (١٥/ ١١/ ١٩٩٨) ، وهي فترة قد تكون طويلة في عصر يتسم بالسرعة وتتابع الخطوات. ومما يدعو إلى الرضا أن هذه الفترة لم تكن خلواً من الإنجازات والجهود التي تستحق منا شكر معهد المخطوطات وتقديره ، فقد صدرت عن لقائنا الثالث توصيات على جانب كبير من الأهمية، أخذ كثير منها طريقه إلى الإنجاز، والباقي ممتد يحتاج إلى مراحل متتابعة من العمل الجاد للوصول به إلى غاياته.

لقد تمكن المعهد من اعتماد برنامج جديد للدبلوم في إطار معهد البحوث والدراسات العربية ، متخصص في مجال «تحقيق النصوص»، وهو قيد التنفيذ، كما نشر المعهد مجموعة من كتب التراث، وعقد عدة ندوات ذات أهمية خاصة تهدف إلى ترجمة توصيات اللقاء الثالث وما سبقه من توصيات إلى برامج عمل مشمولة بالتنفيذ .

ولما كانت مطالب إحياء التراث وقضاياه عديدة ومتنوعة ، فإن من واجبنا أن نرتب أولوياتنا لنمضي قدمًا في إنجاز ما خططنا له ، ونضيف الجديد الذي يمهد لنا الطريق نحو بلوغ غاياتنا المنشودة من حفظ للتراث ، وإحياء لمضامينه ، وتوظيف لمحتواه في حفظ هويتنا الحضارية ، والاحتفاظ بأصالتها نقية من شوائب الاحتواء والسيطرة التي قد يقود إليها أحيانًا التفاعل مع الثقافات الأخرى .

وأولى القضايا التي تعد جديرة بالاهتمام في هذا اللقاء ؛ وضع إستراتيجية

للعمل في التراث العربي المخطوط، وعقد مؤتمر لكل المؤسسات المعنية بذلك ، على أن يرعى معهد المخطوطات العربية هذا المؤتمر، وقد أدرجت على لائحة أعمال لقائنا هذا عدة أوراق تتناول هذه التوصية المحورية .

ولا يخفي أن هذه الإستراتيجية تتطلب وضع سياسات وتبني خطط ومشروعات كثيرة، وكلها تحتاج إلى جهد جمعي موصول ، تُدعى له وتشاركً فيه كل الجهات ذوات العلاقة والاختصاص .

وإذا كان العمل في ميدان تحقيق التراث ونشره قد قطع أشواطًا تابعها الخلف بعد السلف، وحقق إنجازات محمودة ومشكورة ، فإن بعضها يحتاج إلى استدراكات وإضافات، تكتمل بها صورة التحقيق العلمي المنشود لتراثنا العربي.

إن أمامنا مشروع الخطة الشاملة للتراث العربي المخطوط في جميع أنحاء العالم، وهذا المشروع هو صنو الإستراتيجية وترجمة لها ، وفي ضوء هذا المشروع وفي إطار هذه الإستراتيجية يجدر بنا أن نقف وقفات متأنية أمام هذه التساؤلات :

- هل المحافظة على المخطوطات العربية بجمعها وتحقيقها - وهو النهج الذي سار عليه العمل في السابق - هو المنحى الرئيسي لعملنا في الحاضر والمستقبل ، أو أن هناك جوانب أخرى يجب أن تأخذ حظها من العناية والاهتمام ؟

- ألا يمكن أن تكون هناك وقفة جادة أمام ما تم تحقيقه على يد أناس لم يهتموا كثيراً بأصول التحقيق وقواعده العلمية لسبب أو لآخر ؟

- ألا يدعونا ما يتم التوصل إليه من مخطوطات جديدة لها قيمتها العلمية والتاريخية إلى إعادة النظر في المخطوطات القديمة التي تم تحقيقها في الحقب السابقة عند إعادة طبعها مادام قد توافر لنا اكتشاف الجديد الذي يضيف إلى

القديم ما يكمله ، ويحقق مزيدًا من الفائدة ؟

- ألم يحن الوقت بعدُ لتوجيه مزيد من العناية وتوفير جانب من الجهد لتحقيق المخطوطات العلمية لاسيما أننا نلاحظ توجه الجهود كلها تقريبًا إلى المخطوطات الدائرة في فلك العلوم الإنسانية ؟

وهناك أمور أخرى لا تقل أهمية عما سبق طرحه في هذه التساؤلات لعل من أهمها :

- العناية بالخط العربي وجمالياته وتفرده بخصائص تميزه عن باقي الخطوط ذات التاريخ العريق .

- النقوش والزخارف ومضامينها الدلالية والجمالية .

- الخرائط الجغرافية والرسوم التوضيحية، استقصاء لنشوئها وتطورها ، ووظائفها العلمية والعملية .

- الأحبار وأنواعها واستخداماتها ودلالات تعددها وأصنافها وألوانها .

- الحفظ والتجليد والإخراج الفني لمطبوعات التراث وقيمه الفنية والجمالية والعلمية .

وتقودنا هذه الجوانب وأمثالها إلى قضية مهمة في مجال تعاملنا مع التراث هي توظيف التقنيات الحديثة في حفظه ونشره والإفادة منه ، وتيسير تداوله. والتقنية ليست مجرد أدوات وأجهزة ، ولكنها علم له قواعده وأصوله وتطبيقاته التي يجدر بنا أن نعتمدها في مجال عنايتنا بالمخطوطات في مختلف جوانب تعاملنا معها.

وهناك الأساليب الببليوغرافية التي لا غنى عنها في البحث العلمي ، والتي يعاني الباحثون في مجال التراث الكثير من جوانب التقصير فيها، في وقت أصبحت فيه المخطوطات غير العربية متاحة على أسطوانات مدمجة يمكن

اقتناؤها وتداولها في يسر وسهولة .

وقد حظيت مجموعات من تراثنا المخطوط بعناية ملحوظة في هذا المجال في بعض مراكز الحضارة الغربية ، وأولى بنا أن نقبل على استيعاب هذه التقنيات، ونعمل على توظيفها في مجال عنايتنا بتراثنا العربي .

وتأتي أهميــة إعادة النظر في مفهـوم التراث على رأس الأولويات التي نأمل من ملتقى جمعكم الكريم أن يضعها في مكانها المناسب من اهتمامات مشروعنا القومي للتراث وإستراتيجيتنا المأمولة في هذا المجال .

إن التراث هو النتـاج الإنساني الذي آل إلينا مـوصولاً بالحاضـر، وهو بهذا المفهوم ليس كيانًا جامدًا أو موروثًا مقدسًا بقدر ما هو تجربة إنسانية لها ظروفها التاريخية الزمانية والمكانية ، كما أن لها تداعيات عصرها من وقائع وأحداث .

ومن ثم فإن وظيفة التراث أن يسهم في بعث الأمـة ، ويفتح لها آفاقًا رحبة على عصرها وعلى المسـتقبل الذي تتطلع إليه ؛ لأنه يشكل عنصرًا أسـاسيا في كل تخطيط ثقافي واقعي .

وتراثنا الفكري والـثقـافي يتـمـثل بأجلى صـوره في المخطوطات العـربيـة القديمة. ومن هنا فإن عنايتنا به ضرورة لا غنى عنها ؛ لأنه يشكل الاستمرارية العضوية للهـوية الحضارية . وقد آن الأوان لأن ننظر إليه نظرة جـديدة ، فهو كل مترابط يتـرجم حياة أمة ، ويمـثل مسارها الحضـاري ، وهو قوة كامنة ، يمكن أن نبـعث فيهـا الحيـاة بالتحـقيق والدراسـة والنشر واسـتلهام معطـياته الإنسانية.

وإذا كانت الثورة العلميـة والتكنولوجية هي أبرز سمات العصـر، فإن تحقيق التلاحم والتلاقي بين الماضي والمستقبل إنما يكون في دعم ونشر القيم والمبادئ التراثية التي تتـفق وحاجات العصر، كمـا أن توليد صيغة ثقافـية جديدة - من

خلال التراث - هو التحـدي الذي يلقيه العصر على الثقـافة العربية، وفي هذه الصيغة الجديدة تكمن الأصالة ، وتتجلى القدرة على إثراء الحياة الحديثة .

إن المنطلق الحـضاري الجديد الذي نأمـله لا غنى له عن إعادة قـراءة التراث قراءة جديدة وفهمه فهمًا حيـاً متطورًا لإيجاد صيغ جديدة تنبع من خصوصيتنا وأصالتنا ، وتتفق مع التخطيط لمستقبلنا .

إن إحياء التراث من خلال هذه الصيغـة المأمولة يبعد بنا عن أن يكون جهدنا تكرارًا للمـاضي ؛ لأننا لسنا بحاجـة إلى هذا التكرار ، ولكننا في حـاجة إلى ثقافة أصيـلة ، والأصالة ليست صيغًا تقف عند الماضي وحـده ، ولكنها ماثلة أيضًا في سـعيه للتـلاحم مع المستقـبل ، ومن خلال الماضي والحاضـر ينبعث التخطيط لهذا المستقبل .

وفي ختام كلمتي أتمنى لأعمال هذا الاجتماع التوفيق والسداد ، وأن يخلص إلى نتائج يضـعها موضع التنفـيذ ، وأن يوفقنا الله جمـيعًا لخدمـة تراث أمتنا العربية والإسلامية والنهوض به إلى الغاية المأمولة .

واسمـحوا لي قبل أن أحيل الكلمـة إلى معالي الأسـتاذ محمـد الميلي مدير المنظمة أن أذكـر بكل التقدير والإجلال أحـد رموز المعرفة والتـراث العربي في عالمنا المعـاصر هو المغفـور له العلامة الشـيخ حمد الجـاسر الذي لبى نداء ربه راضيًا مرضياً عنه من تلاميذه ومريديه .

وأملنا اليوم أن نكون الأوفياء لفضله ، الذاكـرين لأياديه البيضاء في إصدار مجلـة «العرب» وجهـوده الأخرى في نشـر «المعجم الجـغرافي للـبلاد العربـية السعودية»، وبحوثه العديدة في مجال التصحيف والتحريف في أسماء المواضع أملاً في إعادة نشر بعض المعجمات خالية من الأخطاء .

رحمه الله ، وطيب ثراه ، ونفـعنا بعلمه وفضله . والسلام عـليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *



كلمة أ. محمد الميلي

اسمحوا لي في بداية هذه الكلمة الموجزة أن أرحب بكم أجمل الترحيب ، ونحن نفتتح أعمال الاجتماع الرابع للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي ، الذي ينعقد في رحاب الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

إن لقائي بكم ومشاركتي لكم في اجتماعيكم السابقين اللذين عقدا بالقاهرة، جعلاني أكثر حرصًا على مشاركتكم في اجتماعكم هذا ، فلقد لمستُ مدي جدية هذه الهيئة، والدور الخطر الذي تؤديه لخدمة العمل العربي المشترك في مجال التراث.

لا داعي لأن أقول كلامًا معادًا عن أهمية التراث في تشكيل عقل الأمم ، وتكوين حاضر ضميرها ، وتهيئتها لأن تتبين أفضل السبل لبناء مستقبلها ، بعيدًا عن مخاطر الاستلاب .

لكن لا بأس من الإشارة إلى أن دور التراث اليوم اكتسى أهمية كبرى جعلت مهمته أعظم في مواجهة أعاصير عولمة تهب علينا من كل ناحية ، فتهدد شخصيات أمم بالطمس وكياناتها بالزوال. وهذا بالضبط يجعل مسؤوليتكم أكثر تعقيدًا، طالما أن مسؤوليتكم أصبحت تتمثل في تجاوز صيانة التراث والحفاظ عليه ، إلى توظيفه لخدمة قضايانا العصرية ، وصيانة هويات القادم من أجيالنا.

في هذا السياق أود أن أسجل في هذا الاجتماع الجديد لهيئتكم الموقرة ، أمورًا ثلاثة يستحق كل منها أن نقف عنده ونهتم به.

أولها أن «الهيئة» قد أثبتت وجودها ، وانتزعت الاعتراف بدورها المؤثر في مجال التراث.

ويتمثل ثانيها في انتظام دوراتها : فـهذا الاجتماع يأتي في موعده ، منذ أن تشكلت في أواخر عام ١٩٩٦ ، وبعد أن استأنف المعهد عمله في القاهرة .

أما ثالثها فهو هذا البرنامج الحافل للاجتماع. فزيادة عن القضايا ذات الطابع العـام والمسائل ذات الرؤى البـعيـدة ، يؤكد البـرنامج اتجاه الهـيئة إلـى تجاوز المتغيرات إلى الثوابت ، والمرحليات القريبة إلى الإستراتيجيات البعيدة .

إن قراءة سريعة لبرنامج الاجتماع تكشف عما أشرتُ إليه ، فثمة بحث هام عن المواقع الحرجـة لتراثنا العربي المخطوط يضع أمـامنا خريطة واضحـة المعالم للأماكن التي يتعـرض فيها التراث العربي الموجود للخـطر، أياً كان مصدر هذا الخطر ونوعـه . إن التـنبـه إلى هذه الأخطار ، هو الخطوة الأولـى على طريق السعي الجاد لإزالتـها، أو الحد من آثارها. وبهذه المناسبـة أشير إلى الندوة التي عقدت في اليومين الماضيين ، وخُصصت للتراث العربي المخطوط في فلسطين، هذا التراث الذي يحظى باهتمام خاص من المنظمة العربية وجهازها المتخصص- معهد المخطوطات العربيـة ،، وشاءت الظروف أن تنعقد في وقت يدافع الشعب الفلسطيني فيه ومن خلفه أمته العربية الإسلامـية جمعاء عن هويته وكيانه وحقه في الحياة .

إن الويلات التي عانينا ونعـاني منها ، فلسطينيين وعربًا ، بـسبب ممارسات وسيـاسات وخـطط الكيان الصـهيـوني تكفي وحـدها لدفـعنا نحـو التشـبث بالتراث. فقد تأسس الكيان الصهيوني ، كما تعرفون، على تراث يقوم معظمه على أساطير لها علاقة واهية بالتاريخ .

بل إننا نشهد اليوم ، كـيف تسعى الصهيونية ، وخاصـة منذ الحرب العالمية الثانية، إلى أن تعيد صياغة التاريخ اليهودي المعاصر على سمع العالم وبصره ، بما يجعل منه حاضراً يثير الإعجاب لدى البعض . سرعان ما يتحول إلى تراث يشد إليـه الأجيال المقـبلة ويغذي لديها الـنزوع للسيطرة ، ومركب التـفوق ، وحب الهيمنة .

حضرات العلماء الأجلاء :

ستدرسون في اجتماعكم هذا بحوثًا مهمة تتعلق بوضع خطة شاملة للتراث العربي المخطوط. ولن يفوتني في هذه المناسبة التذكير بأن المنظمة العربية كانت قد تبنت في مطلع الثمانينيات، وضع خطة شاملة للثقافة العربية، أشرف عليها أحد عمالقة الفكر العربي، المرحوم عبدالعزيز حسين ، علمًا بأن التراث كان يمثل جزءًا مهماً في هذه الخطة ، بوصفه عنصرًا أساسياً من عناصر الثقافة.

واهتمام المعهد بوضع خطة خاصة بالتراث، شيء يستحق منا كل التقدير، فالتراث له خصوصية ، وهو يمثل قضية كبيرة ، لها ظروفها ، وأغراضها ، وأعود فأقول «خصوصيتها» التي تفرض وضع خطة خاصة ، تراعي ذلك كله ، وتضعه في الحسبان .

ولا يغيب عن بالنا أهمية الموضوع الخاص بمتابعة إنشاء الشبكة العربية لمعلومات التراث ، فلا شك أن العصر وإيقاعه وحركة المعلومات التي لا تتوقف ، تحتم علينا أن نفيد من المنجزات الحديثة لتوظيفها في خدمة تراثنا ، وإذاعته ، وتيسير التعرف عليه، والربط بين العلماء والباحثين العاملين في حقله .

ولقد لاحظت أن موضوع «الشبكة» قد نوقش من قبل في الاجتماع السابق ، ولا شك أن إثارته مرة أخرى سيعمق الموضوع ويعطيه أبعادًا جديدة ، وأنا أعلم أن معهد المخطوطات قد تبنى ضمن مشروعاته للعامين المقبلين مشروعًا خاصاً بإنشاء هذه الشبكة، وقد بدأ بالفعل بوضع نواة لذلك ببناء قاعدة بيانات لمخطوطاته ، شملت حتى الآن أكثر من ٢٠ ألف مخطوطة.

علي أن هذه الموضوعات الكبيرة والرؤى الواسعة لم تطغَ على موضوع غاية في التخصص، وأعني به وضع مخطط لمعجم عربي لمصطلحات علم المخطوطات، فمثل هذا المعجم أداة عمل لا غنى عنها لكل مَن يعمل في هذا الميدان .

الأساتذة الأجلاء ... السادة الحضور :

بعد هذه الإشارة الخاطفة إلى جدول أعمالكم اسمحوا لي أن أعود إلى الإشادة بهيئتكم الموقرة ، فأقول : إن مما يبعث حقاً على السعادة هو اجتماع هذه الكوكبة رفيعة المستوى من المسؤولين عن مراكز التراث في البلدان العربية الذين يجمعون إلى المسؤولية والمناصب الإدارية العلم والثقافة والفكر ، وهذا بالضبط ما حرصنا عليه عند اختيار الأعضاء، فنحن نريد مسؤولين علماء ومثقفين ومفكرين ، مسؤولين يملكون القرار في ما يتعلق بالتراث في بلدانهم، وفي الوقت نفسه يسهمون في وضع الخطط وبناء الإستراتيجيات وبحث التفاصيل العلمية الدقيقة .

ولم يغب عن بالنا أن ندعم «الهيئة المشتركة» بأعضاء الهيئة الاستشارية للمعهد ، وهم نخبة من العلماء في مختلف علوم التراث وتخصصاته ،وقد لبوا الدعوة مشكورين وتفضلوا فوافقوا على مشاركتنا العمل الذي نحن بصدده .

ثم دَعَمنا الهيئة مرة أخرى بعدد من الضيوف الذين رأينا أن أفكارهم ومساهماتهم تشكل إثراء مهماً لأبحاث هذا الاجتماع وإضافة معتبرة لأعماله .

أخيرًا أستأذنكم في أن أوجه الشكر باسمكم جميعًا لمعهد المخطوطات العربية على جهده في صياغة هذا البرنامج الثري ، وإلى مدير معهد البحوث والدراسات الذي قبل مشكوراً أن يشرف على تيسير عمل المعهد ، رغم مشاغله العلمية العديدة ، وواجباته الإدارية التي لا تكاد تترك له وقتا للتنفس .

ونأمل أن نكون في المنظمة قد أدينا بعض واجبنا تجاه تراث أمتنا ، الذي نعتز به ونفخر، ونرى فيه جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه في صيانة حاضرنا وبناء مستقبلنا والحفاظ على نسيج كياننا.

***

الجلسة الثانية

تقارير الأعضاء



تقاريـــر الأعضـــاء

■ **د. غسان اللحام (رئيس الجلسة) :**

يتيح لنا مثل هذا الاجتماع التعارف والتواصل مع عديد من الشخصيات العلمية، والتي تتـولى - في آن - رئاسة العـديد من المراكز والمؤسـسات الفـاعلة في خـدمة التـراث العربي ؛ وفي ذلك مكـسب لكل منا على حدة مـن ناحيـة ، ومكسب لنا جميعًا من ناحية أخرى، لأنه يذلِّل كثيرًا من الصعوبات التي قد تواجهنا ونحن نعمل لغاية واحدة .

لدينا في هذه الجلسة ستة متحـدثين ، هم على الترتيب د. أحمد شوقي بنبين ، من المغرب ، وأسامة ناصر النقشبندي ، من العراق ، ود. عبد الكريم عوفي ، من الجـزائر ، ود. علي صالـح كرار ، من السـودان ، ود . حـمد أحـمـد عبـد الله يوسف، من فلسطين ، ود. مـود إسطفـان هاشم ، من لبنان ، ود. نـوفان رجـا السوارية، من الأردن .

ونبدأ بالدكتور أحمد شوقي بنبين .

* * *

■ **د. أحمد شوقي بنبين :**

المغرب - كما تعلمون - بلد عـربي غني بخزانات المخطوطات التي تحتوي على نوادر ونفائس قد لا توجد في أي بلد عربي آخر .

ويمكن القول : إن الخزانـة العامة - وهي تابعة لوزارة الثـقافة - على رأس هذه الخزانات ؛ فـهي تقوم بالدور الـذي تقوم به المكتـبات الوطنية فـي معظم

البلدان العربية ، كما تعمل جاهدة على نشر فهارس للمخطوطات الموجودة بها .

وقد قامت قبل عامين بإنشاء أول مركز لترميم المخطوطات في المغرب ، وذلك بمعاونة من إسبانيا وألمانيا المتقدمتين في هذا الصدد .

وثمة إحصاء تقوم به الخزانة حالياً تهدف من خلاله إلى إحصاء المؤلفين المغاربة في تراثنا العربي ، وقد استطاعت أن تنشئ لهؤلاء المؤلفين قاعدة بيانات تحتوي أسماءهم ، ومن المأمول أن يكتمل هذا العمل الضخم في وقت قريبًا .

وبالإضافة إلى محاولة إحصاء المؤلفين المغاربة هاته ، تحاول الخزانة أيضًا إحصاء المخطوطات العربية الموجودة في المغرب إحصاءً دقيقًا ، أو إعطاء رقم تقديري لها في أضعف الظروف ، واستطاعت حتى الآن أن تعد (١٠٠) ألف مخطوطة في الخزانات المغربية سواء كانت عامة أو خاصة .

أما وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدينا ، فتُعنى بالزوايا التي كثيرًا ما تحتوي على مخطوطات وُضعت فيها من قديم ، بالإضافة إلى عناية توليها الوزارة أيضًا لتحقيق المخطوطات التي ترى في نشرها فائدة تعود على الباحثين والعلماء .

وإلى جانب ما سبق فإن الخزانة الحسنية تبرز بوصفها نوعًا فريدًا من الخزانات العامة في المغرب ، وقد وليت أمر رئاستها قبل ست سنوات ، وأعمل ومعي بعض الإخوة ، على وضع كشاف عام لمحتوياتها من المخطوطات ، وقد ضم هذا الكشاف (٣٠) ألف مخطوطة حتى الآن ؛ إلا أن ثمة معضلة كبيرة تواجهنا هي وجود عدد كبير من المجاميع المحتوية على عشرات المخطوطات في تضاعيفها ، الأمر الذي يتطلب تقليب هذه المجاميع للتعرف على ما تحتويه .

ولقد أصدرت الخزانة هذا العام فهرسًا للتاريخ - للمرة الثانية - جاء في

مجلدين ، وقيد الطبع الآن فهرسان: أحدهما خاص بالأدب ، ويضم (٦٠٠) مخطوطة ، والآخر خاص بالنحو والصرف ، ويضم (٩٠٠) مخطوطة .

■ **أسامة ناصر النقشبندي :**

تضم دار صدام للمخطوطات (٤٧) ألف مخطوطة ، بزيادة ألفي مخطوطة جُمعت خلال العامين الماضيين ، ومن بين هذه المخطوطات نوادر ونفائس ، بعضها بأقلام مؤلفيها .

كما تمكنت الدار خلال هذه الفترة من تسجيل ما يقرب من ألفي مخطوطة في حوزة المكتبات الخاصة ، فوصل إجمالي عدد المخطوطات المسجلة لدى الدار إلى (٥٣) ألف مخطوطة موزعة على المكتبات الخاصة في كافة أنحاء العراق .

وثمة عدد من الرقع واللوحات الخطية لمشاهير الخطاطين سعت الدار إلى اقتنائها ، ودفعت في سبيل الحصول عليها أموالاً طائلة ، على الرغم من قلة الإمكانات والموارد .

وفي مجال الترميم استطاعت الدار ترميم (١٨٧٥) مخطوطة وفق الطرق العلمية ، إلى جانب تزويق عدد من الرقع واللوحات الخطية التي بهتت زخارفها وانطمست ألوانها .

أما عن خدمة الباحثين والعلماء الذين يرتادون الدار من حين لآخر ، فإن الدار عملت على توفير احتياجاتهم من المخطوطات وفق ضوابط .

وأنجزت الدار مؤخراً إدخال عدد من فهارسها المطبوعة على الحاسوب ، إلى جانب البطاقات التي أُعدت لتكون في متناول أيدي الباحثين والعلماء المرتادين للدار ، ومازال العمل جاريًا في هذا الشأن لاستكمال إدخال فهارس الدار على الحاسوب .

كما تتابع الدار عملية الاتجار بالمخطوطات وسرقتها التي انتشرت في الآونة

الأخيرة على الرغم من العقوبات الصارمة التي فُرضت على من يقومون بذلك ، واستطعنا أن نضع أيدينا على كثير من المسروقات المهربة خارج العراق ، وكان من بينها مخطوطات نفيسة جداً يُعد استرجاعها مكسبًا كبيراً لنا.

وضعت الدار فهارس عديدة لمجموعات مخطوطات مثل: فهرس مخطوطات الموسيقى والغناء والسماع ، وفهرس خزانة أحمد سالم ، وإجازات الخطاطين في خزانة المخطوطات في العراق ، وفهرس مخطوطات علوم القرآن ، بالإضافة إلى فهارس أخرى كلها قيد الطبع ، وستظهر للنور قريبًا .

وفي إطار توعية المواطنين بأهمية التراث والحفاظ على المخطوطات ، تم إقامة عدد من المعارض الخاصة عُرضت فيها نفائس من المخطوطات ، ولاقت هذه المعارض نجاحًا كبيراً ، إلى جانب عدد من الندوات الهامة أذاعتها وسائل الإعلام المختلفة في العراق ، تناولت أوضاع المخطوطات وما تتعرض له من تلف ودمار خصوصًا في ظل ظروف الحصار الذي تعرفون !

وثمة دورات تدريبية - على الرغم من قلة الإمكانات في الوقت الحالي - عقدتها الدار لكثير من العاملين في مراكز المخطوطات الموزعة على كافة أنحاء العراق ، وقد هدفت هذه الدورات إلى تدريب المتدربين فيها على أعمال الترميم والفهرسة وزخارف الخط العربي .

■ **د. عبد الكريم عوفي :**

الجزائر كغيرها من البلدان العربية عملت منذ عصور متقدمة على إنشاء مراكز علمية لتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية ، وظهرت حواضر علمية اشتهرت بالعلم والتعليم كتلمسان وقسنطينة وبجاية ، وغيرها كما وُجدت كثير من الزوايا والكتاتيب ، مما أوجد حركة علمية نشطة في تلك الأزمان الزاهية .

إلا أن كثيراً من التراث الذي أنتجته هذه المراكز من خلال رجالاتها ، بقي

محجوبًا عن الدارسين ، وتعرض لحملات من النهب والسرقة ، وخصوصًا من جانب المستعمر الفرنسي ومن عاونه في هذه الحملات .

وعلى الرغم من النهب والسرقة ، فماتزال الجزائر غنية بالمخطوطات في أقاليم كثيرة منها ، وسأقصر حديثي على إقليم بعينه من هذه الأقاليم هو إقليم (توات) ، ويقع في الجنوب الغربي من صحراء الجزائر ، ويبعد عن العاصمة بمقدار (١٥٠٠) كيلو متر ، ويتكون من عدد من المدن ، ويُعد في عمومه منطقة عبور للقوافل التجارية بين الشمال والجنوب ، وكان على اتصال وثيق بمدن مثل شنقيط وتنبكتو والنيجر ومالي وغيرها من المدن الجنوبية ، بالإضافة إلى مناطق في الشمال والمغرب والمشرق العربي .

سكن هذا الإقليم كل من البربر والعرب والزنج ، واختلطوا في ما بينهم وتزاوجوا حتى أصبح إنسان هذا الإقليم ذا طابع يجمع بين طبائع هذه الأجناس جميعًا .

وقد عرف هذا الإقليم عددًا من العلماء عبر العصور التاريخية ، منهم: أبو الأنوار عبد الكريم ، ومحمد بن عبد الله الأدراري ، وعبد الكريم بن أحمد التواتي ، والشيخ مختار الكبير الكنتي .

يحتوي إقليم توات هذا بمدنه المختلفة على عدد من مراكز المخطوطات والخزانات والزوايا التي تحتوي على نفائس ونوادر غالية يعدها كثير من العلماء والباحثين من المفقودات، في حين إنها تنتظر في خزاناتها مَن يمد لها اليد ويكشف عنها ، ويخرجها إلى الناس .

وتكمن قيمة هذا التراث في ما يحمله من مضامين فكرية وفنية تساعدنا على معرفة تاريخ حياتنا ، وتوقفنا على كثير من الأحداث والوقائع التي طواها النسيان ، وتقدم صورة لمجتمعاتنا في كافة نواحيها .

ولا تختلف أوضاع هذه المخطوطات كثيراً عن أوضاع غيرها في البلدان العربية .

وبصورة عامة فإن الوعي في الجزائر بأهمية المخطوطات والتراث الفكري ، قد أصبح أحسن حالاً من ذي قبل ، فقد قامت عدد من الجمعيات الثقافية الجزائرية تطالب بإعطاء التراث والمخطوطات الحظ الكافي من الحفاظ والدراسة .

وقبل هذه الجمعيات الثقافية تعمل المكتبة الوطنية الجزائرية على النهوض بأحوال المخطوطات ، وقد كان آخر نشاطاتها المهمة الدورة التدريبية التي عقدها معهد المخطوطات في الجزائر .

وثمة بعض المقترحات التي نعمل في إطارها ونحن ننهض بحال المخطوطات في الجزائر :

- التعريف بالخزانات والكتاتيب والزوايا على اختلاف أنواعها ، ووضع خريطة جغرافية بها حتى يعرفها الباحثون الذين يقبلون عليها .

- إعداد فهارس فنية بمخطوطات هذه المراكز وإحصاؤها والعمل في مرحلة أخرى على صيانتها .

- الاستفادة من الوسائل التكنولوجية الحديثة كتحميل المخطوطات أو الفهارس على الميكروفيلم والميكروفيش والأقراص المليزرة .

■ **د. علي صالح كرار:**

تعمل دار الوثائق القومية السودانية على العناية بالوثائق والمخطوطات معًا في السودان ، وإن كانت المخطوطات ليست هدفًا من أهدافها ، وذلك نظراً لغياب مكتبة وطنية عامة تُعنى بشؤون المخطوطات المختلفة .

وحقاً يجري الآن العمل في إنشاء هذه المكتبة ، إلا أن هذا أمر يستغرق وقتًا كبيراً وتكاليف أكبر .

ظلت دار الوثـائق - كـمـا ألمحت آنفًا - تقـوم بعبء الحـفـاظ على المخطـوطات ، وذلك بالتـعـاون مع الجـهات المتـخـصصـة في هذا الشـأن ، واسـتطاعت جـمـع آلاف المخطوطات من مـختـلف أنحاء السـودان المتـرامي الأطراف ، وأن تودعها خزائن خاصة . والحق أن الظروف التي تحفظ فيها هذه المخطوطات غير جيدة بكل المقاييس ، مما يستلزم الإسراع في إنشاء مكتبة وطنية تأخذ في اعتبارها كافة المواصفات العالمية التي تحفظ فيها المخطوطات .

وأحب أن أنبـه إلـى أن هنـاك خلطاً في أذهـان السـودانيـين بين الـوثيـقـة والمخطوطة ، فهمـا عند كثير منهم شيء واحد ، ولـقد يكون سبب هذا الخلط غياب جهة معـينة تُعنى بأمر المخطوطات على حدة ، غير أن هذا الخلط - في ما أظن - سيزول بمرور الأيام ، وخاصة عندما ينتشر الوعي بأهمية المخطوطات ودورها في الحفاظ على فكر الأجداد .

وثمة إنجازات هامة استطاعت الدار أن تحققها بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية ؛ فقد أوفد المعهد منسق برامـجه د. فيصل الحفيان إلى السودان في عام ١٩٩٧ ، واطلع على حـال المخطوطات في الدار، وما تعـاني منه في مجـالي الترميم والفهـرسة وغير ذلك ، وكان ذلك في إطار مشـروع تبناه المعهد لجمع وتصوير المخطوطات العربية في السودان .

وفي إطار المشروع المذكـور جرى وضع مخطط عـام لإقامة ندوة علمـية في السـودان يكـون مـن مـحاورها: تحديد مـفهومي الـتراث والوثيقـة ، وضرورة العناية بالتراث ، وضـرورة عمل خريطة واضحة المعـالم لمراكز المخطوطات في السودان .

وقد اقتـرح د. فيصل خـلال زيارته تلك إعداد فهرس انتـقائي لمخطوطات الدار على وفق بطاقة معيارية تتفق والأسس التي يتبعها المعهد في الفهرسة .

ولدينا الآن عدد من المتـدربين على أعمال الفـهرسة أتاح لهم المعهـد فرص

التدريب في دورات الفهرسة التي يعـقدها . ونطمح إلى أن يقوم المعهد بتنظيم دورة للفهرسة في السودان تستضيفـها الدار ، ويتدرب فيها أكبر عدد ممكن من السودانيين .

أما الأخذ بـوسائل التكنولوجيا الحـديثة في التعامل مع المخطوطـات ، فقد قدمنا مشروعًا إلى اليونسكو بهدف إمـدادنا بهذه الوسائل ، ونأمل أن يستجيب المسؤولون في هذه المنظمة .

إن ثمة وعـيًا بأهمـية التراث بدأ يسـري بين صفوف أسـاتذة الجامـعات في السودان ، وكان مجلاه أن اتجه عدد منهم إلى تحقيق المخطوطات سواء الموجودة في الدار أو في غيرها من المراكز المعنية بالمخطوطات في السودان .

وأخيرًا أؤكد أهمية المخطوطات في السودان وقيمتها ، ذلك أن كثيرًا منها لم يرد ذكره في المصـادر المعروفة ، ولعل الفـهرس الانتقـائي الذي نزمع إصداره بالتعاون مع المعهد يكون فاتحة لسلسلة من الفهارس في هذا الاتجاه .

■ **د. حمد أحمد عبد الله:**

تمر فلسطين اليوم بظروف عصيبة ، إذ عليها أن تحارب على جبهات متعددة، حتى تحفظ الأرض والهوية والإنسان الفلسطيني في نسيج واحد .

وإحـدى هذه الجبـهـات الخطيـرة هي المخطوطات ، التي قـد لا يفطن إلى خطورتها الكثيرون، سواء في فلسطين أو في خارجها .

إن حال المخطوطات في فلسطين لا يـسر ، فقد سُـرقت ونُهبت على الأيام من قِبل العدو أو من عبث البلى والحشرات بها ، وما بقي منها اليوم - حسب آخر الإحصاءات التي قامت بها مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ببيت المقدس - لا يزيد على ستة آلاف مخطوطة ، باستثناء المخطوطات الموجودة في مكتبات الأفراد والأسر .

وهذه البقية الباقية من المخطوطات نعمل جاهدين على الحفاظ عليها ، إلا أن ضيق الإمكانات المتاحة لدينا في كافة المكتبات في فلسطين تحولُ دون خدمة هذه المخطوطات الخدمة اللازمة.

من أجل ذلك ارتأينا أن نتقدم إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ممثَّلة في معهد المخطوطات العربية ، ببعض الاقتراحات المتعلقة بإنقاذ المخطوطات التي لدينا في فلسطين ، على الرغم من علمنا أن المنظمة تعتمد خطة في إنقاذ مخطوطاتنا .

الاقتراح الأول خاص بتصوير المخطوطات في فلسطين على الميكروفيلم ، ووضع هذه المصورات في مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ببيت المقدس ، وأرى الإسراع في عملية التصوير تلك ، لأن المخطوطات مهما طال بها العمر ، فإن وقتًا سيأتي عليها وهي أثر بعد عين ، أو ستمتد إليها يدٌ خبيثة تعبث بها !

الاقتراح الثاني هو ترميم أصول هذه المخطوطات المصورة ، ونحن في مؤسسة إحياء التراث لدينا قسم للترميم ، إلا أنه في أمسِّ الحاجة إلى المواد الأساسية التي تستخدم في الترميم ، بالإضافة إلى أن المُرمِّمين العاملين في هذا القسم قلة ، ونأمل في زيادتهم في قابل الأيام ورفع مقدار الكفاءة التي يعملون بها ، وذلك من خلال انخراطهم في الدورات التدريبية على الترميم التي يعقدها معهد المخطوطات أو المراكز العاملة في حقل التراث .

أما الاقتراح الثالث فهو فهرسة وتصنيف هذه المخطوطات ، وقد قمنا في هذا الصدد بفهرسة ما يقرب من أربعة آلاف مخطوطة تحت عنوان «فهارس مخطوطات فلسطين المصورة» ، ومن المقرر أن تصدر هذه الفهارس في اثني عشر جزءًا .

إن هذه الاقتراحات الثلاثة يجب أن تتزامن ، وأن يبدأ العمل في كل منها

في وقت واحد. وغير خفي أن تصوير المخطوطات أو ترميمها أو فهرستها وإصدار فهارس لها ، كل ذلك يحتاج - في ما يحتاج إليه - إلى كثير من التقنيات المتطورة مرتفعة الثمن ، والتي ليست في إمكان مؤسسة إحياء التراث، ولا تستطيع أن توفرها في الوقت الحالي .

■ د. مود إسطفان هاشم :

ثمة مشروع لإعادة إحياء المكتبة الوطنية اللبنانية ، بعد أن ظلت قابعة في الصناديق خلال سنوات الحرب اللبنانية التي أتت على كثير مما نعتز به .

لن أتحدث عن ثروة المكتبة من الكتب الحديثة ، وإنما سينصرف حديثي الذي سيجيء مختصراً إلى مخطوطات المكتبة والسبل التي اتبعناها في التعامل معها.

تحتوي المكتبة عدداً من المخطوطات واللوحات الخطية النفيسة ، لكن هذه المخطوطات واللوحات تعرضت - بكل أسف - للنهب والسرقة خلال سنوات الحرب الأولى في لبنان ، ونُقل ما تبقى منها إلى مؤسسة المحفوظات الوطنية في بداية الثمانينيات ، وللأسف لم يبقَ من هذه النفائس إلا (١٥٨٨) مخطوطة

ونعمل الآن جاهدين على ترميم هذه المخطوطات في مختبر للترميم بمؤسسة المحفوظات الوطنية ، بعد أن استبدت الحشرات والعفونة بالمخطوطات ، وهي قابعة في الصناديق طوال سنوات الحرب ، ولقد استعنا بخبيرة من الأمم المتحدة في شؤون الترميم ، تتولى تدريب الموظفين على أعمال الترميم لتأمين الاستمرارية في العمل .

والحق أن عملية الترميم هاته تستغرق وقتًا طويلاً ، فلم نتمكن إلا من ترميم خمس مخطوطات حتى الآن ، لكن العمل جارٍ في هذا الميدان حتى نرمم كافة المخطوطات التي هي بحاجة ماسة إلى ترميم .

هذه المجموعة المتبقية من المخطوطات يمكن توزيعها على العلوم التالية :

- الدين الإسلامي (٥٨٥) مخطوطة .
- اللغة والقواعد والمنطق (٤٠٧) مخطوطة .
- الأدب والموسيقى (١٦٨) مخطوطة .
- العلوم والطب والفلك (٩٧) مخطوطة .
- الدين المسيحي (٨٥) مخطوطة .
- التاريخ والجغرافيا (٥٥) مخطوطة .
- المعاجم (٧) مخطوطات .

بالإضافة إلى بعض المخطوطات المتوزعة على علوم أخرى .

إن محصول المكتبة الوطنية من المخطوطات ضئيل - كما ترون - إذا ما قيس بما تحتويه نظائرها من المكتبات الوطنية في البلدان العربية الأخرى ؛ والسبب يعود بالطبع إلى ظروف الحرب التي دمرت كثيراً من المؤسسات التي نعتز بها في لبنان ، وأتاحت فرص النهب والسرقة للناهبين والسارقين ، مما جعلنا نخسر الكثير .

■ د. نوفان رجا السوارية :

إن مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ، هو الجهة التي تُعنى بشؤون الوثائق والمخطوطات في الأردن .

وحقاً لدينا مكتبة وطنية ، إلا أنها لا تحتوي إلا على وثائق رسمية أودعتها الجهات الحكومية فيها ، وهذه الوثائق في عمومها وثائق قريبة العهد .

مركز الوثائق والمخطوطات إذن هو الجهة المعنية التي سأعرض إنجازاتها خلال العام المنصرم . وقد استطاع إصدار فهرس هو الرابع من نوعه للمخطوطات العربية المصورة فيه ، اشتمل على (٨١٣) مخطوطة .

كما يعمل الآن في نشر فهارس سجلات المحاكم الشرعية لعدد من المدن الفلسطينية ، ويزمع نشر مخطوطات المكتبة البطريركية في القدس ، ومخطوطات الطائفة السامرية في نابلس ، وقد أحسن صنعًا بأن صور هذه المخطوطات قبل أن يصعب تصويرها .

وفي ما يخص الخرائط - وهو مجال مهم لم يُلتفت إليه كثيرًا - فقد أخذ المركز على عاتقه الاهتمام بها ، وسيقيم لها خلال أيام قلائل معرضًا في سورية ، يعرض فيه مجموعة هامة من الخرائط تعود إلى عصور مختلفة .

أما الكتب العلمية فثمة توجه لدى كثير من الأطباء الأردنيين نحو الاطلاع على التراث العربي الذي أنجزه الأطباء العرب القدامى ، وخاصة في علمي جراحة الأعصاب وبحوث الدم ، ولقد تردد في الآونة الأخيرة مشاهير من الأطباء الأردنيين على المركز بغية الاطلاع على المخطوطات العربية في شؤون هذين العلمين .

***

تعقيبات ومداخلات

■ **د. غسان اللحام:**

إن الأوراق التي قُدمت في هذه الجلسة يمكن تصنيفها في نوعين:

الأول أوراق تتحدث عن وضع المخطوطات وأماكن حفظها في الوطن العربي بصورة عامة .

والنوع الثاني يعرض لما تعانيه المخطوطات ومراكزها في بعض الأقطار العربية.

والحق أن لديّ في هذا المقام اقتراحًا يخص معهد المخطوطات ، وهو أن تكون إحدى إصداراته السنوية عن أوضاع مراكز المخطوطات في الوطن العربي، ويكون هذا الإصدار دليلاً يتضمن نبذة عن كل مركز من مراكز المخطوطات ، وذلك عن طريق استمارة تُعد من قبَل المعهد وتُوزع على مراكز المخطوطات لتملأها بصورة دورية بكل جديد يطرأ عليها.

أثيرت قضية سرقة المخطوطات . ونحن في سورية استطعنا مؤخراً أن نضع أيدينا على عصابة منظمة من قبَل العدو الصهيوني ، تعمل على سرقة الآثار والمخطوطات ، وكان مما سرقته تمثال صغير ومخطوطات لها علاقة به ، وقد لاحظنا من خلال الجهات المعنية ارتباطًا مريبًا بين سرقة آثار بعينها وسرقة مخطوطات بعينها تتعلق بموضوعي التاريخ والآثار !

وللحد من مثل هذه السرقات قمنا بوضع بعض الضوابط ، فجمعنا معلومات عن المكتبات الخاصة ، وما لديها من مخطوطات ، إلا أننا لم نلقَ

تجاوبًا مـن أصحاب هذه المكتـبات ، فـهم يخافـون أن تضع الدولة يدها على المخطوطات التي لديهم إذا ما عرَّفوا بها.

وقد يكون من الضروري أن يوصي المعهد في آخـر هذا الاجتماع بأن تعمل مراكـز المخطوطات المسؤولة في كل دولة عـربية ، على التعـرف على ما لدى أصحاب المـكتبات الخاصـة من مخطوطات ، ثم يتم إبلاغ المعهد بأسـماء هذه المكتبات وما تحويه من مخطوطات .

أما إنشاء مكتبات وطنية في بعض الأقطار العربية التي تفتقر إليها ، فإن هذا أمر لا يتـأتى دفعة واحدة ، وخـير لهذه الأقطار أن تشـرع في انشاء مكتبـاتها الوطنيـة مرحلة مرحلة ، لأن تـكاليف الإنشاء لن تكون قليلة ، فـتسـمح بها الحكومات مرة واحدة.

أما التعـريف بالمخطوطات ، فثمة لبس في مفهـوم المخطوطة ، وخاصة في بلد كالولايات المتحدة ، المخطوطة لديها تتجـه إلى الأرشيف أكثر مما تتجه إلى المخطوط التـراثي ، لذلك نحن محـتاجـون إلى تعريف واضح للمـخطوطة ، وأعرف أن ثمة مفـهومًا لها تم تحديده في المؤتمر الذي عُقد في السـبعينيات من القـرن الماضي ، في مدينة بغـداد ، ولا أدري - للحق- إذا كـان هذا المفهـوم بحاجة إلى شيء من التحديث أم لا ؟!

أما فهرسة المخطوطات وإدخال فهارسـها على الحاسوب ، فإن لمكتبة الأسد الوطنيـة تجـربة في هذا الشـأن أحب أن أذكـرها. لقـد انتـهينـا من فهـرسـة مخطوطاتها نهائياً ، وإدخالها على الحاسوب ، ويستطيع الآن مَن يشاء الحصول على فهارس المكتبة على قرص ليزري.

■ **عصام الشنطي :**

معلوماتنا عن مخطوطات الجزائر مـحدودة للغاية ، فكيف بجنوب الجزائر؟ وحبذا لو يقوم د. عوفي بتقديم إحصـاء للمعهد يبين عدد المكتبات في جنوب الجزائر خصوصًا. فقد قال: إن بها مخطوطات كثيرة.

أما د. علي صالح كرار ، فأنا أؤيده في طلبه خبيراً من معهد المخطوطات يدرب مجموعة من المتدربين لديه. وقد جاء تقريره الذي قدمه جيداً ، إلا أنه لم يشفِ غليلنا في ما يخص مخطوطات السودان وهي كثيرة فحبذا لو ذيَّل تقريره بإحصاء للمكتبات في السودان وما تحتويه من مخطوطات.

د. مود إسطفان عرضت للتجربة اللبنانية في حفظ المخطوطات المخزنة لمدة طويلة ، فحبذا لو قدمت للمعهد هذه التجربة ، لأن في اليمن من هذه المخطوطات الكثير ، وخصوصاً في مدينة زبيد وغيرها من مدن اليمن.

وأحب أن أنتهز الفرصة - مادامت د. مود مسؤولة في المكتبة الوطنية في بيروت ، وهذا الكلام موجه أيضاً للجميع - فأقول: إن المعهد بصدد إصدار دليل لمكتبات المخطوطات في الوطن العربي ، وقد أعد لهذا الغرض استبانة وزعها على نطاق واسع ، لكن الاستجابات قليلة ، على الرغم من أنها استبانة واضحة وبسيطة. وهذه فرصة لتوجيه نداء من خلال هذه الهيئة لحث المكتبات على ملء الاستبانة وإعادتها.

أما اقتراح د. غسان اللحام بأن يصدر المعهد إصداراً سنوياً بمكتبات المخطوطات على امتداد الوطن العربي وما تحتويه من مخطوطات وإنجازاتها بين كل إصدار وآخر ، هذا الاقتراح أراه جيداً.

وفي ما يخص شكواه من سرقة الآثار والمخطوطات ، فإن ما سيحسم هذا الأمر قانون تصدره الحكومات العربية بمقتضاه يسجِّل أصحاب المكتبات الخاصة مكتباتهم لدى المكتبات الوطنية.

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

عندما نتحدث عن مخطوطات دولة عربية ما ، فلا بد أن نحدد حجم هذه المخطوطات وكيفية توزعها على مساحة هذه الدولة ، إلى جانب تحديد أقدم تاريخ ترجع إليه هذه المخطوطات.

وعندما نطبق هذا الكلام على مخطوطات السودان ، فإن د. علي صالح كرار ذكر أن بعض مخطوطات السودان تتسم بالندرة ، ولم يحدد: هل هذه الندرة ترجع إلى أنها مخطوطات محلية كتبها مؤلفون سودانيون ، أم أنها مخطوطات في الثقافة العربية عمومًا لمؤلفين عرب ، وعدا عليها الزمن ، وتوجد منها نسخ في السودان كتبها السودانيون في مرحلة من المراحل التاريخية؟

إن هناك فرقًا بين الأمرين ، فالتاريخ المحلي وندرة مخطوطاته أمر يهم المنطقة ، أما النسخ النادرة لمخطوطات معروفة على مستوى الثقافة العربية فُقدت أصولها حتى اليوم ، فأمر لا يهم منطقة بعينها، بل يهم أمة بأسرها.

■ **د. حمد أحمد عبد الله يوسف:**

إن سرقة المخطوطات وتزوير الآثار العربية وزرع الآثار اليهودية في أماكن متفرقة أمر تخطى فلسطين إلى أماكن متفرقة من البلدان العربية ، وهدفهم من وراء ذلك - كما تعرفون - هو أن يدعوا في المستقبل أن أرض فلسطين أرضهم بدليل تلك الآثار التي زرعوها هنا وهناك !

واليهود لا يبالون بالمادة في سبيل الحصول على تراثنا، وخصوصًا ما يمكن أن يحوروه منه ، ويجعلوه في صالحهم ، وهم يجمعونه لهدفين اثنين:

الأول حتى لا نفخر به ، ولا نتخذه تكأة نثبت بها وجودنا على الأرض العربية.

والثاني هو حرماننا من معلومات تاريخية وأثرية تثبت الحق العربي الإسلامي في فلسطين وغيرها من الدول العربية.

ولذلك فإن عملية سرقة المخطوطات والآثار التي أشار إليها د. غسان وراءها من الدوافع السياسية ما يفوق أي دوافع علمية ، وإني لأتوجه إلى المسؤولين عن تراثنا العربي ، وخاصة معهد المخطوطات ، بتبني مشروع يسارع فيه إلى

تصوير جميع المخطوطات والوثائق الموجودة في فلسطين للاحتفاظ بصور منها قبل أن يغتصبها اليهود أو يحرقوها !

كما أدعو مراكز المخطوطات في العالم العربي والإسلامي إلى تصوير جميع المخطوطات والوثائق التي تتعلق بتاريخ فلسطين ، وتزويد السلطة الوطنية الفلسطينية بنماذج منها.

■ **أسامة ناصر النقشبندي :**

في ما يخص الوضع المزري للمخطوطات اللبنانية التي ماتزال في صناديقها مع عوامل الفتك والتلف ، فإنه من الممكن تعفير هذه المخطوطات بمادة يعرفها المتخصصون في هذا المجال وتستخدمها معظم المكتبات ، ولو شاء الإخوة اللبنانيون ذلك ، فنحن مستعدون لمساعدتهم في هذا الشأن .

أما القانون العربي الموحد لحماية المخطوطات ، فإن الأخذ به يحل المشكلة التي أشار إليها د. غسان ، إلى جانب أنه لا يؤدي إلى مصادرة مخطوطات أصحاب المكتبات الخاصة ، وإنما يقوم بتوعيتهم ، وتقديم خدمات الصيانة لمخطوطاتهم في مكتباتهم .

■ **د. عبد الله يوسف الغنيم :**

نحن دائمًا نهتم بمخطوطات القرون الأولى ، أما المخطوطات التي كُتبت في القرون المتأخرة ، فحظها من الاهتمام قليل جداً ، على الرغم من أن فيها فوائد كثيرة ، تفتقر إليها المكتبة العربية.

وعلى سبيل المثال ، فإن هناك مجموعة كبيرة من المخطوطات المتعلقة بالملاحة ، لم يُهتم بها حتى الآن الاهتمام اللائق بها ، على الرغم من أنها تمثل امتداداً لما قام به القدماء من أعمال تتعلق بالملاحة.

إن الملاحة لم تنقطع في البحر العربي وفي الخليج العربي وعالم المحيط

الهندي بشكل عام ، وثمة كثير من المخطوطات تتمم وتكمّل وتفصّل وتشرح أعمال أحمد بن ماجد وسليمان المهري ، لكن كل هذه المخطوطات لم يتم الاهتمام بها.

وثمة نقطة أخرى أثارها د. نوفان رجا السوارية حول موضوع الخرائط ، وما ذكره جيد ، فلا بد من الاهتمام بالخرائط وتصنيفها. لكن أضيف إلى ذلك أن نقوم بتحقيق الخريطة أسوة بتحقيق النص ، فقد نُشرت مخطوطات لابن حوقل أو للإصطخري أو للشريف الإدريسي ، وجاءت هذه الكتب محتوية على خرائط ، لم تنل حقها من التحقيق الدقيق كما نال النص ، فينبغي الاطلاع على المخطوطات المتأخرة في هذا الشأن ، فقد نجد في مخطوطة منها خريطة أقرب إلى الخريطة الأصل التي نقلها المحقق في كتابه.

■ د. عباس طاشكندي :

لم أجد دولة عربية واحدة باستثناء العراق ، طبقت قانون حماية التراث المخطوط ، بل إن العراق نفسه جاءت نصوص هذا القانون فيه ضمن قانون خاص بالآثار عمومًا ، فهو قانون غير مستقل! .

ولقد تقدمتُ باقتراح للحكومة السعودية بخصوص قانون لحماية المخطوطات ، وتبنته الحكومة ، ويوم أمس وافق مجلس الشورى السعودي على صيغة هذا القانون ، وسيصدر قريبًا ، وبذلك تكون السعودية أولى الدول العربية التي تجعل للمخطوطات قانونًا خاصاً بها يُعنى بحمايتها والحفاظ عليها، وأرجو أن تحذو باقي الدول العربية حذوها.

***

الجلسة الثالثة

المواقع الحرجة للتراث العربي المخطوط في العالم



المواقع الحرجة للتراث العربي المخطوط في العالم

أ. عصام الشنطي

■ **د. عادل سليمان جمال (رئيس الجلسة) :**

أحب أن أتوجة بالشكر إلى كل من د. أحمد يوسف ، ود. فيصل الحفيان ، على دعوتي إلى هذا الاجتماع وإلى ندوة فلسطين بالأمس ، فقد أتاحا لي الاجتماع بإخواني والاستماع إليهم والتعلم منهم.

لدينا في هذه الجلسة متحدث واحد هو الأستاذ عصام الشنطي ، ويحدثنا عن «المواقع الحرجة للتراث العربي المخطوط في العالم» ، فليتفضل بإلقاء بحثه .

* * *

(١)

توطئة :

أصل الأماكن ذات المخطوطات العربية ، لا تخرج عن أقطار الوطن العربي ، وأقطار العالم الإسلامي ، حيث كان التأليف والتدوين وطلبة العلم والوِراقة ، إلى آخر ما تتطلبه تلك الحضارة العربية ، التي يُعد الإسلام المقوِّمَ الأول من مقوماتها الأخرى ، فلا وجه غرابة أن نجد المخطوطات في العراق مثلاً ، وبلاد فارس ، لأنهما من مواقع الحضارة العربية ، وفيهما وُضعت المؤلَّفات ، وكانت المدارس ودور العلم شائعة .

ولكننا اليوم نرى أن خريطة التراث العربي المخطوط قد اتسعت رقعتها ، فشملت - فوق ما ذكرنا - أوربا وأميركا. وأصبحت المخطوطات موزَّعة في أقطار شتى من دول العالم.

ولسنا بصدد تعقب انتقال آلاف المخطوطات إلى تلك المناطق الغربية عنها. فلذلك تاريخ ودواع وأسباب عديدة أدت - مجتمعة أو متفرقة - إلى هذا التوزيع الجغرافي الجديد.

والحق نقول: إن المخطوطات العربية في بلاد أوربا وأميركا، أفضل حالاً من مخطوطات كثير من أقطار الوطن العربي، وأقطار العالم الإسلامي. وذلك لأسباب كثيرة، منها أننا أقل وعيًا، وأكثر جهلاً بقيمة هذا التراث، وانحدار الإمكانات المادية في كثير من الأقطار، الأمر الذي يُفضي إلى الإهمال، يتبعه ندرة معرفة أحدث الطرق العلمية للصيانة والترميم والتصوير، وندرة استخدام أدواتها المتقدمة.

على أن مشكلات المخطوطات العربية كثيرة ومتنوعة، وأمرها معروف عند المتخصصين وأولي الأمر في هذا المجال. ونستطيع أن نجمل منها ما يعيننا على وضع أيدينا على المواقع الأكثر حرجًا، أو تضررًا، في خريطة التراث العربي المخطوط. ومن ثم يمكن أن تعيننا على وضع بعض المحاور المهمة عند النظر - في ما بعد - في وضع خطة قومية شاملة.

من المشكلات، أن كثيرًا من أقطار الوطن العربي، بالإضافة إلى أقطار العالم الإسلامي، لا يخدم مخطوطاته الخدمة الواجبة، ولا يسمح - بإزاء ذلك - بتصويرها، بل يضع الحواجز والمعوِّقات أمام إتاحة التصوير، الذي يهدف إلى الحفاظ على ما فيها من علم وفكر، ومن ثم يتيسر اطلاع العلماء والباحثين. ويتفنن في وضع الأعذار المختلفة، والحجج المتنوعة، فتكون المحصلة - آخر الأمر - تلاشي هذا التراث المخطوط مع الزمن الممتد، مهما تمتع بوسائل مختلفة وحديثة من صيانة وترميم.

وثانيها، أن ثلثي المخطوطات العربية في العالم، على أقل التقديرات، لم يُكشف عنها بالحد الأدنى من التوصيف، المتضمن العناصر الأساسية التي تميز نسخة من أخرى، فضلاً عن أنها تُشعر بوجودها تامة أو مبتورة ذات خروم.

وأن كثيراً من المكتبات العامة ، فضلاً عن الخاصة ، لا تملك إلا سجلات قاصرة ، أو دفاتر موهمة ، أو بطاقات عاجزة ، لم يضعها إلا مفتقر إلى مهنة فهرسة المخطوطات في صورتها الأولى .

وثالثها ، ما يعرِّض المخطوطات لأضرار مادية كبيرة ، ويسبب أخطاراً قومية جسيمة ، بانتقالها - في الخفاء - من مكان إلى آخر ، لدواع مختلفة كما أسلفنا. فلا قانونَ خاصاً بها يعدها ثروة قومية ، سواء كانت في مكتبات عامة أو خاصة ، ومن ثم يحميها من المتاجرة والتهريب ، ولا قدرة لدى الهيئة المسؤولة في الدولة للقيام بتسجيلها ، والتعريف بها ، وخدمتها بالصيانة والترميم والتجليد والتصوير.

وآخرها ، هذه المخطوطات التي في غربتها ، والتي لا ينبغي - في اعتقادي - أن نضيع وقتًا لمحاولة استعادتها ، لأن القوانين الدولية لا تعين على ذلك. ومادام الأمر متعذراً بهذه الصورة القاتمة ، فهل هناك بإزائها خطة قومية شاملة لتصوير هذه المخطوطات ، قبل أن تتهددها سبل التلف المتعددة ، ودواعي الضياع المختلفة ، من حريق أو حرب ، فضلاً عن تلاشيها بحكم الزمن الممتد ، كما أسلفنا.

هكذا نكتفي بهذه المشكلات الأربع الكبرى ، لأنه ليس من همنا هنا استقصاؤها جميعًا ، وإنما عرضنا ما ذكرنا، لأنها من أعظمها أولاً ، ولأنها - ثانيًا - تخدمنا في نطاق هذا المبحث.

وسنشرع عما قليل في ذكر نماذج من المواضع الحرجة التي ينبغي التوجه إليها بالاهتمام والعناية والتصوير ، قبل غيرها من المواضع. وسنذكر هذه النماذج بناء على ظروفها في وقتنا هذا ، ووفق أولويتها ، وكثرة عدد مخطوطاتها ، ونفاسة نوعيتها ، وقوة دواعي الحرج وأسبابه. وهي نماذج أكثر

حرجًا وتضررًا من غيرها ، على الرغم مما يُحدق بجميع المخطوطات ، ويحيط بها ، أينما وُجدت ، من عوامل البلى والتلف.

وسأحاول حين أضرب من الأمثلة للتدليل على هذا الحرج المحدق ، ذكرَ ما لمستُه بنفسي ، أثناء زياراتي ، مستبعدًا - ما أمكن - أن تكون الأمثلة مما قرأتُ أو سمعتُ.

وتجدني قد استبعدتُ ما كان مرشحًا لذكره كموقع حرج ، لولا أن تناولته مؤسسة بتصوير مخطوطاته. وأقصد منطقة البوسنة والهرسك الإسلامية ، وما تعرضت له من أخطار ، ففي مدينة سراييفو ، عاصمة البوسنة ، فُجر بكامله ، إبان الحرب العنصرية ، في مايو/ آيار ١٩٩٢ ، معهدُ الدراسات الشرقية ، وحُرقت بالتالي مكتبته التي تحتوي على نحو خمسة آلاف مخطوطة إسلامية (سبعة آلاف عنوان) ، نصفها من المخطوطات العربية ، فضلاً عن بحوث ومطبوعات أخرى قيمة ، فسارعتْ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، في لندن ، بالقيام بمشروع عاجل ، فصوَّرت محتويات أكبر مكتبات المنطقة ، وهي مكتبة غازي خسرو بك الإسلامية ، البالغة نحو خمسة عشر ألف مخطوطة ، ثلاثة أرباعها مخطوطات عربية[1]. وكانت إبان القتال قد نقلت بليل من مكانها المعروف ، وهذا الذي نجَّاها من تدمير محقَّق. وبصنيع المؤسسة هذا أخرجنا هذه المنطقة من دائرة الحرج ، وإن لم تنته بعدُ ضرورة العناية بالمخطوطات في المنطقة كلها.

---

(١) زرتُ سراييفو مرتين، الأولى عام ١٩٨١ للكشف والاستطلاع. والثانية عام ١٩٨٩ للانتقاء والتصوير. انظر: المخطوطات العربية في يوغوسلافيا، عصام محمد الشنطي، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت الط . الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢)

فلسطين :

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تأثرت فلسطين بالنشاط الثقافي الذي سرى في المنطقة ، فنشأت مكتبات عدة تجمع فيها مئات المخطوطات المبعثرة في المساجد والبيوت. ومن أشهرها المكتبة الأحمدية في جامع أحمد باشا الجزار في عكا سنة ٩٩٦هـ/ ١٧٨١م ، ومكتبة يافا الإسلامية في جامع يافا الكبير سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م ، والمكتبة الخالدية بالقدس سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ، ثم مكتبة في غزة أسسها المفتي محيي الدين الحسيني في حي الدرج من المدينة. وتبع هذه المكتبات مكتبات عائلية خاصة نشأت في القرن العشرين الميلادي ، كالبديرية وآل الخطيب وجار الله وقطينة وأبي السعود في القدس. وفي نابلس مكتبات الجوهري والتميمي وهاشم وعاشور والبسطامي[١].

وفي الهجمة الصهيونية عام ١٩٤٨م و١٩٦٧م سيطر الصهاينة على فلسطين. وبعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية ، توزعت هذه الثروة من التراث المخطوط ما بين دولة الصهاينة ومنطقة نفوذ السلطة. هذا فضلاً عن مخطوطات القدس التي مازالت تحت الاحتلال الصهيوني ، ويطالب الفلسطينيون بعودتها إليهم ، شرعًا وحقاً.

لقد تعرضت المخطوطات تحت السيطرة الصهيونية للنهب والسلب. ونعلم بيقين أن المكتبة الأحمدية في جامع أحمد باشا الجزار في عكا ، قد نقصت مخطوطاتها عما كانت عليه قبيل أحداث ١٩٤٨ ، والأمثلة غيرها كثيرة .

ونعلم أن مكتبة العلامة عبد الله مُخلص الخاصة ، التي كانت تحتوي على نحو مئة وعشر مخطوطات ، بجانب ما يزيد على ثلاثة آلاف مطبوعة ، قد

---

(١) مخطوطات فلسطين - واقع وطموح (بيت المقدس)، فؤاد عبيد، منشورات مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني ، القدس ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ، ص ٣٥- ٣٦.

نُقلت ، خشية عليها من حرب ١٩٤٨م ، إلى دير بأطراف القدس ، ولكن الصهاينة نسفوا الدير بما فيه ، فضاعت هذه المكتبة النفيسة. وهكذا تعود أسباب ما تعرضت له مخطوطات فلسطين من نهب أو تخريب ، إلى الحرب والاستيلاء بالقوة[١].

على أن المعهد لم يهمل مخطوطات القدس ، فقد زارتها بعثته عام ١٩٥٣م، واستطاعت أن تختار وتصور ، من مكتبات عامة وخاصة ، قَدْرًا يناسب مدة البعثة المقرَّرة.

ولعل الحل أن يتبنى المعهد طرح مشروع متكامل كنتُ قد وضعته منذ عامين ، وقدمته إلى الاجتماع الثالث للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي ، في نوفمبر / تشرين ثان ١٩٩٨م ، وترجمتُ عناصر ذلك المشروع بمشروع اتفاقية توقعها الأطراف المعنية.

(٣)

تركيا:

إسلامية ، تحاول - منذ زمن - أن تخلع جلبابها الإسلامي ، وتلحق بالمجموعة الأوربية ، لما هم عليه من تقدم .

وكانت تركيا العثمانية قد حكمت دهرًا أقطار الوطن العربي ، بدعوى الاشتراك في العقيدة الإسلامية ، فتسنَّى لها نقل مخطوطات تلك الأقطار بالمئات والألوف ، وتجمَّع لديها في إستانبول وغيرها من المدن ، كثير من النفائس.

والحق أن السلطات في تركيا سمحت للمعهد في عام ١٩٤٩م بزيارة

(١) شاهدتُ ، حين زرت مكتبة أمبروزيانا (بميلانو - إيطاليا) عام ١٩٨٩م للانتقاء والتصوير، مجموعة من مخطوطاتها أتى بها ضابط في الجيش الإيطالي، من واحة جغبوب الليبية، إبان احتلالها عام ١٩١١م .

مكتباتها في إستانبول ، فصور منها قدرًا طيبًا ، وهو - مهما كثر - قطرة من بحر .

وكذلك أرسل المعهد بعثة إلى تركيا ، في أواخر عام ١٩٧٠م ، للاستطلاع والكشف ، فزارت مكتبات عديدة في أكثر من عشر مدن . وكان الهدف الأبعد لهذه البعثة هو التمهيد لبعثة تصوير جديدة . ولكن المعهد لم يتمكن من إيفاد البعثة المنشودة ، للتذرّع حينًا بضرورة الاتصال بوزارة الخارجية التركية قبل وزارة الثقافة ، وحينًا بضرورة تبادل المصورات ، بمعنى السماح للمعهد بتصوير مخطوطات عربية لديهم ، بعد أن يزودهم المعهد بمصورات مخطوطات عثمانية من أقطار الوطن العربي ، واحدة بواحدة .

وواضح أنه شرط تعسفي ، لأن عدد المخطوطات العثمانية في الأقطار العربية لا تساوي جزءًا بسيطًا مما هو لديهم من المخطوطات العربية ، فضلاً عن أن جهدًا عظيمًا سيبذل عند تصوير المخطوطات العثمانية الموزعة بأعداد قليلة بين المدن العربية المتباعدة الأطراف .

إن صيانة المخطوطات العربية في تركيا ، تعد في بعض مكتبات إستانبول من الدرجة المتوسطة . أما بقية المكتبات فيها ، وفي المدن والقرى الأخرى ، فلا تتمتع إلا بالإهمال . فضلاً عن أن عُظْم هذه المخطوطات لم يُكشف أمرها بفهارس وصفية . أما ما هو مسجل في دفاتر المكتبات وسجلاتها وبطاقاتها فهو موهم ، وأخطاؤه كثيرة وشائعة .

إن مخطوطات ذلك القطر الإسلامي تحتاج على أقل تقدير إلى حملة تصوير قومية شاملة وعاجلة ، في إستانبول وغيرها من المدن والقرى . ولا يتم ذلك إلا بعقد اتفاقية على مستوى عال من السلطة ، يمكِّن المعهد من القيام بواجبه . وللمعهد أن يستهدي للموافقة على ذلك بما فعلته بعض المؤسسات العربية الخاصة من دعم مكتبات تركيا بوسائل شتى ، وبما فعل المستشرق الألماني هلموت ريتر الذي أقام ، في مطلع القرن ، في مكتبه في إستانبول ،زهاء ثلاثين عامًا ، يبحث وينقِّب في مخطوطاتها .

(٤)

الهند:

أذكر الهند نموذجًا لموضع من المواضع الحرجة، مثلها مثل إيران، كثرةً في المخطوطات، ونفاسة. وما يمكن أن يقال هنا عن الهند، ينسحب على إيران.

نشأت في الهند، في عصور ماضية، دولٌ إسلامية، ومن ثم انتشر الإسلام واللغة العربية، فوُجد فيها مخطوطات في المدن والقرى بأعداد وفيرة، بعضها في مكتبات عامة تتبع الحكومة المركزية في دلهي (وزارة التعليم والثقافة)، ومكتبات تتبع حكومات الولايات، ومكتبات وقفية تتبع هيئات إسلامية عامة، ومكتبات لها صفة الملكية الخاصة.

وفي عام ٥١/ ١٩٥٢م توجه المعهد إلى الهند ببعثة انتقاء وتصوير، وعادت بقَدْر صالح من مكتبات عامة وخاصة غير مفهرسة، لا يُعرف النادر منها والنفيس إلا بالتنقيب.

وكنتُ قد زرتُ الهند، لصالح المعهد، في عام ١٩٨٤م، للاستطلاع والكشف[1]. وطفت في خمس مدن منها متباعدة، وهي: دلهي، حيدر آباد (الدكن)، مَدْراس، كلكتة، بتنه. وأمكنني في أقل من شهر أن أدخل سبع عشرة مكتبة، تحتوي على نحو ٤١ ألف مخطوطة عربية. وقد قيدت ملاحظات أساسية حول ١٥٦ مخطوطة منها، بعد أن اطلعت على أضعاف هذا العدد.

هذا غير مدن في المنطقة، لم أزرها، لأنها لم تكن في الخطة، مثل مدينة تونك، وديوبَنْد، ورامبور، وعليكرة.

وقد خرجت من هذه الرحلة بانطباع عام، وهو كثرة هذه المخطوطات،

(١) انظر التقرير مفصلاً بعنوان: المخطوطات العربية في الهند، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

وتوزعها على كثير من المدن والقرى ، في مكتبات عامة ، وأوقاف ، وخاصة.

ولم يُخْدم كثير من هذه المخطوطات بالكشف عنها والتعريف بها ، فالتقصير في هذا الميدان واضح وكبير ، وظروف حفظها وتخزينها متفاوتة ، ما بين متوسط ومنحدر ومعدوم .

والأمر يحتاج إلى سرعة الاهتمام بهذه المخطوطات حفظًا وصيانة وترميمًا وتجليدًا وتصويرًا. وينبغي للمعهد أن يتوجه إلى هذه البلاد الشاسعة ، والمشحونة بالمخطوطات العربية النفيسة لتصوير أكبر قَدْر منها.

(٥)

جمهورية أوزبكستان :

أذكرها لذاتها ، وأذكرها نموذجًا حياً يطابق بعض المواقع الأكثر حرجًا وتضررًا. وما ينسحب عليها من حديث ، ينسحب على بعض الجمهوريات الإسلامية المجاورة ، التي استقلت بأخرة عن الاتحاد السوفيتي ، كجمهورية أذربيجان ، ومركزها باكو ، وجمهورية طاجيكستان ، ومركزها دوشَنْبِه.

في طشقند ، عاصمة أوزبكستان ، من المخطوطات العربية ما يُدهش الباحث. وحسبي أن أذكر أن معهد أبي الريحان البيروني للدراسات الشرقية فيها ، يحتوي على نحو سبعة عشر ألف مخطوطة عربية(١) ، هذا غير ما في أماكن أخرى من مدن وقرى -كبخارى وسمرقندن وغيرهما.

وكان مدير المعهد د. صلاح الدين المنجد ، قد زار معهد طشقند هذا عام ١٩٦٠م ، للاستطلاع والكشف. ثم زارته بعثة للمهمة ذاتها عام ١٩٧٧م.

وفي عام ١٩٩٦م زارت المعهد د. رانو خوجه بنت عمر ، الأستاذة بمعهد

---

(١) كان هذا العدد عند زيارتي عام ١٩٧٧م. وقد زاد المحصول بعد استقلال الجمهورية ، وبدء المسلمين في إخراج المخبآت في عهد الاتحاد السوفيتي، فاشترى المعهد الكثير ، وقبل الإهداءات .

طشقند ، وشاركته في ندوته بعيده الذهبي. وأتاح لها الفرصة للحديث عن معهدها ، في جلسة من جلسات الندوة ، ودعت في تضاعيف الحديث إلى تعاون المعهدين في سبيل خدمة التراث العربي المخطوط.

إن الفرصة سانحة للمعهد ، بعد استقلال هذه الجمهورية ، لتجديد العلاقة ، وإقامة سبل تعاون مختلفة بين المعهدين ، وتصوير أكبر قدر من مخطوطاتهم العربية ، وغيرها من أماكن الجمهورية الزاخرة بها.

(٦)

إنجلترا :

أذكرها وأقصد المكتبة البريطانية في لندن (المتحف البريطاني سابقًا) ، وكذلك ما تحويه بعض جامعاتها من مخطوطات عربية.

ولم أذكر المكتبة البريطانية هذه إلا نموذجًا ينبغي التوجه إليه ، كما ينبغي أن يُتوجه إلى جمهورية روسيا (معهد الدراسات الاستشراقية في بطرس بيرغ على وجه الخصوص)[1] ومكتبة الكونجرس في واشنطن العاصمة (الولايات المتحدة الأميركية).

وقد استبعدتُ من الأمثلة في أوربا مكتبة أمبروزيانا (بميلانو - إيطاليا) ، وإسكوريال (إسبانيا) لأن المعهد صور منهما الكثير. ولم أذكر كذلك مكتبة شستر بتي في دبلن (أيرلندا) التي تحتوي على نحو أربعة آلاف مخطوطة عربية ، لأن جامعة الكويت حصلت عليها مصورة ، لقاء مبلغ ضخم ، وبعض جامعات المملكة السعودية لقاء مبلغ ضخم أيضًا. وغياب التنسيق والتعاون هو الذي كرر العمل ، وضاعف النفقات.

ولا يحتاج بعض ما ذكرتُ هنا إلى بعثات انتقاء وتصوير، لأن التعاون

(١) حوى من النفائس الكثير ، لأن المستشرقين الروس نقلوا إليه كثيراً من نفائس الجمهوريات الإسلامية، حين كانت جزءًا من الاتحاد السوفيتي.

والتبادل والشراء من هذه المكتبات ، يمكن أن يؤدي إلى ما نرجو ؛ وذلك بعد التنسيق مع بعض الجامعات العربية ، والمراكز المتخصصة ، خاصة في السعودية ، التي صورت بعض هذه المجموعات كاملة.

(٧)

موريتانيا :

نذكرها لذاتها ، ولأنها نموذج لما تحتاجه أيضًا الجزائر والصومال والسودان ، من حَمْلة شاملة للحفاظ على هذا التراث لديها.

يذكر الإحصاء التقريبي للمخطوطات العربية في موريتانيا نحو ثلاث مئة مكتبة ، أغلبها خاصة ، وتُقدَّر مخطوطاتها بنحو أربعين ألفاً ، في شتى الموضوعات والمعارف.

وكان المعهد قد أوفد خبيرين ، على فترتين متباعدتين ، للاستطلاع والكشف ، فكتبا تقريرين وافيين عن أوضاع المخطوطات فيها. وعلى أثر التقرير الثاني قدَّم المعهدُ للمعهد الموريتاني للبحث العلمي ، الذي أنشىء في نواكشوط العامة ، عام ١٩٧٤م ، بعضَ المعونات العينية التي تساعده على تصوير المخطوطات في المدن والقرى الزاخرة بها ، والمهدَّدة بالتلف والتلاشي . فقدَّم آلة تصوير ، ومعدّات أخرى ، وسيارة للتنقل الصحراوي .

وفي عام ١٩٩٧م ، أوفد المعهد بعثة انتقاء وتصوير إلى المعهد الموريتاني ، فصوَّرت منه ١٩٤ مخطوطة في مدى شهر. وفي العام التالي أوفد المعهد خبيراً إلى المعهد الموريتاني لإنشاء نواة معمل للصيانة والترميم ، فدرّب أحد عشر شاباً من نواكشوط وغيرها. وكان التدريب ناجحًا لأنه كان عملياً على مخطوطات تحتاج إلى ترميم عاجل ، وبمواد مختلفة كان قد قدَّمها المعهدُ للمعهد الموريتاني. وهيئة اليونسكو الدولية في سبيل إعانة المعهد الموريتاني على إنشاء معمل ثابت ودائم .

ومهمـا يكن الأمر ، فإن مخطـوطات موريتانيا عـمومًا في حالة مـتدنية ، وتحتاج إلى حَمْلة شـاملة ، تتوجّه إلى خدمتها بشـتى الوسائل. ومنها أن يقوم المعهد بسرعة تصوير أكبـر عدد ممكن من المخطوطات التي في طريقها للتلاشي والضياع.

(٨)

خاتمة:

مهّـدتُ لهذا الحـديث بتوطئـة ضرورية تُعين على اسـتنباط المواقع الحـرجة للتراث العـربي المخطوط في العالم. ولعلّ أهم مـا ذكرته في تلك التـوطئة ، مشكلات المخطوطات التي تعاني منهـا ، وهي كثيرة ومتنوعة. واكـتفيت بذكر أربع منها ، لعِظَم تأثيرها في المواقع ، ولأنهـا أعانت على وضع الأصبع على هذه المواقع.

والحق أنه كـان أمامي خـيـار ، وهو أن أعدَّ المواقع الحـرجة كلهـا ، وهي كثـيرة ، تجعل ذكـرها بتلك الصورة الموسَّـعة ، لا تعين المعـهد ، ولا الهيـئة المشتركة لخدمة التراث العربي ، في اجتماعها الرابع هذا ، على اتخاذ توصيات مناسبة ، وقابلة للتطبيق ، في هذا السبيل.

وتراني آثرتُ الاختيار المركَّز للمواقع الأكـثر حرجًا ، حتى كان من الأنسب أن يكون عنوان هـذا المبـحث «المواقع الأكـثـر حـرجًـا» ، بدلاً من «المواقع الحـرجة». لأنني لو انـسقتُ إلى الخـيـار الأول ، لضعف الأمـر ولان ، ولما توصلتُ إلى نتائج مفيدة.

على أنه ينبغـي أن أنبّه أن المواقع التي اختـرتُها لم تكن كلهـا تنسحب على معنى «الأكثر حرجًا» أي «الأكثر ضررًا». لأن ما اخترته من أوربا وأميركا ، لا تتعرض مخطوطاته إلى ضرر عاجل. ولكنني ذكرتها لأنها مواقع بِكْر ، أو شبه بِكْر. فضلاً عن أن عمـر هذه المخطوطات ، مهما طال ، ومهمـا تمتعت بشتى

وسائل الصيانة والترميم الحديثة ، مآلها يومًا إلى الانتهاء والتلاشي ، فرأيت سرعة التصوير في حَمْلة قومية شاملة ، ليعود هذا التراث إلى أهله مصوَّرًا ، وإتاحته للتحقيق والدرس.

لقد عددتُ من المواقع: فلسطين ، وتركيا ، والهند (ومثلها إيران) ، وجمهورية أوزبكستان (ومثلها أذربيجان وطاجيكستان) ، وإنجلترا (ومثلها روسيا وأميركا) ، وموريتانيا (ومثلها الجزائر والصومال والسودان).

وكان مقياس هذا الاختيار ذا شعب مختلفة ، فحينًا كان الاختيار على أن الحرب والاستيلاء بالقوة يتهددها. وحينًا أن أوضاعها المتردية هي التي تتهددها بالتلاشي والضياع. وحينًا أن هناك تجمعات ضخمة من هذه المخطوطات. وحينًا أنها مناطق بِكْر أو شبه بِكْر ، لا يكاد المعهد أعانها ، إذا كانت في حاجة إلى عون ، ولا صوَّر منها .

***



تعقيبات ومداخلات

■ **د. حمد بن ناصر الدخيل :**

قد أختلف مع الأستاذ عصام في تحديد مفهوم ما يسميه بالمواقع الحرجة للمخطوط العربي ، ولعل تحديد المصطلح مهم في هذا المجال ؛ لأن الكلمة إذا أطلقت فإنها تدل على تحديد الأماكن التي يعاني فيها المخطوط العربي من مشكلات التخزين وسوء الحفاظ والصيانة والآفات الحشرية وعوامل الطبيعة.

إن بحث الأستاذ عصام في عمومه يمثل محاولة موفقة لإيجاد مداخل للتعرف على المواقع الحرجة للتراث العربي المخطوط المتفرق في أنحاء العالم ، وهذه المداخل ستكون نواة لوضع الخطوط الرئيسة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

والحق أن تراثنا المخطوط يتعرض للدمار السريع لأسباب ترجع في معظمها إلى سوء الحفظ وعوامل الطبيعة المدمرة ، ويأتي في مقدمة ذلك المخطوطات التي تملكها الأسر ، ولا ترى أن أحداً سواها من حقه الاطلاع عليها ، وخيرٌ عندها أن تبقى هذه المخطوطات تعاني التلف والدمار من أن تكشف عنها لجهة من الجهات تُعنى بصيانة المخطوطات ، ومثل هذه الأسر منتشرة جداً في اليمن وموريتانيا.

هذه نقطة عرض لها الأستاذ عصام ، وأنا أتفق معه فيها ، لكني أزيد بأن جميع المخطوطات غير المفهرسة تعد موقعًا حرجًا إضافياً، وهي كثيرة تزيد على ما فُهرس وعُرف، وقد قدّر بعض المهتمين بالتراث العربي أن عدد المخطوطات العربية والإسلامية في العالم يبلغ نحو مليون مخطوطة ، ما نُشر منها محققًا أو غير محقق يصل إلى نحو (١٠٠) ألف مخطوطة فقط.

والحق أن كثيراً من المخطوطات نعدهــا في عداد المفقودات ؛ لأنها لم تصل إلينا مفهرسة ، ولا نعرف عنها سوى عنواناتها.

وحقاً تُوجد في العالم العربي مـحاولات جادة لإنقاذ المخطوطات ، ولكنها لا ترقى إلى المأمول ، ولن تستطيع دولة بمفردها النهـوض بالمهمة ؛ لأن الجهد المطلوب يتجاوز الإمكانات المتاحة. ولذا لا بد من التعاون ، والنظر إلى القضية على أنها قومية.

■ **محمد بن إبراهيم الشيباني :**

المواقع الحـرجة كـثيرة، قـد لا تكون فـقط في مواقـع الحروب والنكبـات والأعاصير والأحوال الجوية السيئة، بل قد تكون في الدول الحضارية والمتقدمة، وعلى رأسها دول في أوربا ، على الرغم من اسـتخدامها التقنيـات الحديثة في تعاملها مع المخطوطات. ولديَّ شواهد على ما أقول ، فقد زرتُ مكتبة جامعة كارل ماركس في برلين الشرقـية قبل سقوط الجدار وكـان جزء من مخطوطاتها محفوظًا في صناديق !

أما السودان ومخطوطاته ، فإن لديَّ حديثًا عن إحدى المكتبات هناك ، وهي مكتبة د. الماحي التيجاني، هذا الرجل جمع أكثر من ألفي مخطوطة ، فيها من النوادر ما فـيها . ولما توفي هذا الرجل قـامت ابنته بإهداء مكتبـته إلى جامـعة الخرطوم ، التي زرتها، وقابلت أحد المسؤولين فيهـا ، وعرضتُ عليه فهرستها وطباعة فهرس لها، فلم يستجب !

■ **د. غسان اللحام :**

إن تصوير المخطوطات من أي مكتـبة ليس أمرًا سهلاً خـاصة من دولة مثل تركيا، فهناك مشاقّ في إجراء عـملية التصوير أو في الوصول إلى المكتبات في إستانبـول ، وقد حضرتُ إحدى الندوات هناك، فـوجدتُ أن الأساتذة الأتراك

أنفسهم في جامعة أنقرة يشتكون من صعوبة الوصول إلى ما يريدون أن يطلعوا عليه أو يصوروه من مخطوطات !

وعلى هذا فإن الخطوة التي أرى أن نخطوها هي أن نسارع بوضع فهارس للمكتبات غير المفهرسة ، حتى إذا ما أردنا التصوير، انتقينا من هذه الفهارس ما نريد تصويره.

ومما يعود بالفائدة أيضًا أن نقوم بتوثيق العلاقات مع تركيا وغيرها من البلاد ، وذلك من خلال المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع معهد المخطوطات وغيره من المراكز المعنية بالتراث.

■ **د. أيمن فؤاد سيد:**

في ما يخص تركيا ، فإنها تعد أكبر وأهم مركز للمخطوطات العربية في العالم على الإطلاق، وثمة صعوبة حقاً في تصوير المخطوطات التي لديها، على الرغم من أنها فتحت مكتباتها على مصراعيها في عام ١٩٤٧ أو ١٩٤٨م لبعثة معهد المخطوطات، التي كان فيها الأستاذ رشاد عبد المطلب - رحمه الله- ولم تكن ثمة صعوبة تذكر إلا أن جزءًا من الاتفاق آنذاك أن يعطي المعهد نسخة من هذه المصوّرات للحكومة التركية.

وأنا أدعو المعهد إلى أن يعيد الاتصال بالجهات المعنية في تركيا ، لعله يتمكن من إيفاد بعثات إلى هناك.

وفي مقال قديم للدكتور يحيى الخشاب أيام كان مشرفًا على الإدارة الثقافية في الجامعة العربية ، اقترح إنشاء معهد كالمعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، تكون مهمته التنسيق بين البلاد العربية والجهات المسؤولة في إستانبول.

أما المخطوطات الإسلامية في جنوب الصحراء: مالي، ونيجيريا ، والنيجر، وغيرها من بلاد هذه المنطقة، فقد أُتيح لي مؤخرًا أن أراجع عملاً ببليوجرافياً

تقوم به مؤسسة الفرقان عن مخطوطات مكتبة مما حيدرة في مالي، ويُستدل من هذا العمل على الحالة المزرية التي وصلت إليها مخطوطات هذه المكتبة ، ولعل هذا يوجهنا إلى الاهتمام بمخطوطات هذه الدول على الرغم من أن هذه المخطوطات في عمومها تعليمية !

■ **د. يوسف زيدان :**

في ما يخص مخطوطات أوزبكستان فقد زرتُ طشقند، وقمتُ بإعداد دراسة لمخطوطاتها، وأستطيع أن أقول: إن أغلب المخطوطات موجود في طشقند، ونسبة كبيرة منها مكتوبة بالعربية ، وبعضها بالفارسية ، وبعضها بلغات أخرى، ونوادر المخطوطات هناك كثيرة جداً ، وثمة مصحفٍ كبير موجود لديهم يزعمون أنه المصحف الذي قتل سيدنا عثمان - رضي الله عنه - وهو يقرأ فيه!

■ **د. محمد عدنان اليخيت :**

لديَّ اقتراح أتقدم به ، وهو أن نشجع قدر الإمكان المؤسسات غير الرسمية ، فهذه المؤسسات قد تستطيع الوصول إلى أماكن للمخطوطات في مناطق بعيدة يصعب على معهد المخطوطات الوصول إليها، ويقوم المعهد في مثل هذه الحالة بالتواصل مع هذه المؤسسات والتنسيق معها.

وأما صعوبة التصوير من المكتبات التركية ، فإنها صعوبة يمكن تجاوزها إذا ما عرفنا مفتاح هذا البلد؛ فالأتراك عمومًا ينفرون من أي توجه عربي للتصوير، ولكنهم لا يمانعون كثيراً على مستوى الأفراد أو المؤسسات، وأعتقد أن دول الخليج تستطيع أن تصل إلى ما تريده من الأتراك بما تملكه من سلاح البترول الذي يتعطش إليه الأتراك !

***

الجلسة الرابعة

نحو صناعة معجم عربي لمصطلحات المخطوطات



المعجم الكوديكولوجي للمخطوط العربي: تصور واقتراح

د. أحمد شوقي بنبين

■ أ. إبراهيم الترزي (رئيس الجلسة) :

تجيء هذه الجلسة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى تحديد دقيق لمصطلحات المخطوطات ، فتحديد المصطلح - كما تعلمون - ييسِّر على أهل العلم التعرف على مدلوله ، ومصطلحات المخطوطات في عمومها عسيرة ، لأنها ذات صلة بعيدة بالتراث العربي.

ولدينا في هذه الجلسة المتخصصة متحدثان ، هما: د. أحمد شوقي بنبين، ود. أيمن فؤاد سيد.

***

يبدو أن هناك مشروعيةً في الحديث عن معجم متعلق بالكوديكولوجيا أو علم المخطوطات العربي ، طالما أن التراث العربي قد زخر بمعاجم المصطلحات التي جاءت مباشرة بعد مرحلة التأليف في الغريب، غير أن المعطيات والظروف التي أدت إلى وضع المعاجم في القديم هي غير المعطيات والظروف التي نحاول بها ومن خلالها إنشاء معجم لعلم المخطوطات.

إن وضع المعاجم في القديم كان نتيجة تطور كبير عرفته علوم العربية دعا اللغويين والفيلولوجيين إلى التفكير في هذا الإنجاز، وقد قاموا بذاك أحسن قيام. أما نحن المكتبيين والمختصين في دراسة المخطوطات فيمكن اعتبار المهمة التي ستناط بنا لوضع هذا المعجم نوعًا من المخاطرة ؛ لأن علم المخطوطات العربي بمفهومه العلمي الحديث هو علم جديد لم يتبلور بعد، بل يمكن القول إنه مازال يحبو أو في مرحلة الطفولة.

إن ما تمخضت عنه من أبحاث ودراسـات تلكم الندوات النادرة التي أقيمت في جهـات مختلفـة من العالم عن الكوديكولوجيـا والباليوغـرافيا (وقـد أخذ المخطوط العربي حيزاً منها) ، وكان آخرها الندوة الدولية الثالثة التي أقيمت في بولونيا بإيطاليا في شهر أكـتوبر من هذه السنة - قد لا تمكِّن المختصين في هذا الميدان من وضع معـجم محيط بمصطلحات هذا العلم عـلى غرار ما صُنع من معاجم في مجالات أخرى.

وعلى الرغم من عـدم توفر الإحـاطة الشاملة المنشـودة وضحالـة الأبحاث المنشـورة في هذا المجال، فـقد ظهـرت بعض البوادر من طرف بعـض الأفراد والجماعات تهدف إلى ملء هذا الفراغ :

أولها معجم من إنجاز جـماعة من الباحثين الفرنسيين برئاسة السـيد فرانسوا ديروس F.Dèroche بعنوان : مـوجـز لكوديكولوجـيـا المخطوطات العـربيـة Manuel de codicologie des manscrits en écriture arabe، وستنشره المكتبة الوطنية الفرنسية في نهاية السنة الحالية.

أما **الثاني** فهو معـجم العالم الكندي كادجيك (Gadjec) من جامعة ماككيل (Mac, Gil) بكندا ، ويزمع نشره في الأيام القليلة القادمة.

والمحاولة الثالثة تلكم التي أعلن عنها الباحث التونسي إبراهيم شبوح في لقاء علمي بمؤسسة الفرقان بلندن قبل أربع سنوات.

وبالإضافة إلى هذه المبادرة هناك محاولات أخرى من بينها تلكم التي تهيئها مجـموعة من البـاحثين الفرنسـيين في معهـد البحث وتاريخ النصـوص التابع للمركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) برئاسة الباحثة Imbert Geneviéve ، وفي حال صدور هذا الكتاب عن الكوديكولوجيا العربية ، فإنه سيفيد من دون شك في وضع معجم لمصطلحات المخطوط العربي[١].

(١) نظمت كلية آداب الـرباط أول ندوة دولية عن المخطوط العربي وعلـم المخطوطات في عام ١٩٩٢، وقد نشرت الندوة في كتاب .

ومما لا شك فيه أن أصحاب هذه المحاولات أو بالأحرى هذه المشاريع قد اعتمدوا - في ما اعتمدوا من مصادر ومراجع - بعض كتب التراث العربي؛ خصوصاً تلكم التي عالجت مواضيع المخطوط كالخط العربي، وما إليه من أدوات الكتابة والمواد المستعملة لنسخ المخطوط وصناعته ، غير أن هذه الكتب التراثية قد تبدو بعيدة نسبياً عن جوهر معجمات علم المخطوط. وأعتقد أن ذلك يرجع إلى سببين رئيسين :

الأول أنها كتب لم تكن تُعنى بالمخطوط بمفهومه المادي الصحيح. والثاني أنها لم تكن متشربة لمفهوم هذا العلم الجديد الذي يعني في معناه المتداول حفريات المخطوطة من حيث معطياتها المادية.

فإذا أخذنا مثالاً واحداً من أهم مصادر التراث التي تتحدث عن مادة الكتابة وأدواتها ، وهو كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (٨٢١ هـ)، ألفيناه يصب في هذا الاتجاه، ففي الكتاب نعثر على قسط وافر من المصطلحات التي تتعانق مع علم الخطوط القديمة وليس مع علم المخطوطات ، .كأن يذكر مثلاً الدواة، والنون، والمحبرة، والسكين، والمقلمة، والمزبر، واليراع، والمقط، والمنحت، والمدية، والجونة، والطرف، والليقة أو الكرسف، والمرملة، والنشا، والمفرشة، والممسحة، والمسقاة، وهي الآلة التي تُتخذ لصب الماء في المحبرة، والمسطرة، والمسن ، والتوفية ، والإتمام ، والإكمال ، والإشباع، والإرسال، والترصيف، والتأليف، والتسطير، والتنصيل. وحتى عندما يتحدث القلقشندي عن مادة من مواد الكتابة كالورق مثلاً، فهو لا يتحدث عنها بشكل حفري، في إطار الدفتر أو المخطوط،وإنما يتحدث عن ورق المراسلات أو الورق المتداول بين الناس. إن مقادير قطع الورق التي قد نوظفها نحن بشكل تقني في قاموس علم المخطوطات كانت مرتبطة بالمكانة الاجتماعية للناس، أي أن التسمية كانت اجتماعية أكثر مما هي تقنية ، يقول :

«. . . ذلك أنه يُكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار[1]، وإلى الأمراء

(١) الطومارة = الفرخة = الورقة الكاملة Folio - Feuillet.

من نصف طومار ، وإلى العمال والكُتّاب من ثلث، وإلى التجار وأشباههم من ربع، وإلى الحسّاب والمسّاح من سدس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم، وهي الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس، ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة ، وهي المعبّر عنها في زماننا بالفرخة»(1).

وكانت التسمية مرتبطة أيضًا بالمكان، كأن يتحدث المؤلف أيضًا عن قطع البغدادي وقطع المصري وقطع الشامي ، وما شابه ذلك.

ومع ذلك فنحن لا ننكر أن صبح الأعشى سيفيد المعجم الكوديكولوجي بكمّ لا بأس به من المصطلحات التي ستصبح تقنية في ما بعد مثل الطلس أو الطّرس، والطرة، والدرج، والصحيفة، والكاغد، والمهرق، وما شابه ذلك.

ويمكن أن نبدي نفس الملاحظات بخصوص مصادر أخرى سابقة عليه أو معاصرة له أو جاءت بعده نرى أنها مجدية في إثراء المعجم مثل رسالتي ابن مقلة والتوحيدي في الخط العربي اللتين كانتا المصدر الأول للقلقشندي، ورسالة في الخط وبري القلم لابن الصائغ (٨٤٥هـ) التي تطابق في كثير من المواضع كتاب القلقشندي وكتاب التيسير في صناعة التسفير للإشبيلي وكتاب صناعة تسفير الكتب وحل الذهب للسفياني، وهما كتابان حفريان صميميان؛ خاصة إذا علمنا أن التسفير أو التجليد هو درس هام في علم المخطوطات، وكتاب الإلماع في أصول الرواية والسماع للقاضي عياض، وإننا نجد في هذه المصادر مصطلحات لا مناص منها لعالم المخطوطات من مثل البرشمان والزليجة، وهي أن تطوى الفرخة اثنتي عشرة طية، والحصن وهي أن تطوى الفرخة أربعاً وعشرين طية، والغَرَاء والتخريم (الخياطة) والتقفية وما شابه ذلك ، ويجب ألا ننسى أن التاريخ قد بخل علينا بمؤلفات هامة جداً في هذا الميدان من مثل القلم والدواة للمدائني.

---

(1) صبح الأعشى ٦ / ١٨٩.

وينبغي الإشارة إلى أن الشعر العربي القديم لم يكن خاليًا من المصطلحات التي تحيل على هذا الحقل العلمي؛ يقول الضبي:

فلم يبقَ إلا دِمنةٌ ومنازلٌ كما رُدَّ في خط الدواة مدادها

ويقول الحارث بن حلّزة اليشكري:

لِمَنِ الديارُ عَفَوْنَ بالحبس آياتها كمهارق الفرسِ

ويقول العبدي:

لِمنِ دِمنٌ كأنهن صحائفُ قفار خلا منها الكثيبُ فواحفُ
أكَبَّ عليها كاتبٌ بدواته يقيم يَديه تارة ويخالفُ

إن الحسّ بعالم الكتابة والكتاب وأدوات الكتابة كان حاضراً، لدى الجاهليين. وبمجيء الإسلام تعمّق هذا الحسّ، فالإسلام دين ينطلق من القراءة والعلم، والقرآن يتضمن غير قليل من المصطلحات المرتبطة بالكتب ووسائل الكتابة.

وعلى العموم فباستثناء المبادرات والمحاولات المرتبطة بحقول قريبة من علم المخطوطات كالفهرسة والببليوغرافيا والمكتبات والخط العربي[1] (معجم مصطلحات الخط للبهنسي)، ثم المشاريع لوضع معجم لمصطلحات علم المخطوط المشار إليها في بداية هذا العرض - يبقى الأمر بحاجة إلى وضع هذا المعجم الذي أصبح ضرورياً في الوقت الراهن.

ولكن كيف نقوم بذلك وما هي الطرق التي يمكن اتباعها في سبيل إنجازه،

---

(١) محاولة أسعد داغر يوسف في عام ١٩٦١: القوائم القصيرة في الفهرسة الوصفية.
محاولة شعبان عبد العزيز خليفة: مصطلحات علم الببليوغرافيا.
محاولة الشنبيطي وصاحبيْه: معجم المطلحات المكتبية.
محاولة البنهاوي: معجم المصطلحات المكتبية العربي الإنجليزي.

وهل هناك عمل مماثل بالنسبة لمخطوطات اللغات الأجنبية نستشير ونهتدي به في وضع معجمنا العربي ؟

بالنسبة للتساؤل الأخير لم يوجد - حسب علمنا - سوى معجم دونسي موزريل D. Muzerelle: المعجم الكوديكولوجي: دليل منهجي بالمصطلحات الفرنسية المتعلقة بالمخطوطات (Vocabulaire codicologique) .

وترجع فكرة إنجاز هذا المعجم إلى أحد كبار الفيلولوجيين الفرنسيين شارل سمران منذ الأربعينيات أو قبلها بقليل، فقد دعا إلى هذا المشروع مع اقتراح مجموعة من الأفكار لبلورته وتنميته. ولما أُسس المكتب الدولي للباليوغرافيا عام ١٩٥٣ كان من أول أهدافه وضع معجم متعدد اللغات لألفاظ التقنية المتعلقة بمخطوطات العصر الوسيط، غير أن ضخامة المشروع وما سيتمخض عنه من صعوبات من شأنها أن تؤخر إنجازه فترة طويلة كلَّف المكتب الدولي للباليوغرافيا دونسي موزريل بوضع معجم لألفاظ المخطوطات الفرنسية ، على أن يكون الأساس والنموذج لهذا المشروع الضخم قبل أن يترجم إلى اللغات الأوروبية الأخرى ، مع إضافة ما يمكن أن يميز مخطوطات هذه اللغات. وهكذا وبعد عشر سنوات من العمل ظهر الكتاب سنة ١٩٨٥ في باريس وقد نَفِدَتْ طبعته الأولى، وحتى الآن لم يطبع ثانية ولم نعلم مدى أثره في اللغات الأخرى.

ويمتاز هذا المعجم بمجموعة من الخصائص لابد من احترامها والاقتداء بها والسير على هديها واستحضارها في وضع معجمنا العربي. وهي طريقة عملية مشروعة نتمكن من خلالها من إغناء معجمنا التقني[1].

ويمكن أن نتصوّر الزوايا التي يمكن أن يتنامى عَبْرَها معجمنا الناشئ ، فهو

(١) تجدر الإشارة إلى أن أحد طلبتي بالجامعة المغربية قد نقل كتاب «جاك لومير» : مدخل إلى علم المخطوطات ، من الفرنسية إلى العربية لنيل شهادة الماجستير. وقد عانى هذا الطالب الشيء الكثير في العثور على ألفاظ عربية لترجمة المصطلحات الفرنسية . وهذا سيفيد في وضع المعجم.

إما معجم ممعجم في علاقاته الدلالية، أو معجم منقول، أو معجم دخيل ، أو معجم موزون.

(١) المعجم التقني المعجم :

في اللغة الفرنسية هناك استغلال لكَمٍّ كبير من المصطلحات الدقيقة المرتبطة بالدقائق الحفرية للعلم مثل Siugulion و Binion و Ternion و Quaternion و Quinion و Octonion. إذ يكون الباحث ملزمًا إزاءها باستغلال أو ابتكار معجم بِكر يُؤَدِّي نفس الدلالة، كأن يتحدث الكوديكولوجي مثلاً عن الأحادية وهي الصحيفة المكونة من فرخة مطوية إلى اثنين ، وعن الثنائية وهي الكراسة المكونة من فرختين مزدوجتين ، وعن الثلاثية والرباعية والخماسية والسداسية والسباعية والثمانية.

ومن جهة أخرى فالقدماء في المعجم المتعلق بالمخطوطات لا يتحدثون إلا عن الجلود المدبوغة، نظرًا لأن الجانب المادي في المخطوطة لم يكن يعني الصانع إلا بشكل عابر، في حين إنه في فضاء علم المخطوطات يكون الباحث ملزمًا بأن يعرف مراحل صناعة الرق التي تمر عبر عمليات من مثل المرط والنتف والسَّحْل والحلق والكشط والجرد والتعريق والترقيق والتليين. . . وكل هاته الوحدات المعجمية هي مصطلحات إجرائية في العلم[١].

والكلام نفسه نقوله في إطار صناعة الكراسة أو الدفتر، فهذا مبحث إجرائي في علم المخطوطات، وهو لا يخلو من معجمات تقنية ممعجمة من مثل الطيّ لفرخة كاملة بقطع النصف أو الربع أو الثمن أو ما شابه ذلك.

وفي هذا الإطار، إطار التمعجم التقني ، يكون الباحث مرغمًا - في بعض الأحيان - على اللجوء إلى استحداث المصطلحات المركبة أو الممزوجة. إن الباحث الأوروبي مثلاً وظف معجمة Justification للإشارة إلى الفضاء

(١) كان من مصادر D. Muzerelle الكتب المصنفة في الدباغة والأبحاث التي وضعها البياطرة ، يستعير منها الألفاظ والمفاهيم المرتبطة بعلم المخطوط.

المكتوب في الصفحة، ونحن نرى أن الاصطلاح المركب «مساحة مكتوبة» هو المصطلح المناسب للإشارة إلى نفس الدلالة الاصطلاحية.

والأمر نفسه نقوله بخصوص الدلالة المتوخاة من معجمة كولوفون Colophon التي نرى أن اصطلاح «حرد المتن»[1] هو المناسب للاستجابة لنفس المعنى.

وهناك كمّ آخر من الاصطلاحات التي تسير في نفس المنحى من مثل «بوابة المخطوط» التي تقابل Incihit[2] فى الفرنسية أو «طبعة استقلالية» التي تقابل Incunable في نفس اللغة.

(٢) المعجم التقني المنقول أو المشتق:

منذ بداية الاصطلاح في اللغة العربية والعلوم تحتكر جزءًا ليس يسيراً من المستهلك اللغوي، ومن هذا المنطلق أصبح الاهتمام منصباً بالدرجة الأولى على العلاقات الدلالية للمعجمات المستهلكة التي توظف في علم المخطوطات في حلة جديدة. وقد رأينا أن شحن هاته المواد المعجمية العلائقية بطاقة دلالية جديدة هو ما من شأنه أن يستجيب لجزء واسع من التسميات التقنية المرتبطة بالعلم.

وهكذا فحينما نقول «وجه الورقة» و«ظهر الورقة» بناء على التسميات الغربية Recto وVerso، فإننا قد انطلقنا أصلاً من علاقة دلالية أخرى هي الأصل، وذلك كأن نَقُول «وجه الإنسان» و«ظهر الإنسان». وحينما نتحدث عن «ساكف» (linteau) الصحيفة، أي الخط الموجود في أعلى الصفحة، فالمنطلق هو ساكف الباب، وهي تلكم الفتحة المستطيلة التي تَشْرعُ الضوء في أعلى الباب. وحينما نتحدث عن الثَّلم[3] في الرق والذي نقصد به التجويف الخفيف

(١) الحرد فيها معنى التنحي والانتفاء.

(٢) Incihit: أول كلمة في المخطوطة.

(٣) الثلم: أثر المنقاش في الجلد.

اللماع الذي يحدث في الجـهة العليا من الورقة عندمـا يسطرها الصانع بواسطة منقاش التـسطير، فنحن أصلاً ننطلق من الثَّـلم في الوادي والثلم في العروض وما إلى ذلك. . . وحينمـا اقترحنا «المعقب» بدَلَ العُـقبية التي وظفـها صاحب «المنهل» في مـقـابل لفظة Talon بالفـرنسـيـة ، فذلـك لأن هذا المصطلح هو المناسب - بالنسـبة لنا - للقـطعة الصـغيـرة من الرق أو الورق التي تُلصَقُ في خلفية الكراسـة، وقد رأينا أن ابن منظور قد جوّز تعدد استـعمالات «المعقب» بطريقة غير مباشرة حينما قـال: «سمي الحفار مِعقبًا لأنه يعقُب المُلاءة أي يكون خلْفًا منها».

ووضعنا في مقابل مصطلح La mise en page بالفرنسية مصطلح «تركيب الصفـحات»، والمراد بها في علم المخطوطات أن نقـسم صفحـة الكتابة بشكل نحترم فيه المساحة المخصصة للهوامش. والتركيب في الأصل اللغوي هو الجمع بين مجموعة من الأجزاء. . .

وهكذا نلاحظ أن هذا المعـجم الناشئ لعلم المخطوطات يتجـدد ، شأنه في ذلك شأن مـعاجم مجمـوعة من العلوم الأخرى من إعـادة استغلال المستهلك ولكن في بُعـد مفهـومي ونسقيّ جديـد. فحينمـا نتحدث عن مـجمـوعة من المصطلحات من مثل الترتيب والحزم[1] والحجم ، والحجم التجاري ، والحجم الفـهـرسي ، والكوة، والعـلامـة ، والدرج ، والطرة ، والظفـيـرة الزائدة ، والرسم الأولّي للحـرف ، والـرزمـة ، والحـدبة ، والطيّ ، والزق ، وشـارة الكراسة ، ووعاء الكتابة (Support) ، والمساحة البارزة. . . فنحن نتعامل معها ومع المعـجم الذي يسيـر في هذا المنحى في إطار نسقي من خـلال العلم الذي يحتوبها.

تحدثنا في هذا الباب عن النقل أو الاشتقـاق بوصفه ظاهرة إجرائية في إغناء المعجم تقنياً. ونؤكّد من جديد على إجرائية تجديد العلاقة الدلالية للمستهلكات إذا أردنا السيـر قُدُمًا بإثراء العلم، ولا غـرابة في ذلك إذا علمنا أن العلوم التي

(١) الحزم: Piquage.

ظهـرت عقب مـجيء الإسلام قـد اعـتمـدت بشكل أسـاسي على المستـهلك اللغوي، ومن هُنا كان من اللازم عـلى العلماء قديمًا التميـيز بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

(٣) المعجم التقني الدخيل:

لقد أكّدت النظرية التوليفية[1] في اللسانيات الحديثة احترام المصطلح في أية لغة من اللغات، وتدعو إلى ضرورة نقله صوتياً ودلاليـاً، فالترجمة بالنسبة لها خسارة كبرى للحمولة أو الشحنة الدلالية المتوخاة من المصطلح. ونحن نرى أن هذا الطرح جميل وجذّاب، ولـكن لا يمكن أن نقبله كلية لأنه يجب أن نراعي شروط اللغة المنقول إليها، فيجب أن نضـمن للعربية حرمتها، ومع ذلك فهناك بعض المصطلحات التي تفرض علينا تعريبها بحسب النطق العربي.

إن لفظ «كـوديكولوجيـا» مثـلاً هو تعـريب لمصطلح (Codicologie) التي أطلقنا عليهـا علم المخطوطات ، ولكن يبقى لفظ «كوديكولوجـيا» أغنى دلالة وقصداً من الاصطلاحات الأخرى، وفي هذا الباب إذا كان يجب علينا أن نضع مثلاً «كتاب» في مقابل كلمة Codice تجاوزًا، فإن لفظة codex اللاتينية الأصل ذات حرمـة صوتية أكثـر منها دلالية، وبالتالـي يكون من الجائز لنا أن نبقيـها بحرمتها الصوتية في النطق العربي «كوديكس».

والأمر نفسه نقـوله بخصوص معجمات أخرى دخـيلة من مثل «غواشة» في مقابل Gouache الفـرنسـيـة ، وتعني طريقـة في الـرسم على الرق أو الورق بالألوان المائية. والبيسيا (Pecia) التي تعني التنسـيخ الجماعـي أو تقابل Pecia بالحروف اللاتينية . والفيليغران التي تعني العلامة وتقابل Filigrane بالفرنسية «والأرابيسك» التي تعني نوعًا من الزخـرفة وتقابل Arabesque باللغة الأجنبية وهلم ، جراً.

(١) الاحتفاظ بالمصطلح التقني خصوصًا الجانب الصوتي والمحتوى الدلالي.

إن هذا الأمر ليس غريبًا في اللغة العربية، فالمعجم المتعالق مع المخطوطات نفسه وعلى الرغم من سطحيته قد عرف الدخيل في تراثنا القديم، ومن الأدلة على ذلك كلمة «الطغرى» التي تجمع على الطغراوات مستعملة من لدن ثلة من الفقهاء قديمًا، وهي غير موجودة في لسان العرب، ويقول الزَّبيدي في تاج العروس: «كلمة أعجمية استعملها العرب ويعنون بها العلامة التي تكتب بالقلم الغليظ في طرة الأوامر السلطانية، وتقوم مقام السلطان. قلت : وأصلها طورغاي، وهي كلمة تَتَرِيّة استعملها الروم والفرس».

وقد استعيرت في هذا الشأن ألفاظ أخرى من الفارسية والتركية، ومن الأمثلة على ذلك الكلمة التركية «السرلوحة» وتعني الصفحة الأولى والثانية من المصحف مزخرفتين مذهبتين.

(٤) المعجم التقني والموازين :

إن إثراء المعجم في علم المخطوطات يرضخ من زاوية أخرى إلى قانون الموازين في اللغة العربية ، في مقابل أن اللغات الأخرى ترضخ لقوانين مخالفة، فاللغات الآرية مثلاً ترضخ لقانون التركيب[(١)].

وقد حدّد اللغويون لكلّ ميزان معنى من المعاني ، وهكذا فإذا كانت صيغة «مِفعَل» تدلّ على الآلة مطلقًا، فإننا نجدها تغطي أغلب أدوات صناعة المخطوط من مثل «المِلزم» ، وهي آلة تتخذ من نحاس ونحوه ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج حال الكتابة. والمنفذ وهي آلة تشبة المخرز تُتخذ لخرم الورق. والمِعقب وهي أداة ورقية تعقب الكراسة. والمِنحت وهي أداة تتخذ للتسطير الجاف للورق ونحوه.

وهناك صيغة صرفية أخرى نجدها إجرائية عندنا في هذا المجال هي صيغة «مِفعَلة» وتعني الأداة مطلقًا ، ومن ذلك المِمسحة ، وتسمى الدفتر أيضًا ،

(١) Codex et Logos = Codicologie.

وهي آلة يمسح عليها . والمسطرة وهي آلة من خشب مستقيمة الجنبين تتخذ للتسطير، والمصقلة وهي أداة يصقل بها الذهب بعد الكتابة.

وهناك صيغة «مِفعال» التي يُراد بها الوسيلة مطلقًا كالمنشاة والمِلواق[1]. وهناك صيغ أخرى قد تكون مجدية في توليد مصطلحات جديدة وإجرائية في العلم.

وأخيراً يمكن القول: إن ما أسلفْنَا الحديث عنه هو فقط اقتراح لمجموعة من المنافذ التي قد يتنامى المعجم عبرها. ويبقى أن نتساءل عن مدى تداخل الكوديكولوجيا أو علم المخطوطات والباليوغرافيا أو علم الخطوط القديمة واستعمال كليهما لألفاظ مشتركة .

إن معنى كلمتي الوصلة والترقيم في الخط غير معناها في علم المخطوط، فهي في الأولى عبارة عن علامة ترقيم في الكتابة ، وهي في الثانية التعقيبة أو الرابطة وطريقة لتتابع الأوراق يعتمدها الناسخ والصانع على السواء.

ثم إن هناك ألفاظاً ترتبط بالعلمين معًا مثل الصحيفة والكتاب والكراسة وغيرها.

في هذه الحالة سنكون ملزمين باقتحام ميدان الكتابة في استعمال المصطلحات. وبعد حل هذا الإشكال يجب أن نراعي في وضعنا للمعجم المواد التي لها علاقة مباشرة بصناعته. فإذا كان هذا العلم يهتم بصناعة المخطوط فلابد من الاهتمام بالمصطلحات التقنية المتعلقة بهذا المجال مثل الرق والورق والحبر أو المداد وأدوات التجليد والتسفير وغيرها ، ثم المصطلحات المتعلقة بالمحافظة المادية للمخطوط كالأدوات التقنية الحديثة المستعملة للتصوير مثل الميكروفيلم والميكروفيش والأقراص المدمجة C.D Rom وغيرها من الوسائل الصناعية التي أصبحت ضربة لازب في مجال المخطوطات .

(١) الملواق: ما تُلاق به الدواة، أي تحرك به الليقة.

ولن نختم هذا الحـديث دون أن نذكّر بالكفاءة والتـجربة والخبرة والممـارسة والتعامل المسـتمر مع المخطوطات التي يجب أن تتوفـر في من ستناط به مهمة السعي في إنجاز هذا المعجم .

إن تحديد بعض المصطلحات تحديداً علمـياً نهائياً قد يتجاوز المنافذ التي أشرنا إليها آنفًا ، ويدعو إلى استـشارة العديد من المخطوطات تصل أحيانًا إلى المئات إن لم أقل الآلاف. إن كلمة كراسة التي لم نجد لها تفسيراً شافيًا في المعاجم ؛ قديمها وحديثها تُعد في كثـير من المخطوطات عشر ورقات . وقد مكننا البحث في المخطوطات أنها تكون ثمـاني ورقات ، وتكون أحيانًا أخرى إحـدى عشرة ورقة. مـا الصحيح في ذلـك؟ أيرجع ذلك إلى تعدد أماكن النـسخ في العالم العربي أم يكون هناك سبب آخر لم يتم الكشف عنه بعد ؟

إننا نؤكد أن المـعجم مرتبط بالعلـم ، وهاته الفكرة أصبحت مـن المسلّمات الإبستمولوجية التي لا يمكن تجاهلها. إن تنامي المعجم وتوسعه رهين بتقدم علم المخطوطات في عالمنا العربي . وهذا ما يجب أن ننبه عليه بالدرجة الأولى.

***



نحو صناعة معجم عربي لمصطلحات المخطوطات

د. أيمن فؤاد سيد

إذا كان النَّصُّ هو المادة التي تَعْني الباحثين في التراث العربي بمختلف فنونه وموضوعاته ، فإن الجانب المادي للكتاب المخطوط وما يُمَثِّله من فُنون هو وثيقة أثرية حضارية ينبغي أن تُعامَل حسب قواعد أخرى غير تلك المستخدمة في دراسة نَصِّ المخطوطات.

وعلى ذلك فقد أصبح هناك علمٌ حديثٌ يختصّ بدراسة الشكل المادي للمخطوط أطلق عليه الأوربيون مصطلح الكوديكولوجيا Codicologie، وهو لَفْظٌ مركب من مقطعين : Codex اللاتينية بمعنى كتاب وLogos اليونانية بمعنى عِلْم وبحث ، أي علم الكتاب ، ولم يدخل هذا المصطلح المحدث إلى المعجم الفرنسيLe grand dictionnaireen cycloqédique إلا في عام ١٩٥٩ .

ولم يتعرَّف دارسو المخطوطات العربية والإسلامية على هذا العلم الجديد إلا في العقدين الأخيرين حيث بدأ الاهتمام بمواد صناعة الكتاب المخطوط ودراسة الحوامل التي حَمَلت ذلك الفكر متمثّلَة في الورق (البَرْدي والرَّق والكاغد) والحبر والمِداد والتجليد والأقلام وأصنافها، ثم الخط الذي دُوِّن به هذا الفكْر، وإن كان الأوربيون يرون أن الخط ومادة الكتابة تدخل في علم الباليوجرافيا أكثر من علم الكوديكولوجيا. وتشمل هذه العناصر المادية كذلك حجم الكُرّاسة والترقيم والتعقيبات التي تُيَسِّر مطالعة المخطوط وتساعد المختصين في صناعته على ترتيب كُرّاساته.

ويهتم هذا العلمُ كذلك بدراسة كلِّ أثرٍ لا يرتبط بالنَّصّ الأساسي للكتاب الذي كتبه المُؤلِّف، أي دراسة ما أَطْلَق عليه الأوربيون Ex- Libris (أي خوارج

الكتاب) وهي الإشارة إلى ما إذا كانت النسخة مُسَوَّدَة المؤلِّف أو مُبَيَّضته، أو الإخراج الأول أو الثاني للكتاب ؛ أو نسخة خزائنية كتبت لخزانة سلطان أو أمير أو عالم ، أو نسخة موقوفة على مدرسة أو جامع أو طُلاب العلم بمدينة من المدن ، وكذلك علامات التَّملُّك والبَيْع والشِّراء والهِبَة والاستعارة والاصطحاب ، بالإضافة إلى ما يسجّله كاتب النُّسخَة في نهايتها مشتملاً على اسم الناسخ وتاريخ النَّسْخ ومكانه والنسخة المنقول عنها في ما يُعرف بالكولوفون Colophon أو حَرْد المَتْن.

ويدرس هذا العلم أيضًا القيود ذات الصِّلة بنَص الكتاب وإن لم تكن من صُلْب متنه، مثل قيود «التصحيح والمقابلة والمعارضة» التي تؤكّد صِحَّة النسخة وأصالتها ؛ وكذلك قيود «المُطالَعَة والنَّظَر والانتقاء» التي تُعْلِي قيمة النسخة باعتبار أن أحدَ العلماء قد طالعها وانتقى فيها لبعض كتبه؛ و«الفوائد العلمية» التي يسجّلها على ظَهْر الكتب سواء مؤلف.الكتاب أو مالك النسخة أو أحد المطالعين فيها ، وقد تكون هذه التقييدات تراجم لأعلام أو ضَبْط تاريخ وفاة شخص أو تحديدًا لبعض المواضع الجغرافية أو تسجيل كلمات مأثورة أو أبياتًا شعرية أو فائدة لغوية؛ إضافة إلى إجازات السَّماع والقراءَة والمناولة التي كانت تُثْبَت على ظهور الكتب أو على غاشيتها، والتي تعدّ صورةً من الصور التي عرفها العلماء القدماء عن الشّهادات العلمية.

وعلى ذلك فإن فهارس المخطوطات العربية، سواء التي ظهرت في أوربا أو في البلاد العربية، لم تهتم بالإشارة إلى هذه العناصر المادية للمخطوط العربي، واكتفت فقط بتقديم فهرسة وصفية ببليوغرافية للمخطوط تشتمل على توثيق عنوان المخطوط واسم مؤلفه، وذكر أوّل المخطوط وآخره، ومسطرة الصفحة وقياسها، وعدد الأوراق، وتاريخ النَّسخ واسم الناسخ إن وجد، ونوع الخط ثم التصنيف ورقم الحِفْظ، وقد يستطرد بعض المفهرسين ويقدِّمون بيانًا بأبواب

الكتاب، وفصوله، وتدخل كل هذه البيانات في باب الفَهْرسة الببليوجرافية التي لا تختلف كثيراً عن فهرسة الكتاب المطبوع.

أما الفَهْرسة الكوديكولوجية للمخطوط العربي فتتطَلَّب قواعد أخرى وإيجاد مصطلحات جديدة والاتفاق على مدلولاتها، الأمر الذي يتطلَّب صناعة «معجم عربي لمصطلحات المخطوطات» يُعَيِّن هذه المصطلحات ويُحَدِّد دلالتها .

وقد قامت بعض المكتبات الأوربية بإعادة فهرسة مقتنياتها وفقًا للمنهج الكوديكولوجي لإضافة هذه البيانات الهامة والجديدة عن المخطوط مثل المكتبة الوطنية في باريس BnF، كما صدر عن دار الكتب المصرية الفهرس العربي الوحيد الذى طَبَّق هذه القواعد، وهو فهرس مخطوطات مُصْطَلَح الحديث الذي أصدره قبل أكثر من أربعين عامًا والدي المرحوم فؤاد سَيِّد.

ولعل من أهم المشاكل الحادة التي تواجه دارسي المخطوطات العربية مشكلة توحيد المُصْطَلَح، الأمر الذي يدعونا إلى سرعة إيجاد مثل هذا المعجم المتخصِّص، وقد سبق وقدَّم العالم الأثري إبراهيم شَبُّوح(*) تصورُّه لعمل معجم تاريخي لمصطلح ونصوص فنون صناعة المخطوط العربي ، موضِّحًا أهمية هذا المعجم للتعرُّف على مفهوم المصطلح وتطوُّره مع تطوُّر الصناعة، وكيف حُمِّل اللَّفْظ أحيانًا دلالةً جديدةً ليست في مفهومه الأصلي ، وذلك من خلال جَمْع أكبر قدر من نصوص فنون صناعة الكتاب العربي المخطوط.

ومن خلال اطلاعي على الكثير من مجموعات المخطوطات العالمية - سواء في البلاد العربية - الإسلامية أو الأوربية - ومشاركتي في العديد من المؤتمرات التي اهتمت بموضوع علم المخطوطات في إستانبول (١٩٩٣) ولندن (١٩٩٣) وباريس (١٩٩٨) وبولونيا (٢٠٠٠) والقاهرة (١٩٩٨)، تأكَّد لديّ ضرورة

(*) إبراهيم شبوح: «نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص فنون صناعة المخطوط العربي» في كتاب صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية - أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ١٨ - ١٩ نوفمبر ١٩٩٥، لندن ١٩٩٨، ص٣٤١-٣٩٣.

وجود معــجم عربي لمصطلحات المخطوطات يكون في متناول جـيل المفهرسين الجُدد، ويوجِّه الانتباه إلى أهمية الفـهرسة الكوديكولوجية للمخطوط العربي ؛ على أن ينطلق هذا المعجم من المصطلحـات التي استخدمهـا القدماء في وَصْف «خوارج الكتاب المخطوط» منذ عصر ابن الـنَّديم صاحب «الفِهْرِسْت» في نهاية القرن الرابع الهجـري/ العاشر الميلادي، وعلى وضع مقـابل عربي لمصطلحات هذا العلم عند الأوربيين كـما وردت في دراســات مثل: Muzerelle, D., Vo-Codicolgique Répertoire Méthodique des ternes Français Relatifsk aux Manuscrits, Paris 1985.

وتطرح هذه الورقة للمناقشة تحديـد «خوارج الكتاب المخطوط» بغرض تعيين مصطلحاتها وتوحيد دلالتها.

الظَّهْرِيَّة : وجه الورقة الأولى للمخطوطة (صفحة الغلاف).

الغاشية : الورقة الأخيرة للمخطوط المثبت بها جَرْد المَتْن أو الكولوفون.

حَـرْد المَتْن (الكولوفـون) : قَيْـد الفراغ من كتـابة النسخة المشـتمل على اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

المُقابَلَة : مقابلة النسخة على الأصل المنقول عنه أو بنسخة أخرى صحيحة أو موثقة.

المعارضة : عرض النسخـة على الأصل المنقول عنه أو على شيخ مستـخدمًا نسخته الموثقة.

المُطالعَـة : توقـيع عالم بمطالـعة الكتـاب وتحديد الـغرض من هذه المطالعـة وتاريخه.

الاستفادة : توقيع عالم بالاستفادة من النسخة.

التعليق : توقيع عالم بأنه علَّق بعض الاختيارات من النسخة لأحد مؤلفاته.

التعقيبة : نظام استخدمه القدماء لترقيم الكتاب عوضًا عن الترقيم ، بأن يكتب في الطرف الأيسر للصفحة اليمنى أول كلمة في الصفحة اليسرى (قد تكون بين الصفحات أو بين الكراسات).

التملُّك : توقيع مالك النسخة بأن النسخة من كتبه أو دخلت في مكتبته أو انتقلت إلى ملكيته ، ويحدد أحيانًا الطريقة التي حاز بها النسخة.

الوَقْف : نص مالك النسخة على وقف المخطوطة وتحبيسها على مدرسة من المدارس أو إحدى دور العلم، قد تكون نصًا مكتوبًا أو خاتمًا مطبوعًا.

النسخة الخزائنية : النسخة المكتوبة لخزانة سلطان أو أمير أو وجيه أو أحد العلماء.

مُنَمْنمة (جمع مُنَمْنَمات) : التصاوير الملونة المصاحبة للنسخة.

تزاويق : هي الأُطُر المزيَّنة بالألوان والتي تُحَدِّد حجم الجزء المكتوب ، أو تكون في فاتحة الكتاب.

واجهة الكتاب Prontispice : الصفحتان المتقابلتان المزينتان بالرسوم الهندسية الملونة والتي تسبق ظهرية الكتاب.

السَّماع : نص سماع الكتاب من مجموعة من التلاميذ على أحد الشيوخ أو مؤلف الكتاب.

القراءَة : نصّ قراءة الكتاب من أحد التلاميذ على أحد الشيوخ.

إن هذه الفهرسة الكوديكولوجية وتوحيد المصطلحات الخاصة بها تهدف إلى قيام دراسة تهتم بمعرفة الأسس المادية والظروف التي أنتج فيها المخطوط ومعرفة الطريقة التي وصل بها إلينا هذا النص أو ذاك ، وذلك عن طريق تحديد المخطوطات التي كتبها المؤلفون أو نقلها العلماء ، ومعرفة أسماء الورّاقين

والنسّاخين وما كتبوه من مخطوطات ، وإعادة بناء المجمـوعات وكيفية تصرّفها من خلال عـلامات التملّك والوَقْف والـنسخ الخزائنية ومـا ورد في حَرْد المتن؛ الأمر الذي يتطلَّب إعادة فهـرسة مخطوطاتنا لتشتمل على هذه البـيانات الهامة التي لا يمكن دون توفرها قيام مثل هذه الـدراسات. وهذا يستدعي تكوين جيل من المفهـرسين يتدرب على الأسلوب الكوديكولوجي في الفـهرسة، بالإضـافة إلى استخدام الفهرسة الآلية في بناء قواعد معلومات توفر هذه البيانات.

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. عبد الستار الحلوجي :**

أود أن أشير إلى أحد البحوث عن المصطلح والحدود في علم الفهرسة، قدمتُه منذ عامين تقريبًا إلى ندوة قضايا المخطوطات الثانية في أواخر عام ١٩٩٨ ، ويومها طالبتُ بضرورة جمع المصطلحات والتعريف بها وتوحيدها، وقد أشار د. أيمن إلى هذه الضرورة الملحة، ذاكرًا بحثًا للأستاذ إبراهيم شبوح في هذا الصدد ، أومأ إليه د. بنبين أيضًا.

ولقد صدمني مصطلح «الكوديكولوجيا» الذي يحلو للدكتور بنبين والدكتور أيمن أن يردِّداه للدلالة على علم المخطوطات ، وأنا أوافق د. بنبين على أن هذا المصطلح أغنى دلالةً من المصطلحات الأخرى، غير أني عندما أقرأ نصاً عربياً، وأجد كاتبه يضع المصطلح الأجنبي في مقابل المصطلح العربي ، أحس أن المؤلف يشعر أن قارئه - حتى لو كان متخصصًا - قد لا يدرك المعنى الذي يرمي إليه ، ومن ثم يسند كتاباته بالمصطلحات الأجنبية.

إن للدكتور بنبين كتابًا قدم فيه المصطلح الأجنبي، وهو الكوديكولوجيا، على المصطلح العربي، وهو علم المخطوطات، الذي جاء بين قوسين على غلاف كتابه ، وكنتُ أتصور أن يجيء بالمصطلح العربي قبل نظيره الأجنبي ، وليس العكس!

ثمة فرق بين نوعين من المعاجم : المعجم الشارح الذي يشرح الألفاظ ، والمعجم الثنائيّ اللغة أو متعدد اللغات الذي يعطي اللفظ الأجنبي واللفظ العربي، ومنه ذلك المعجم الذي صنعه مكتب التنسيق والتعريب ، وهو معجم

المعلوماتيـة باللغة العـربية ولغات أخـر، وهو معجم يـخالف ما تعـارف عليه المتخصصون في المصطلحات بكل أسف !

نحن بحاجة إلى معجم يعرّف بمصطلحات علم المخطوطات ، ولا بأس من أن يعطي المقـابل الأجنبي بشـرط أن يكون المصطلح العـربي هو الأســاس في ذلك.

أشار الأخوان الفـاضلان إلى افتتـاحية المخطوط، وهناك أكثـر من مصطلح يشير إلى هذه الدلالة مثل: مسـتهل، فاتحة، بداية، أول المخطوط. وثمة نماذج كثيرة لهـذا التعدد في المصطلحات، وهي تدل على الحاجـة الماسة إلى مثل هذا المعجم الذي نحن بصدده.

إن من مهام هذا المعجم أيضًا أنه يحوي بين دفـتيه الرموز والمختصرات التي تُستخدم فى المخطوطات ، وقد ذكر الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه «تحقيق النصوص ونشرها»، شيـئًا من ذلك ، إلى جانب دراسة جيدة قـام بها الأستاذ رشيد عبد الحق في تونس، عن فهرسة المخطوطات ومصطلحاتها.

بقي مما أحب الإشارة إليه مـوضوع التوصيف المادي للمـخطوط ، وقد ركز عليه د. أيمن ، وأومأ إلى ضرورة العناية به وبما على المخطوط أو في داخله من زخارف ورسـومات وألوان ، يجب أن تُؤخـذ بعين الاعتـبار عند صنـاعة هذا المعجم.

■ **د. أحمد شوقي بنبين :**

عندما ذكـرت كلمة الكوديكولوجـيا على غلاف كـتابي لم أذكرها قـاصدًا تقديمها على المصطلح العربي ، بل لأنهـا أكثر وأغنى دلالة. وما لنا نخشى من المصطلحات الأجنبـية، وقد صنع الأوربيون هذا الصنيع في العـصور الوسطى عندما كنا - نحن المسلمين - أسياد هذا العالم !

■ د. أيمن فؤاد سيد:

ما زلنا نستخدم في أقسام المكتبات كلمة «ببليوجرافيا» للدلالة على قائمة سطرية أو ثَبَت فيه تعداد للمصادر، ولا توجد كلمة عربية بديلة أو أكثر دقة منها، ومثل هذه الكلمة كلمة «كوديكولوجيا» ،ليس لدينا إلى الآن كلمة دقيقة تقابلها، وقولنا: «علم المخطوطات» كمقابل لمصطلح «كوديكولوجيا» غير دقيق، لأن علم المخطوطات مصطلح فضفاض.

من أجل ذلك نحن مضطرون إلى تعريب هذا المصطلح الأوروبي الوافد لدلالته الدقيقة على العلم الذي يشير إليه ، وليس حباً فيه أو زهدًا في مصطلح عربي يقابله مقابلة دقيقة أو غير دقيقة.

■ د. عبد الستار الحلوجي:

أتفق مع كل ما قيل ، غير أنى أر '. في هذا المعجم أن يكون المصطلح العربي هو الأساس ، ولا بأس من أن نضع إلى جانبه المصنطلح الأجنبي.

■ د. عبد الكريم عوفي:

نحن نحتاج إلى الاستفادة من جهود علمائنا السابقين في هذا المجال، فصناعة الوراقة والأحبار صناعة معروفة منذ القدم ، أشار إليها كثير من العلماء العرب بإيجاز أو بإطناب كابن قتيبة والنديم والقلقشندي.

أما موضوع الاختصارات والرموز التي أشار إليها د. الحلوجي فهام جداً، وعلينا أن نستفيد من علم الحديث واصطلاحاته في هذا الشأن عند صناعة معجمنا.

كما أحبذ فكرة التفرقة بين نوعين من المعاجم التي أشار إليها د. الحلوجي ولكن علينا قبل الشروع في معجم مصطلحات المخطوطات هذا أن نوحد مصطلحاتنا العربية في هذا الشأن ، وإلا وقعنا في الدوار الذي يعاني منه اليوم دارسو المصطلحات اللسانية أو اللغوية.

■ **د. حمد بن ناصر الدخيل :**

الحاجة ماسة حقاً إلى معجم عربي موحد لمصطلحات المخطوطات، وثمة محاولات سبقت في هذا الصدد، مثل كتاب «المخطوط العربي» للدكتور الحلوجي، وما كتبه الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه «تحقيق النصوص ونشرها»، إلى جانب ما كتبه د. محمود الطناحي في كتابه «مدخل إلى تحقيق التراث ونشره» ، ولكن هذه الجهود تحتاج إلى أن تُعزز بمعجم يشمل مصطلحات المخطوطات كلها.

وأتفق مع د. الحلوجي في ضرورة تقديم المصطلح العربي على نظيره الأجنبي في جميع الأحوال ؛ فقد سبق العربُ الغربَ في تأصيل المخطوطات وكتابتها ووضع المصطلحات المتعلقة بها.

كما أؤكد إمكانية الإفادة من الرموز والاختصارات التي وضعها المحدِّثون، إلى جانب إمكانية الإفادة مما تركه الخطاطون الأوائل مثل ابن البواب وابن مقلة، وغيرهما.

وأحب أن نتنبه إلى أن مصطلحات المخطوطات قد لا نجدها في معجمات مثل لسان العرب أو الصحاح أو أساس البلاغة، وغيرها من المعجمات ، وإنما نجدها في الكتب التي تتعرض لدراسة الخطوط العربية.

■ **د. غسان اللحام :**

ثمة أعمال فردية منقوصة على طريق صنع المعجم الذي نصبو إليه، وكان العمل الجماعي فيها غائبًا، ولم تحاول منظمة من المنظمات المعنية بالتراث العربي أن ترعى صناعة مثل هذا المعجم، فيكون ثمة تنسيق بين الجهود ، ولكن المحاولات الفردية تبقى فردية. أما العمل الجماعي المؤسسي، فيفرض نفسه على الوطن العربي كله.

ولدينا في سورية تجربة يحسن الإشارة إليها ، فقد قررت الجمعية العلمية

السورية صنع معجم في المصطلحات المعلوماتية ، وكونت فريقًا علمياً مهمته جمع هذه المصطلحات وتصنيفها ، وقد استطعنا أن ننجز العمل الذي سيُطبع قريبًا، مشتملاً على سبعة آلاف مصطلح وما يقابلها باللغات الأخرى. وهذا المعجم متجدد . وما أقصده أن العمل المؤسسي هو المجدي.

■ د. دحيد ولد القاسم:

أريد أن أقول: إن مصطلح «الكوديكولوجيا» عند الأوروبيين يركز على الجانب الأثري لمادة المخطوط دون الاكتراث كثيراً بالمحتوى.

■ د. علي صالح كرار:

قابلتُ قبل أشهر أحد المستشرقين المهتمين بالمخطوطات العربية والإسلامية، وأذكر أنه ناقشني في مسألة المصطلح ، ونعَى علينا هيامنا بالمصطلح الأجنبي وتفضيله على المصطلح العربي. وأذكر أيضًا أن أستاذنا د. عبد الله الطيب ينتقد بشدة استخدام المصطلحات الأجنبية.

■ د. أحمد مختار عمر:

الحق أني لم أرتحْ لكلمة: «نوع من المخاطرة» التي بدأ بها د. بنيين محاضرته، فهي ليست مخاطرة ، وإنما هي نزهة ؛ لأن الشخص الذي يبدأ عملاً جديدًا يكون رائدًا، وأي شيء يكتبه تكون له قيمة.

يجب أن نسارع إلى عمل هذا المعجم، لأن التلكؤ سيعطي الفرصة لغيرنا، فيقوم بعمل المعجم، ويقتصر دورنا على ترجمة عمله ، كما ترجمنا من قبل أعمالاً أخرى تعرفونها جميعًا !

إن البداية الحقيقية أن نبدأ بكتب التراث التي تعرضت لمصطلحات المخطوطات، ففصلت القول فيها، ثم نقوم بعمل مَسْحي لما ورد فيها من مصطلحات متعلقة بالمخطوطات.

أما الأشكال الأربعة التي اقترحها د. بنبين فلا أراها متعارضة، بل متفاوتة، ومن الممكن أن تتعاون جميعًا في إصدار معجم يكون ممعجمًا كما سمّاه.

وقد فزع د. الحلوجي من عدم اتفاق المكتبيين على مصطلح واحد لكل مفهوم من المفاهيم، وأطمئنه فأقول: إن هذا موجود في كل العلوم ، فلا داعي للفزع.

وقد كنت أنتظر من الدكتور الحلوجي نوعًا ثالثًا من المعاجم ، إلى جانب النوعين اللذين اقترحهما ، وهو معجم يجمع كل المرادفات المصطلحية في داخل العلم الواحد.

■ د. يوسف زيدان :

أشار د. بنبين إلى أن المعجم الفرنسي رجع إلى أعمال طبية فرنسية. ولو أننا أدخلنا إلى هذا المعجم الذي ننشده العلوم الأخرى ، لكُنا أمام عمل ضخم مهول.

ولا أرى إنجاز هذا المعجم أمرًا عسيرًا، فعن طريق أجهزة الكمبيوتر التي يمتلكها معهد المخطوطات يمكن عمل حصر لكل الجهود السابقة في هذا المجال، ومن ثم تتجمع لدينا مادة ضخمة نضعها بين يدي لجنة منتخبة تقوم بتنقيتها، مع إضافة الفقرات الواردة عند القلقشندي، ويكون ذلك في عدة بحوث، يتوفر عليها باحثون مؤهلون، ويتم إدخال كل هذا على الكمبيوتر، وأخيرًا تراجع لجنة من ثلاثة أساتذة أو أربعة هذا العمل، وتعمل على تجويده وتهيئته للطباعة!

■ د. عباس طاشكندي :

ترتبط مصطلحات المخطوطات بالنص الموضوعي للمخطوط، ومن ثم ترتبط بالمفاهيم الموضوعية ، وهي مهمة علوم متعددة وهيئات مختلفة.

ومن جانب آخر ترتبط مصطلحات المخطوطات بصناعة المخطوط وإخراجه

وأسلوبه، وتحديداً ما يتعلق منه بالمقدمات والخواتيم والترقيم والاختصارات والشروح، وهو ما نحتاج إليه ونستطيع من خلاله أن نصنع معجمًا لمصطلحات المخطوط العربي. أما أن ندخل في موضوعات أخرى فهو خطأ منهجي.

■ **د. فيصل الحفيان:**

قالوا لابن هشام: لماذا لا تؤلف كتابًا في التفسير؟ فقال: أغناني «المغني». وأظن أن ما قاله كل من د. أحمد مختار عمر، ود. طاشكندي قد وضع كثيراً من النقاط على الحروف، غير أني أحب أن أشير إلى نقطة مهمة هي أننا لسنا في موقف المفاضلة بين مصطلحي «الكوديكولوجيا» و«علم المخطوطات»، وإلا لما أثرنا موضوع وضع معجم عربي لمصطلحات المخطوطات!

نحن نريد المصطلحات العربية المتداولة في المخطوطات، ثم نذكر ما يرادفها عند الآخرين، ونوضحها أو نشرحها، كما قال د. الحلوجي.

لسنا إذاً في موقف المفاضلة بين المصطلحات الغربية ومصطلحاتنا، لكن ما نريده هو معجم عربي لمصطلحات المخطوطات، وليس لعلم المخطوطات، أعني أن الغاية هي كل ما يتصل بالمخطوطات، سواء من الناحية الموضوعية العلمية، أم من ناحية الوعاء الذي كتبت عليه. أما مصطلحات العلوم المختلفة فليست واردة أصلاً.

أما د. يوسف زيدان فقد بسَّط المسألة كثيراً، واستقراء المصطلحات الموجودة في المخطوطات يحتاج إلى جهد ووقت كبيرين، وإنما البداية أمر لا بد منه بلا شك.

***



الجلسة الخامسة

مشروع الخطة الشاملة للتراث العربي المخطوط



مشروع الخطة الشاملة للتراث العربي المخطوط
(مخطط عام)

د. فيصل الحفيان

■ د. أحمد فؤاد باشا (رئيس الجلسة):

يسعدني أن أقوم برئاسة هذه الجلسة التي تركز على بحث وضع خطة شاملة للتراث العربي المخطوط ، من زاويتين: مخطط عام ، وأطر نظرية وتطبيقات. الزاوية الأولى للدكتور فيصل الحفيان ، والثانية للدكتور يوسف زيدان ، فليتفضل أولاً د. فيصل الحفيان.

* * *

تمهيد:

ثمة غايات شريفة، وثمة مهام صعبة ومتشابكة، ونحن بصدد خدمة التراث العربي المخطوط ، والعمل فيه ، وله. ولكن الغايات - في ما يبدو لي - تائهة أحيانًا ، وتلك المهام - في ما يبدو لي أيضًا - لا تؤدى على الوجه المرضي؛ وذلك لسبب رئيس هو أن هذا التراث ما زال حتى اليوم لا يستند إلى خطة شاملة ، تكون أشبه بالدساتير أو القوانين العامة التي تحكم حركة المجموعات البشرية. إن الدساتير هذه هي التي تضبط آمال الناس وتوجهاتها ومجتمعها على مبادئ وأسس ليس عليها خلاف. والتراث محتاج إلى هذا النوع من الضبط في «دستور» مكتوب ، يُتفق عليه، ثم هو محتاج بعد ذلك إلى قوانين عامة توجه حركته أو حركة العاملين فيه إلى تحقيق المبادئ والأسس العامة التي ارتضوها.

أنشئ معهد المخطوطات العربية قبل أكثر من نصف قرن ، وكان في ميدان العمل التراثي وحده تقريبًا، ومنذ ذلك اليوم حتى الآن أُنشئت عشرات ، وربما

مئات المراكز والهيئات والمؤسسات المعنية بالتراث ، على نحو ما ، في جميع البلدان العربية ، وفي بلدان أخرى إسلامية، وأجنبية ، ولقد قام المعهد ، وقامت هذه المراكز خلال الفترة الماضية بأعمال عظيمة ، لاشك في ذلك، لكن كل مركز كان يعمل - في الأغلب الأعم - على وفق رؤيته الخاصة، وبناء على نظرة اجتهادية محكومة بظروفه وقناعته، دون أن يفيد من المراكز المماثلة إلا في أضيق الحدود. هذه المراكز إذًا جزر منعزلة، لها خططها الجزئية وتجاربها الخاصة وممارساتها المستقلة ، والتي ترتبط بالظروف ، وتقوم على الاجتهاد ، الذي يصيب حينًا ويخطئ حينًا.

والآن بعد مرور هذه العقود الطويلة من العمل الاجتهادي المبعثر، إن صدق الوصف ، نعتقد أنه قد حان الوقت لكي نضع لتراثنا المخطوط دستورًا ، ونصوغ له قانونًا عاماً، يحكم حركتنا فيه ، وفي العمل من أجله. وهذا ما يطمح هذا البحث إلى تحقيق شيء منه ، أو اللَّفت على الأقل لهذه الغاية.

في عام ١٩٨٢ تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وضع خطة شاملة للثقافة العربية ، صدرت في ثلاث مجلدات ، في الثمانينيات من القرن الفائت ، وقد عدت هذه الخطة التراث بأشكاله : المادي: (الآثار)، والشفاهي، والمخطوط (المكتوب) مكونًا أساسياً من مكونات ثقافتنا، وتضمنت الخطة ندوة خاصة بالمخطوطات العربية والوثائق ، احتوت ثلاثة بحوث، أحدها للمرحوم الدكتور شكري فيصل ، وثانيها للدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، وثالثها للدكتورة سعاد ماهر محمد. وقد اصطبغ كل بحث بصبغة صاحبه، ففي حين ركز الأول على المخطوطات ، اهتم الثاني بالوثائق ، وشُغل الثالث بالخط العربي ، ولا شك أن بحث د. شكري فيصل هو أوثق البحوث بقضيتنا، وقد رجعنا إليه وأفدنا منه.

نستطيع أن نقول إذن: إن تراثنا المخطوط قد شغل ضمن الخطة الشاملة للثقافة العربية بحثًا واحدًا استغرق ما يقرب من (٣٠) صفحة. ولا شك أن

التراث المخطوط بهمومه ومشكلاته المعقدة، وآفاق عمله الواسعة ، ورحابة المساحة التي يمتد عليها - لا يغني فيه بحث ضمن ندوة .

من هنا جاءت فكرة هذا المحور الذي رأينا عرضه على «الهيئة»، ولا بد من استرعاء الانتباه إلى أن هذه الورقة وغيرها ضمن هذا المحور تهدف إلى وضع مخطط عام وتقديم رؤى عامة ، ثم يأتي بعد ذلك تشقيق هذا المخطط العام وهذه الرؤى إلى أوراق أو بحوث يُكلف بها عدد من كبار المتخصصين، كلّ في ما يخصه، ثم تجمع في كتاب واحد تحت عنوان «الخطة الشاملة للتراث العربي المخطوط».

ولا نعتقد أن في ذلك تزيدًا أو مبالغة أو إسرافًا ، فالتراث العربي المخطوط مكون أساسي من مكونات ثقافتنا كما سلف ، والعمل فيه وله ذو خصوصية تفرض علينا أن نتعامل معه على وفق «خطة» خاصة ، ليست بالطبع هي «خطة» الثقافة بمفهومها العام، وهذا أمر - في ما نظن - بدهي ، ليس بحاجة إلى كثير كلام.

***

عنوان هذه الدراسة يتضمن مفردتين أساسيتين: الخطة ، والتراث. وإذا كان لب هذا البحث هو «الخطة» فلنتركها إلى موضعها لاحقًا ، أما كلمة التراث فقد قيدناها بوصفين : العربي ، وهذا مفهوم. والمخطوط: التراث المادي، وأردنا إخراج التراث المادي ، والتراث الشفهي الاجتماعي من تقاليد الناس وعاداتهم وطبائعهم وطرق تفكيرهم وسلوكهم المتوارثة.

ونريد هنا أن نخرج كذلك «الوثائق» على الرغم من أنها مخطوطة أو مكتوبة ، لكن مضمونها وأغراضها تجعلها أيضًا ذات طبيعة خاصة ، تنأى بها عن التراث العربي المخطوط أو المكتوب الذي نُعنى به هنا بخاصة، ونسعى إلى وضع «إستراتيجية» خاصة به.

على أن كلمة «المخطوط» أصبحت مصطلحًا لا ينصرف إلا إلى التراث المكتوب، في حين تم الاتفاق على مصطلح «الوثائق» للدلالة على ذلك الوعاء المختلِف في مضمونه وغرضه، ومن هنا فلا إشكال، لكننا رغبنا في اللفت إلى هذا حتى يستقيم المنهج، ولا يختلط الأمر على بعضهم، فيسأل: لماذا أخرجنا «الوثائق»؟ أو يطالب بالاهتمام بها بوصفها جزءًا من التراث.

ولا بأس أن نتوقف هنا، ونشير إلى كلمتين ضمن العنوان «في العالم»، وهما مهمتان في التنبيه على أن الهدف هو التراث العربي الموجود في العالم كله.

لقد قسمنا هذا البحث قسمين:

الأول: في الأهداف العامة التي يجب أن نضعها أمامنا، ونحن نعمل في هذا التراث، أي في إستراتيجية الفكر.

الثاني: في الخطط العامة التي ينبغي أن ننفذها للوصول إلى تلك الأغراض، أي في إستراتيجية العمل.

– ١ –

إستراتيجية الفكر:

دعونا نتفق أولاً على غاية واحدة لتراثنا. وقد لا يعجب بعضهم هذا الأمر، ويرى أن فيه اختزالاً غير مستحب، فالأغراض كثيرة، تبدأ بأن هذا التراث مرتبط بديننا، ولا تنتهي بحب هذا التراث والانتماء إليه والاعتزاز به، وهذا صحيح، ولكن ما نريده هنا هو أن نضع هدفًا، قد يصح أن ننعته بأنه هدف عملي مرتبط بالحاضر، وضروري للمستقبل، مثل هذا الهدف سيحظى بالإجماع العاقل، ويستنفر الهمم ويحفز على العمل، بعيدًا عن التهاون والتواكل والاكتفاء بالكلام.

هذا الهدف الكبير الذي يجب أن نعمل من أجله، هو صياغة خطاب خاص بنا كأمة، وبخاصة أننا دلفنا إلى الألفية الثالثة التي تهب فيها رياح عاتية، هي رياح العولمة بكل ما تحمله صيغة «الفوعلة» هذه في لغتنا من محاولات القهر والإكراه وليّ الأذرع، وما يستتبعه ذلك من طمس لشخصيات الأمم وتذويبها وتغيير ملامحها، لصالح شعب ما، أو دولة ما، أو حضارة ما.

كيف نصوغ هذا الخطاب الذي يؤكد خصوصيتنا؟ قد يظن بعضهم أن أي عمل تراثي : نشر كتاب ما، التعريف بعَلَم من أعلام التراث، عقد مؤتمر أو ندوة في ميدان التراث، ترجمة كتاب إلى لغة أخرى... كل هذا تأكيد للخصوصية، لكن الحقيقة أن مثل هذه الأعمال الجزئية لا تؤدي إلى هذا الغرض، وقد تكون خطوة على الطريق إليه، أما في نفسها فلا. إنها أشبه بمادة أولية نصنع منها، أو نشكل بها شيئًا آخر، هو ذلك الذي نحتاج إليه.

نعود إلى السؤال مرة أخرى: كيف نؤكد الخصوصية ؟ نؤكدها بأن نستنبط من هذا التراث القضايا الكبرى والإنجازات العظيمة، ونضع اليد على التحولات العامة التي أعطت لهذا التراث قيمته، ومنحتنا نحن وجودنا بوصفنا أمة، بمعنى أن نشرف علي هذا التراث من أعلى، فينكشف لنا، ونراه رؤية شاملة، تبدو لنا من خلالها ما يوقف ويستوقف، ونتتبَّع بوساطتها التفصيلات بتأنٍّ وتؤدة، لنؤلف بينها، ونستخلص منها إنجازًا ما أو ظاهرة ما، أو إضافة ما، ثم نقدم ذلك لأنفسنا من ناحية، وللآخرين من ناحية أخرى، لأنفسنا لنبني عليه ونفيد منه، وللآخرين ليدركوا قيمة إسهامنا ودورنا الفاعل في مسيرة الحضارة.

ثمة فارق دقيق بين أن نغرق في جزئية ما، قد تكون عالمًا، أو كتابًا، أو عملاً، أو بطولة، وأن ننظر إلى هذه الجزئية في سياقها العلمي، والحضاري، والزمني، والبيئي، ونربطها بما سبق، وما لحق، ونجعل منها في هذا الإطار منظومة متكاملة تفتح لنا آفاقًا ما كنا لنراها، أو نتنبه إليها أصلاً، ولا شك أن

ذلك أمر سامٍ، يحتاج إلى أولي العزم من الرجال، فمثل هذه النظرة المرتبة الواعية لا ينهض بها إلا متخصصون على مستوى عال من التخصص، وهذا ما يفرض أن يكون لدينا علماء متعمقون في كل ميدان من ميادين التراث. صحيح أن لدينا علماء، لكنهم قلة قليلة، ولأنهم كذلك فإنهم أمام اتساع دائرة البحث ينشغلون - أحيانًا - بقضايا لا تدخل في اختصاصهم، فيخرجون عن وعي، أو دون وعي، عن الدائرة التي هي مجال إضافتهم وإبداعهم، ويقدمون أعمالاً سطحية، تلمس المسائل من ظواهرها، ولا تتمكن من الوصول إلى جوهرها.

إذًا تأكيد الخصوصية، وبعبارة أخرى صياغة خطاب ناطق باسم الأمة، يتطلب أمرين: متخصصين علماء، ووعيًا من هؤلاء المتخصصين بالواجب الملقى عليهم، والتركيز على ميادين اختصاصاتهم. لكن من أين نأتي بهؤلاء؟ وكيف نستطيع أن نحشد أكبر عدد منهم؟ تلك مسألة أخرى ليس هذا موطنها، فنحن هنا أمام مخطط عام وإشارات سريعة لا يمكنها التوقف طويلاً.

وبالطبع فإن هذا الهدف العام والجوهري لا يعني إلغاء ما بدأنا الإشارة إليه، أو تعطيله، من حب التراث وتعزيز الشعور بالانتماء إليه، أو تعطيله ذلك أننا لن نستطيع تكوين جيل من العلماء المتخصصين دون أن نبني قاعدة عريضة من أبناء هذا التراث تحبه وتنتمي إليه وتخلص له، وتشعر أنها هو، وأنه هي. إذن فإن الهدف العام الذي نسعى إليه لا بد أن يمر عبر الأهداف الصغيرة، شأن طبيعة أي شيء.

على أن ثمة إشكالات ينبغي أن نحذر الوقوع في هوتها، ونحن ننشغل بتراثنا، منها - مثلاً - أن حب التراث والتغني به مرحلة لا يجوز أبدًا أن نقف عندها، أو نتركها تستمر أكثر مما ينبغي، المسألة أشبه ما تكون بالمراحل التي يمر بها الإنسان: طفولة، فمراهقة، فرجولة، وما تستلزمه من تحمل مسؤولية.

ولنتصور إنسانًا ما وصل إلى مرحلة الرجولة - وما زال - يعيش مرحلة الطفولة، أو مرحلة المراهقة.

ويبدو لي أن الأمة الآن قد تجاوزت منذ زمن طويل المرحلتين، مرحلتي الطفولة والمراهقة، ووصلت إلى طور الرجولة، دون أن نعدو على حق أبنائنا في أن يعيشوا طفولتهم، فنزرع فيهم حب التراث والتغني به، كما سلف القول.

وثمة إشكال آخر لا يصح أن يغيب عنا، ولا يجوز أن نتغافل عنه، وهو تراثنا، هو ماضينا، نحبه؟ نعم، نرتبط به؟ نعم، نعتز به؟ نعم، لكنه ليس واقعنا أو حاضرنا عينه، وليس مستقبلنا عينه، هو شيء مختلف قد يكون خيطًا أو خيوطًا في نسيج الحاضر، والمستقبل، ولكنه لن يكون حاضراً.

الاستنساخ في الحضارات ليس وارداً أبداً، ومقولة أن «الزمن يكرر نفسه» ليست صحيحة، لا بد أن نصنع حاضراً مختلفًا، ثم نعمل لبناء صرح مستقبل مختلف أيضًا، والاختلاف الذي نعنيه هنا، ليس بمعنى المغايرة، ولكنه بمعنى الجدة، وهذه الجدة بدورها ليست بمعنى الانقطاع تمامًا عن القدم، ولكنها بمعنى العطاء المتميز الذي يقول: إننا نحن الذين نعيش الآن، لا آباؤنا، وإلا فنحن نعي أن الحاضر لا بد أن يقوم على الماضي، وأن المستقبل يقوم عليهما، ونعي كذلك أن الحضارة تراكم، وأن المعرفة والعلم عبر الزمان حلقات يمسك بعضها برقاب بعض. إذن ينبغي أن يكون التراث جزءاً منا، مكونًا من مكوناتنا، ساكنًا فينا، ولا ينبغي أن نكون جزءاً منه، عنصراً من عناصره، نتخذ منه قوقعة نسكن فيها، أو نجعل منه سداً يحجبنا أو يمنعنا من الانطلاق، أو يحدُّ من قدرتنا.

- ٢ -

إستراتيجية العمل:

لعل من فضول القول الإشارة إلى أننا ونحن نتحدث عن إستراتيجية

العمل ، محكومون بالزمن، أعني أن هذه الإستراتيجية بما فيها من خطوات كبيرة، وأهداف قريبة أو بعيدة، مرحلية أو مستمرة، عرضة للتبديل والتغيير والتعديل، يفرض ذلك مضي الزمن وحركتنا فيه، أو مقدار حركتنا فيه. وأضرب مثلاً على ذلك.

إن من الأهداف الإستراتيجية بعيدة المدى إنقاذ التراث المخطوط عبر وسائل مختلفة سنعرض لها لاحقًا، ولنفترض أننا استطعنا أن نحقق هذا الهدف، وننقذ كل تراثنا المخطوط أو معظمه، ألا يسقط ذلك «الإنقاذ» في مرحلة لاحقة نكتب فيها إستراتيجية جديدة لعملنا؟

إذاً علينا أن ندرك منذ البداية أن التخطيط لعمل ما أمر مرن جداً، وأن ما هو إستراتيجي اليوم قد يكون من قبيل «التكتيك» غدًا، وأن البعيد اليوم ما إن يتحقق أو نقترب من تحقيقه حتى يصبح هدفًا قريبًا أو مرحلياً، نبحث عما هو أبعد منه في المستقبل.

أحسب أنه يمكن أن نحدد خمسة أهداف لهذه الخطة الشاملة أو الإستراتيجية لتراثنا العربي المخطوط، هي: الإنقاذ، الكشف، التعريف، الإحياء، التوظيف. ويمكن لنا أن نتصور هذه الأهداف الكبرى خمس دوائر، كل منها تشغل حيزًا من مساحة الأخرى، أعني أن علينا أن لا نضع بينها حدودًا، وأن لا يرد في خاطرنا أن العمل في دائرة يعني عدم الاقتراب من الأخرى، ذلك أنها جميعًا متشابكة، والعمل فيها متشابك. ولنبدأ بالدائرة الأولى :

٢-١ دائرة الإنقاذ :

هل تراثنا في خطر حتى نطالب بإنقاذه ؟ نعم إنه في خطر شديد، ويقف وراء هذا الخطر عدة مصادر، أهمها عوامل البلى التي تهدده، فهذا التراث مكتوب على ورق تفعل فيه الأرضة والحشرات والسوس وعوامل الجو من حرارة ورطوبة فعلها، فتأكله أكلاً، وتجعله عرضة للالتصاق والتقصُّف وانحلال

الحبر، كل ذلك في ظل وعي غائب غالبًا، على المستوى الرسمي، وعلى مستوى الأسر والأفراد ممن يملكون مخطوطات.

إذن نحن أمام دائرة أساسية وكبيرة وخطرة من دوائر العمل في ميدان التراث، وبخاصة إذا وضعنا في حسباننا ما يلي:

- أن هذا التراث ضخم.

- وأنه يمتد على مساحة واسعة داخل البلدان العربية.

- وأنه ليس تحت سيطرة جهة واحدة داخل كل بلد، فهو موزع بين عدة جهات على المستوى الرسمي، وبين عدة جهات أيضًا على المستوى الخاص، وهو أيضًا في حوزة أسر وأفراد.

- وأن ثمة قصوراً أو تقصيراً من الجهات المعنية، وبخاصة الرسمية والأفراد والأسر.

- وأن عملية الإنقاذ نفسها عملية معقدة وصعبة ومكلفة للغاية.

وقبل أن أدخل في الخطوط العامة لتفاصيل العمل في هذه الدائرة يحسن أن نلقي نظرة على الوضع الحالي لهذا التراث، وما تحقق في ميدان إنقاذه، خلال الفترة السابقة، فأقول:

لابد من الاعتراف بأن حال التراث أصبح أحسن كثيراً، فقد شهدت السنوات العشرون الأخيرة من القرن الماضي اتجاهًا طيبًا نحو العناية بالتراث المخطوط، إذ قامت بعض البلدان العربية بجمع معظمه في مكان واحد ووضعه في ظروف حفظ مناسبة، وتم ضبط وتنظيم أساليب الإفادة منه، حتى لا يؤثر الاستخدام المباشر عليه.

لكن المشكلة هي أن ما قلناه لا يتعدى بعض البلدان، في حين ظل التراث في أغلبية بلداننا على حاله. هذا على مستوى العمل القطري، فماذا فعل معهد المخطوطات العربية ؟

إن الجهد الحقيقي للمعهد تمثل في قيامه على وفق الهدف من إنشائه بتصوير عدد كبير نسبياً من هـذا التراث على ميكروفيلم، وكان في ذلك إنقاذ لجزء من التـراث، إذ إن كثيـرًا مما صوره من بـلدان داخل الوطن العربي مـثل فلسطين واليمن والمغرب، وخـارجه مثل تركيا والهند، قـد يكون ضاع، أو تلف. لكن المفارقة أن ما صـوره المعهد نفسه أصبح الآن في حاجـة إلى إنقاذ، ولذلك فهو الآن يقوم بمشروع كبير لتجديد مصوراته.

وإلى جانب الجهد السابق كان للمعهد دور آخر يمكن تلخيصه في:

- تنظيم دورات تدريبية متخصصة في ترميم المخطوطات وصيانتها.
- تبني مشروع لإنقاذ المكتبات العربية المعرضة للتلف.

ولا بد هنا من تسجيل بعض الملاحظات، مفـادها أن التفات المعهد إلى هذه الدورات التدريبية المتخصصة جاء مـتأخرًا، بالإضافة إلى أنه جهد محدود، لم يتجاوز عقد دورة كل عامين، يتم خلالها تدريب عدد قليل من المتدربين.

أما مشروع إنقاذ المكتبات فلم تفد منه سوى دولة وحيدة هي موريتانيا، وهنا مفارقة، إذ اضطر المعـهد لإلغاء المشروع لأنه لم يجد استعـدادًا أو استجابة من الجهات المعنية لدى الدول العربية !

تلك هي في إجـمال الخطوط العـامة لوضع جـهود الإنقـاذ، وهي - كـما تبدو- جهود خـجولة ، مترددة ،محدودة ، ومـقيدة، ومرتبكة، وقد تسـبقها عوامل البلى فلا تصل هذه الجهود إلا بعد فوات الأوان.

إذًا فكيف نتـحرك في هذه الدائرة حـركة جـريئة واسـعة وواثقـة؟ وما هي الوسائل التي تحقق لنا ما نرمي إليه؟

إن مجال العمل متشعب وكثـير، ولا بد من الوضع في الحسبان أنه يستغرق وقتًا طويلاً، وجهدًا مضنيًا، ومالاً كثيرًا.

(أ) الجمع :

أتصور أن البداية تكون بحملات قطرية، يتم فيها جمع المخطوطات في كل بلد عربي، في مكان واحد، وتُلقى مسؤوليتها على جهة واحدة، أعني أنه إذا كانت المخطوطات، أياً كانت موضوعاتها، موزعة على وزارات الأوقاف، والإعلام، والثقافة، أو على دوائر ودواوين معينة، أو في مساجد وكنائس ومدارس وزوايا، فإنها ينبغي أن تجمع في مكان واحد، أما المخطوطات التي تعود ملكيتها لأسر أو أفراد ، فإنها تشترى منهم، فإن امتنعوا تم تصويرها في أحد أوعية التصوير بعد إجراءات الصيانة الأولية لها.

(ب) التخزين :

بعد عملية الجمع هذه يهيأ مكان تتوافر فيه شروط التخزين المناسبة، وتوضع الضوابط اللازمة للاطلاع عليها حتى لا تتأثر أو يؤدي الاطلاع والتداول إلى تقصير عمرها، وفي ظل هذا التخزين المنضبط يتم إجراء عمليات الصيانة اللازمة دورياً. ومما يجدر ذكره هنا أن هذه العمليات الوقائية ليست مكلفة.

(جـ) الترميم:

في أثناء عمليات الجمع والحفظ، ستظهر مجموعات أسوأ حالاً، ولا تحتمل حالتها التأجيل أو التسويف، هذه المجموعات ينبغي أن تُرصد لها ميزانية لعلاجها وترميمها، سواء داخل الدولة نفسها أو خارجها.

(د) التصوير:

لا بد من تصوير المخطوطات تصويراً كاملاً، وحفظها في الحاسوب وعلى ميكروفيلم، وهذه النسخة الحاسوبية أو الميكروفيلمية هي التي تكون في متناول أيدي الباحثين.

(هـ) العلم:

استحداث أقسام داخل كليات العلوم، أو معاهد تلحق بالجامعات تكون مهمتها «ترميم المخطوطات وصيانتها» ويُحذى فيها حذو المعاهد والأقسام

المناظرة في البلدان المتقدمة، سواء في المناهج النظرية، أو برامج التدريبات العملية، ذلك لأن العاملين الآن في ميدان الترميم - على قلتهم - هم غالبًا أشبه ما يكونون بالحرفيين الذين يمارسون عمليات الترميم ممارسة متواضعة، دون أساس علمي، وأحيانًا يكونون من خريجي كليات العلوم، أقسام الكيمياء، وحتى هؤلاء لا يعدون مؤهلين تأهيلاً ملائمًا لهذه المهنة التي تتطلب تكوينًا خاصاً تعد دراسة الكيمياء عنصراً من عناصره.

(و) التدريب:

تنظيم دورات تدريبية داخل كل قطر عربي لتدريب العناصر الموجودة حالياً، وأيضًا زيادة عدد الدورات التي ينظمها معهد المخطوطات العربية.

(ز) إنشاء مركز:

أخيراً إنشاء مركز قومي لترميم المخطوطات وصيانتها، يكون بيت خبرة لكل العرب، وتسند إليه مهام كثيرة، منها تطوير الدراسات والبحوث الخاصة بالترميم، ومنح الشهادات المتخصصة في مجال الترميم، وتنظيم الدورات التدريبية... إلخ، ويمكن إلحاقه بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مثل هذا المركز يكون توأمًا لمعهد المخطوطات العربية، وبمثابة النصف الآخر، فالمخطوط: وعاء ومحتوى، وما يقوم به معهد المخطوطات الآن متصل بالمحتوى أساسًا، أما الوعاء فنشاط له هامشي، ولا تخفى أهمية الوعاء للوصول إلى المحتوى والحفاظ عليه.

تلك هي الخطوط العامة للإنقاذ، وثمة خطوط أخرى قد تكون غابت، وثمة تفاصيل ليس هذا موطنًا لها، ولكن تبقى مسألة مهمة، قبل أن نغادر هذه النقطة، مفادها: أن العمل في هذه الدائرة لا بد أن يخضع لأولويات، فعمليات الإنقاذ مثلاً ينبغي أن تتجه أولاً إلى مناطق أكثر إلحاحًا، نظراً لظروفها السياسية، مثل فلسطين، أو نظراً لظروف التراث فيها، مثل موريتانيا والسودان واليمن، وقد تتجه بقوة أكثر إلى التراث الذي في أيدي البيوتات والأسر

والأفراد، مقدمين له على ذلك المحفوظ لدى المؤسسات الرسمية أو الخاصة التي تملك من الإمكانات والوعي ما يجعل مقتنياتها في أيد أمينة.

بل إن عناصر الخطة نفسها خاضعة لأولويات، فإنشاء مركز للترميم مطلب ملح، لكننا لا نستطيع تنفيذه إلا بقرار سياسي، وكذلك الشأن في استحداث مراكز خاصة بالترميم، أو أقسام خاصة داخل كليات العلوم، فلنتجه فوراً إلى زيادة الدورات التدريبية المتخصصة وتنويعها، دون أن نفقد حماسنا أو متابعتنا للعناصر الأخرى التي لا نملك حيالها إلا الحماس والمتابعة.

ولا شك أن معهد المخطوطات يدرك أنه سيكون حاضراً في ذلك كله.

٢-٢ دائرة الكشف :

الكشف أو ربما الاكتشاف ماذا نعني به؟ إن خريطة للتراث العربي المخطوط داخل بلداننا العربية وخارجها، لا تزال غير مكتملة، وأزعم أنه قد لا توجد أصلاً مثل هذه الخريطة لدى كثير من هذه البلدان!، ولذلك فإننا ما زلنا محتاجين إلى الكشف أو الاكتشاف لهذا التراث! وثمة أسباب عديدة وراء عدم اكتمال هذه الخريطة، منها ما أشرتُ إليه قبلُ من غياب الوعي بأهمية هذا التراث على المستوى الرسمي، وربما قلنا الاستهانة به على صعيد هذا المستوى. ومنها العلاقة ذات الطبيعة الخاصة التي تربط بين مالكي المخطوطات ومخطوطاتهم، هذه العلاقة التي تجعلهم يتعاملون معها بحرص وتقديس شديدين، وتدفعهم إلى إخفائها عن عيون الآخرين، والضنِّ بها حتى على مجرد الاطلاع من الباحثين ، بله المؤسسات الرسمية الحكومية التي قد تأخذها أو تستولي عليها، بالإضافة إلى أسباب أخرى.

هل سنبدأ في رسم هذه الخرائط من الصفر ؟ لا أظن ذلك، فنحن الآن نملك جهداً عظيماً حقاً في هذا المجال ، هو ذلك الجهد الذي بذلته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن، والذي أطلقت عليه «المسح الشامل للمخطوطات الإسلامية في العالم» ، وصدر باللغة الإنجليزية، ثم صدر باللغة العربية.

وهناك جهد آخر لم يظهر إلى النور بعـد، يقوم به معهد المخطوطات، تحت عنوان «دليل مكتبات ومراكـز المخطوطات في البلدان العربية»، ونلاحظ هنا أن الدائرة قد ضاقت عن دائرة عمل مؤسسة الفرقان ، لكنَّ في ذلك خيراً، فلعل ذلك يجعل هذا العمل أشمل وأكثر تتبعًا واستقصاء.

وإنني أزعم أن مسح «الفرقان» ليس مسحًا شاملاً وافيًا، ولا يمكن أن يكون كذلك ، لأمرين:

أولهما: استحالة أن يخرج عمل بهذه الضخامة والطبيعة كاملاً مرة واحدة.

ثانيهما: أن ثمة تراثًا قد يكون غائبًا حتى عن أصحابه، ويُكتشف اكتشافًا في مكان ما، أو ضمن أثاث ما، أو داخل مجمـوعة كان يظن أنها مطبوعات، أو غير ذلك.

وأزعم أيضًـا أن العمل الذي يقـوم به مـعهـد المخطوطات، على الرغم من ضيق دائرته نسبيًا، لن يخرج كامـلاً أيضًا، شأنه في ذلك شأن سابقه ، ولكن لا شك أن هذه الجهـود عظيمـة جداً اخـتصرت علينـا معظم الطريق ، فـهذه الدائرة إذن (دائرة الكشف) أحسن حالاً من دائرة الإنقاذ.

وماذا بعدُ، ما هي خطتنا للمستقبل في هذه الدائرة ؟

في رأيي، ولا أظن أن هذا غـائب عن القـائمين على المشـروعين الكبيـرين السابقين، أنه لا بد من تحديث بـياناتهما بعد فتـرة زمنية معقولة، شـأنهما في ذلك شأن الموسوعات الضخمة التي تقبل الزيادة كل يوم.

وإذا كنا نسعى لاقتصاد الجهد، ونحرص على عدم تكراره، فإن هذا السعي لا موطن له هنا، ولذلك فإن من الخيـر - من وجهة نظري - أن يقوم كل بلد عربي بنشاط آخر مواز، يهـدف إلى رسم خرائط للتراث العربي المخطوط الذي يوجد في داخلها، ولا شك أننا سنجد في هذه الخرائط بعد اجتماعها إضافات ذات بال على مسح «الفرقان» ودليل «المعهد».

هل هناك أولويات ضمن هذه الدائرة؟

أظن ذلك ، فما قلناه في دائرة الإنقاذ يصدق على ما نقوله هنا، ولعل دور المعهد في تحديد هذه الأولويات أكثر وضوحًا وأثرًا، فالمعهد - بوصفه جهازًا قوميـاً - ينظر إلى الوطن العربي على أنه مساحة واحدة، ولذلك فإنه مطالب بأن يوجه نظره في الكشف - مثلاً - إلى تلك البلدان التي لا تملك مؤسسات، أو لا تتوفر لديها أموال للكشف عن أماكن مخطوطاتها ، ويمكن أن يكون سبيله في ذلك إيفاد خبراء، وكتابة تقارير ، وإصدار أدلة. . . إلخ.

٢-٣ دائرة التعريف :

التعريف يعني باختصار: الفهرسة. ويمكن أن نضم إليها: التحليل، تحليل مخطوطات بعينها، والترجمة إلى اللغات الأخرى. هي ثلاثة عناصر إذاً، تعرِّف - مجتمعة - بالتراث وتلفت إليه.

وهنا ملاحظة هي أن دائرة التعريف ينبغي أن تستوعب الآخر، أقصد أولئك الذين ليسوا من أبناء هذا التراث، فإذا كنا ننشر فهارس للمخطوطات العربية، فلا بد أن نضع في حسابنا أن نبذل جهوداً لنشر فهارس باللغات الأخرى ، وإذا كنا نقوم بتحليل مخطوطات في دورياتنا ومجلاتنا فلا بأس من أن ندفع اتجاهًا نحو النشر في أوعية أخرى أجنبية، وإذا كنا ننشر نصوصًا وكتبًا محققة بلغتنا، فمن الضروري أن نقوم باختيار تلك النصوص التي تعد علامات في هذا التراث ليعرفها الآخرون، أو نعرّف بها الآخرين.

إلى أين وصلنا في هذه الدائرة ؟

الحق أن ثمة جهوداً طيبة، وإن تكن غير كافية، أجلُّها سبقَنا إليه الآخر، وهو «تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان، وتلاه «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين. وأعقبهما «الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط» الذي يحمل عبئه منذ ما يقرب من عشرين عامًا المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

التابع لمؤسسة آل البيت بالأردن، وهذان العملان الأخيران لما ينجزا حتى الآن .
ولابد من الإشارة هنا إلى فهارس كثيرة صدرت هنا وهناك، عن مؤسسات قومية، ووطنية، وخاصة، وأفراد، ونذكر منها فهارس معهد المخطوطات، التي تُعد، خاصة في السنين الأخيرة، نماذج يحتذى بها في الفهرسة، إذ استوفت - أو كادت - الشروط العلمية ، وسارت على منهج رصين.

ماذا لدينا في هذه الدائرة ؟

لدينا استكمال المشروعات الكبيرة التي لم تكتمل ، ومنها الفهرس الشامل للمجمع الملكي، وسلسلة الفهارس التي يصدرها معهد المخطوطات.

وأحسب أن من الخير، أن تتبنى الدول العربية مشروعًا لإصدار فهرس شامل لمخطوطاتها، مثل هذه الخطوة، على ما فيها من تكرار جزئي، مفيدة في استكمال المشروعات الكبرى، وفي صياغة فهرس أكثر شمولاً لكل تراثنا في وقت لاحق. ويمكن للمعهد أن يحمل بعض المسؤولية بتبني نشر مثل هذه الفهارس الشاملة للبلدان التي لا تنهض، أو لا تتمكن، أو تنصرف عن القيام بمثل هذا العبء.

تبقى مسألتا التحليل، والترجمة. وهما محتاجتان إلى كثير من الجهد ، ولا يجوز تركهما للجهد الفردي ، وربما كان من قبيل الحلم الذي نرجو أن يتحقق: «إنشاء مركز متخصص في ترجمة النصوص والكتب التراثية المهمة»، على أنه لا يخفى أن معهد المخطوطات في صورته الحالية لا ينبغي أن يُشغل بهذا الأمر، ولا يستطيع ،كما لا يخفى أن مراكز الترجمة الموجودة في البلدان العربية تصرف نشاطها - على محدوديته - إلى ترجمة نتاج العرب العصريين، فالساحة إذن فارغة.

٢ - ٤ دائرة الإحياء :

عملية الإحياء قائمة حقاً، ونقصد بالإحياء: النشر، لكن هذه العملية - من

وجهــة نظري - تسير بدون ضــوابط، وهي أشبه مــا تكون بالخبط العــشوائي، والسيــر على غير هدى. هذا الخـبط والتخبـط يؤديان بالضرورة إلى كثـير من الفوضى، وكثير من ضـياع الوقت، وإهدار الجهد، والمال. ولنرصد هنا بعض المظاهر:

التراث كلّ، وليس صوابًا تجزئته ، أو الانصـراف إلى بعضه، وترك بعضه، وما يحدث الآن هو إهمال التراث العلمي أو نسيانه، فالكثرة الكاثرة التي تنشر في الموضوعات الدينية واللغوية والأدبية والإنسانية عمومًا.

والتراث درس ومـعرفة عمـيقة الغـور، ليس من السهل الاقتـراب منها إلا بسلاح ثقيل، قوامه الانصراف إليه بالكلية، وبذل السنين من أجله بسخاء، وما يحدث الآن هو أن مَن يعـملون في نشره مع كثرتهم الكاثرة لا عـلاقة لهم إلا بعنواناته، ولا يعرفون إلا خطوطه العريضة.

والتراث تخصص، فـهو ليس حمى مبـاحًا لكل من عرف شيـئًا، أو تعمق فيه، أعني تلك الظاهرة التي تتمثل في نظرة بعضهم إلى التراث بفروعه المعرفية المختلفة ، وكأنه فرع واحد، فالمتخصص في التاريخ ينطلق إلى كتاب في اللغة فيحققه ، والمتخصص في الأدب يهجم على كتاب في الفلك، والمتخصص في اللغة لا يتردد في تحقيق كتاب العلوم. . . وهكذا.

والتراث من بعـدُ، فى أي لون من ألوان المعرفة فـيه ، محتـاج إلى أساس متـين من المعرفـة بالعربيـة وطرائق العرب في تفكيـرهم وأساليب تـعبيـرهم، بالإضافة إلى القدرة على قـراءة الخطوط التي كتب بها. . . إلخ. وهي أمور لا تتوافر في محققي هذه الأيام .

إذن كيف نعمل في هذه الدائرة ؟

أحسب أن ثمة أولويات ينبـغي أن تكون في الحسبان ، إذ إنها سـتضمن لنا خطى عاقلة وواسعة نحو الهدف، وهذه الأولويات هي:

- الاهتمام بمختلف فنون المعرفة التراثية، حتى لا يطغى فن على آخر. وفي هذا السياق لا بد من التركيز في المرحلة الحالية على التراث العلمي بصفة خاصة ، لأنه يعاني من الانصراف عنه، والزهد فيه.

- التركيز على الكتب الهامة التي تعد كتبًا أصيلة في بابها، أو تشكل إضافات حقيقية، أو تمثل تحولات معرفية أو منهجية في تاريخ المعرفة الإنسانية، ويدخل في هذا العنصر الكتب الموسوعية الكبيرة التي لا تحظى بالاهتمام، أو تجد عزوفًا عنها، نظراً لصعوبة العمل بها، أو عدم جدواها تجارياً، أو لأية أسباب أخرى.

- إعداد أجيال من المحققين المؤهلين أكاديمياً في مختلف ميادين المعرفة التراثية، وذلك عن طريق استحداث تخصصات تراثية دقيقة في الكليات الجامعية العلمية والإنسانية.

وليس هذا كل شيء ، فإذا كان وعاء النشر قبل فترة من الزمان هو الكتاب وحده ، فإن الأوعية الآن متعددة : «الشرائط»، والأقراص المدمجة، وغيرها، ولا بد من أن يكون ذلك في الحسبان، ونحن نسعى للتخطيط لنشر التراث وإذاعته.

٢-٥ دائرة التوظيف :

تعد هذه الدائرة تتويجًا للدوائر السابقة، دون أن يعني ذلك أن نؤجل العمل فيها حتى ننجز الأعمال في الدوائر السابقة، وإنما قلنا «تتويج» لأنها تمثل الغاية التي نسعى إليها، فكل ما نقوم به من كشف وإنقاذ وتعريف وإحياء لا بد أن يوظَّف على نحو ما . إذن هذه الدائرة هي أعلى مراتب العمل في التراث، وعن طريقها سنصل إلى ما بدأناه من صياغة خطاب تراثي يعبر عن شخصية الأمة.

والتوظيف ليس حقلاً واحدًا، بل هو حقول تمتد على مساحة حياتنا

العصرية، سوف نجد في تراثنا مـا يخدم قضايانا الاجتماعية والعلميـة والثقافية والفكرية والسياسية . . . إلخ.

لكن ذلك لن يتأتى إلا بالتنـقيب عن بذور الإبداع والتميـز في هذا التراث، وإلقاء الأضـواء الكاشفة عليهـا وتعميقـها وربطها بما تحقق فـي الحاضر، دون الانسياق في نغمة التغنـي والتباهي، وهذا التنقيب لن يتم إلا على أيدي علماء متخصصين، وباحثين مخلصين، وهو ما يعود بنا إلى ما سبق أن أشرنا إليه في الدائرة السابقة من ضرورة إعداد أجـيال من المحققين، سيكون من بينهم أولئك العلماء والبـاحثون الذيـن سيتجـهون إلى درس التـراث، وتمثله، واستيـعابه، واستخلاص النافع والمتميز منه.

***

وبعدُ، فإن العمل من أجل التراث أمانة عظيمـة ومسؤولية ثقيلة، تحتاج إلى وعي العقـول وتكاتف الجهود وإخلاص النوايا، وصـدق العزائم. .وهذه بعض الملامح أو المؤشرات التي يجب وضعها في الحسبان:

- العمل القطري وحده لا يكفي ، لا بد له من التكامل مع العمل القومي، ممثلاً في معهد المخطوطات العربية.

- العـمل الرسـمي (الحكومي القطري)، والعـمل القـومي، وحـدهمـا لا يكفيـان، إذًا لا بد من التعاون مع المؤسـسات الخاصة، التي أثبـتت وجودها، وبخاصة في الفترة الأخيرة.

- العمل الفردي، بمعنى أن تعمل كل مؤسـسة بمفردها لا يغني. وعليه فلا بد أن تتعاون المؤسسات القطرية الرسميـة مع بعضها من ناحية، ومع المؤسسات الخاصـة داخل القطر من ناحية أخـرى ، ولا بد أن تتعاون هذه مع المؤسـسات الرسمية والخاصة في أقطار أخرى، ولا بد أن تتعاون هذه جميعًا مع المعهد.

- تشكيل هيئـات وآليات عمل مـختلفة تثـري العمل ، وتسرع في تحـقيق

الغايات التي نسعى إليها، وذلك مثل إنشاء مراكز على وفق اعتبارات مختلفة: مراكز خاصة بالتراث العلمي إذا أعطينا المسألة بعداً موضوعياً، مراكز إقليمية خاصة بمخطوطات مناطق معينة لها ظروف خاصة إذا أعطينا المسألة بعداً جغرافياً، مراكز فنية متخصصة في قضايا بعينها، مثل قضية الفهرسة وما يتصل بها.

- استحداث تخصصات علمية في مجالات التراث المختلفة الموضوعية والفنية. . . إلخ، ومطالبة الجامعات العربية الحكومية والخاصة باعتمادها.

- لفت انتباه المؤسسات العاملة في مجال التراث حالياً إلى ضرورة التخصص والتعمق في ما تنفرد به، حتى تصبح «بيت خبرة» للجميع. وهذه بعض أمثلة: مركز الملك فيصل في السعودية: قواعد البيانات. معهد التراث العلمي بسورية: نشر كتب التراث العلمي، مكتبة الأسد الوطنية (التدريب اليدوي على الترميم)، مركز جمعة الماجد بالإمارات : تصوير المخطوطات والبعثات، مؤسسة الفرقان بلندن: المشروعات المسحية الكبيرة، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن: الفهرس الشامل للتراث المخطوط، معهد المخطوطات العربية: بيت الخبرة القومي في مجالات التراث المختلفة، وبخاصة المسائل العلمية كالفهرسة والتنسيق بين المؤسسات.

وأخيراً ، فإن الكلام طويل ومتشعب، والقضية خطيرة، وليس ما قيل سوى غيض من فيض، وقليل من كثير، والتفاصيل تأتي بعدُ عندما تعرض كل نقطة من النقاط التي أثرنا على أهل التخصص، فيفصلونها، لتكون بين أيدينا - في وقت نرجو أن لا يكون بعيداً - خطة شاملة للتراث العربي المخطوط.

***

مشروع الخطة الشاملة للتراث العربي (الأطر النظرية والتطبيقات)

د. يوسف زيدان

انطلاقًا من المبدأ الذي صَاغه حكيمُ الصوفية **ابن عطاء الله السكندري** بقوله: **لا تصحُّ النهايات إلا بتصحيح البدايات**... يأتي هذا البحث الموجز كمحاولة لتأسيس العمل التراثي على قواعد راسخة، هي بمثابة **البدايات** التي نرى وجوب تصحيحها، بغية ترشيد خُطانا عند الشروع في خطة شاملة لتطوير العمل في مجال التراث العربي .

على أنَّ هناك مبدأ صوفيًا آخر لا يقلُّ أهميةً عن السابق، يقول: **لا يجب الكلام إلا في ما تحته عملٌ**... ومن ثم ، فقد خصَّصتُ القسم الثاني من البحث ، للكلام عن تطبيقات عملية في ميدان العمل التراثي - قمتُ بها منفردًا - في محاولة متواضعة لتطوير العمل في مجال التراث العربي (المخطوط منه بخاصة) والانتقال به من **النصِّ إلى الخطاب**، وهي الدعوة التي ناديتُ بها في ندوات سابقة لمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، واعتمدها المعهد في توصياته، مشيرًا إلى ضرورتها.

غير أن الكلام في **التطبيقات** لا بد أن يسبقه إلماحٌ إلى **الأسس النظرية** التي نفترض أن تحدِّد ملامح مشروع خطتنا الشاملة، الرامية للعناية والارتقاء بتراثنا العربي المخطوط. فلنشرعْ في ذلك ، والله المستعان .

أولاً- الأطر النظرية:

هناك مجموعةٌ من القواعد التي تُعدُّ في مُجْملها بمثابة الإطار الذي يحدِّد ملامح **الخطة الشاملة** للعناية بالتراث المخطوط. . . وهذه القواعد يمكن إجمالها في الآتي :

(أ) التدوين شرط البقاء :

إذا أَمْعَنَّا النظر في تاريخ الحضـارات الإنسانية والشعوب والجـماعات، سواءً التي امتـدت منها في الزمان، أو التى لمعَتْ حينًا من الدَّهر ثـم اختفت. . . إذًا فسوف نجد أن الحضارة المدوَّنة هي التي تمتدُّ في الزمن ؛ بينما تختفي الشعوب والجماعات التي لم تكتب، مع أول تحد حقيقيٍّ لوجودها.

انظرْ مثـلاً الجمـاعات المندثرة، من أمثـال: الهنود الحمـر، سكان أستـراليا الأصليين، الفايكنج ، وغيرهم ، تجدْ أن هذه الشعـوب عاشت حياةً عريضة، ومـا لبثت أن اختـفت بالكليـة، وتلاشى أهلُهـا ؛ مع ورود حوادث الزمـان وتحديات الحضارة . . . فصار أمرهم كما قال شاعرنا العربي القديم :

كَأَنْ لَمْ يكُنْ بَيْنَ الحجُونِ إلى الصَّفا أَنيسٌ ، ولم يَسْــمُـرْ بمكَّةَ سَـامِـرُ

والمعروف من دَرْسِ **الحضارة** أن الشعوب ذات الخبـرة الحضارية تمر بمنحنيات ضعف وقوة ، وخمول وازدهار؛ لكنها لا تضمـر سريعًا، ما دام لها كتاب . . فالتِدوينُ ذاكرةٌ للحاضر ، وملاذٌ للحـاضر والآتي من الأجيال ؛ يعكفون عليه أو يعتكفـون عنده ، إذا ما اشـتدت عليـهم نوائب الزمن. . . وتُتوارث فـيهم الشخـصيـة الحضـارية جيـلا بعد جـيل، حتى إذا مـا اختلف الحال وتـبدَّلت الظروف، عادت الجمـاعةُ إلى الازدهار. وهو ما ينطبق في عالمنـا المعاصر على الصين واليابان، وغيرهما.

وقد يُعـترض على ذلك بأن هناك حضـارات كَتبتْ، وزالت. . . كحـضارة مصر القديمة ، وحضارة اليـونان ! وهو اعتراضٌ مردودٌ بأن هذه الحضارات لم تَزُل فقد بقي المصريون واليونانيون ، وإنِ انطفأت جذوة التحضُّر فيهم. . وهذه الجذوة لم تنطفأ فـجأة، ولم تَمُتْ ؛ وإنما انتقلت الخبرةُ الحـضارية المصرية إلى بلاد **اليونان** فظهرت عندهم في ثوب جـديد - والكلام فيه له تفـصيلٌ يطول - ثم امتدت الحضارة / الكتابة اليـونانية حتى دخلت النسيج السكندري القديم ،

الذي دخل في النسيج السُّرياني. . . ودخل الأخير وما قبله في نسيج التحضُّر العربي الإسلامي.

ومن ناحية أخرى، ينبغي لنا أن نتساءل: هل كان للعرب أن يمتدوا في التاريخ أربعة عشر قرنًا من الزمان لو ظلُّوا على حالتهم الشفاهية التي اقتصرت فيها ثقافتهم على رواية الأشعار ؟ وهل تواصلوا في المكان والزمان إلا بعدما صار بأيديهم كتابٌ (سماوي) وأحاديث نبوية مكتوبة، منها ما يدعو صراحة إلى **شرط البقاء** كما في الحديث الشريف: « **دَوِّنوا العلم بالكتاب** ». وليس العلم فحسب، وإنما في الأمور التفصيلية اليومية المؤقَّتة، تأتي الآيةُ القرآنية قائلةً ﴿**إِذَا تَدَايَنتم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾ بل ﴿**وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَىٰ أَجَلِهِ...**﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، ولو أحصينا ما ورد في القرآن الكريم من اشتقاقات جذر « كَتَبَ » ، لوجدناها وردت تسع عشرة وثلاث مئة مرة، وهذا لعَمْري كثير. . . فلما كتب **العرب** صارت لهم ذاكرة تَقيهم الاندثار.

وفي المقابل من ذلك ، نتساءل : هل كان بإمكان **اليهود** أن يطلُّوا مرةً ثانية برأسهم (إسرائيل) على المشهد الإنساني العالمي ، لولا أنهم كانوا دائمًا على علاقة بالكتابة والكُتب ؟ وهل هناك من **سرِّ بقاء** لهؤلاء ، مثل كتب : التوراة ، التلمود ، المشنا ، نصوص فيلون ، كتابات موسى بن ميمون. . . وغير ذلك من حوافظ الذاكرة اليهودية على مرِّ الزمان ؟

نخلص من ذلك ، إذًا ، إلى أن الكتابة شرط البقاء للجماعات. . . وقد تكون ثمة شروطٌ أخرى، متنوِّعة ؛ بيد أن الشرطَ المشترك في كل الحالات ، هو التدوين وبقاء النَّصِّ المكتوب بيد الجماعة.

. . . ومن هنا، تأتي ضرورة العناية بذاكرتنا المدوَّنة في **المخطوطات** التي لم يُنشر منها إلا نسبةٌ ضئيلة حتى اليوم ، فاحتجبت ذاكرتُنا واحتاجت إلى الترميم.

(ب) الوَصْلُ والفَصْلُ :

يرتبط كُلُّ مشروعٍ حضارى بالتواصل مع تراثه السابق عليه، بينما تقترن بحالات الركود الحضاري عملياتُ ضعف الذاكرة العامة. ولهذا نجدُ حركات الإحياء الحضاري - دومًا - مرتبطة بالعودة للمنابع الأولى، ففي بدء الحركة الحضارية لليونان القديمة، نَهَلَ مفكرُو اليونان وفلاسفتهم من ينابيع التراث المصري القديم والتراث الفارسي الذي مَثل لهم بوابة الحضارات الشرقية. . . وهناك حالات لا تُحصى ، دالةٌ على عنايةِ أوائل اليونان بالتراث السابق عليهم ، فقد وَفَدَ إلى **مصر** أول فلاسفة اليونان : طاليس ، ومن **مصر القديمة** اقتبس أول مبدأ فلسفي في حياة اليونان الفكرية ، وهو المبدأ المتمثل في قوله: **الوجود بدأ من الماء**... ومن **كهنة آمون** سوف يتلقى **فيثاغورث** القبس الرياضي والفلسفي الذي ما لبث أن صاغه صياغةً مُحكمة، عنوانها أن الوجود : **عددٌ ونغم**. وإلى مصر جاء **أفلاطون** أشهر فيلسوف يوناني ، وتعلَّم أصول الحكمة والرياضيات ، وأسند بعض ما أورده في كتبه - مثل كلامه عن قارة أطلانطيس الغارقة - إلى كهنة آمون.

ولما بدأت حركة التحضُّر العربي الإسلامي، بعد عقود قليلة من النشاط التدويني في القرن الثاني الهجري. . . مال العربُ بهمَّتهم إلى النَّهْلِ من منابع العلم اليوناني، وترجموا كتب **أبقراط وجالينوس وأبولونيوس** (بلنياس) **وأفلاطون وأرسطو والشيخ واليوناني** - أفلوطين - **وفورفويوس الصوري وديسقوريدُس** ... وغيرهم كثيرون ، في الوقت ذاته الذي نَهَلوا فيه من التراث الشرقي ، فترجموا من الفارسية والسنسكريتية : «كليلة ودمنة» ، و«كتاب **شاناق**» في السموم ، والأزياج الفلكية. . . وغير ذلك كثير.

وبعدها بقرون ، كان النتاج الحضاري العربي الإسلامي هو **التراث** السابق على أوروبا في لحظة الإحياء الحضاري المعروفة اصطلاحًا بالرينسانس. . . وهي اللحظة التي شهدت عناية بالغة بالتراث اليوناني القديم والتراث العربي ،

وخرجت آنذاك أمهـات الكتب اليونانية وتُرجمت متـون العلم والفكر عن اللغة العربية. وراحت أوروبا بعد هذا **الوصل التأسيسي** في صياغة أنموذجها الحضاري الخاص.

وفي المقابل من عمليات **الوَصْل** الحضاري تظهر عمليات **الفَصْل** مع الموروث في أزمنة التدهور العام لحياة الجماعة . . . وهناك شواهد لا تقع تحت الحصر ، تدل على أن الانفصال عن الموروث قرينُ التخلُّف . من ذلك - مثلاً - ما نراه في مجال البحث الطبيـعي ، من تخلّف مجال البحث في **البصريات** العربية ، بعد أربعة قرون من نظريات **ابن الهيثم** الباهرة في هذا المجال ، ويُدهش الناظر في المخطوطات التي عـالجت موضوعـات البصـريات في القرون الأخـيرة من حضارتنا من التدهور المنهجي والمعْرِفي فيـها ؛ حتى كأنَّها تعود إلى ما قبل **ابن الهيثم** بقرون .

ومن الشواهد الأخرى ، ما نراه في تاريخ الطب العربي من انتكاس مَعْرفي يظهر في متون مثل «**تذكرة داود**» وغيرها من النصوص الطبية، التي انقطع فيها التواصل مع التـراث الطبي البديع ، الذي خلَّفه أمثـال علاء الدين **القرشي** (ابن النفيس) قبل داود الأنطاكي بأربعة قرون.

. . . ومن هنا يتـضح جلياً أن الانفصـال عن الموروث يؤدي إلى الانتكاس الحضاري على أغلب الأصـعدة ؛ بينما يرتبط الإحياء الحـضاري بالتواصل مع التراث وتطويـره واستكمال مـباحثـه. نَاهِيك عمَّـا يؤدي إليه ضـعف الذاكرة الجمعيـة من تخبُّط في حياة الجماعة على صـعيد الفكر والمنهج والسلوك ، في الوقت الذي تقـوم فيه الذاكـرة الجمعـية بتـأسيس وعي الجمـاعة بحـاضرها، وبالتالي التخطيط الرشيد لمستقبلها.

ولما كانت المخطوطات العربية هي **دفتر الذاكرة الحضارية** لهذه الأمة ، جاءت ضرورةُ العناية بها وأهميةُ التخطيط الشامل للارتقاء بها.

(جـ) التجدد وإلا التبدد :

يتصلُ بما سبق مبدأٌ نظريٌّ آخر ، لا يقل عن سابِقَيْه أهميةً ؛ وهو ضرورة **تفعيل التراث** بحسب ما يقتضيه الواقع المعاصر. وقد دعوتُ في بحث سابق إلى النظر إلى الموروث الفكري والحضارة لأُمَّتنا، باعتبار أن التراث منه ما هو: **فاعلٌ وخاملٌ وقاتل**[1]. . . على أن يكون هذا الاعتبار (ديناميكياً)، بمعنى أن التقسيم الثلاثي للتراث، ينبغي أن تتموضع محتوياته بحسب مقتضيات اللحظة الحضارية الراهنة، ولا ينظر إلى تصنيف المادة التراثية فيه ، على أنه تصنيفٌ دائم ثابت.

وإذا ما تركَّز نظرنا على التراث الفاعل تحديدًا ، فلا بد من العمل على تجديده وتطوير مباحثه. . مثال ذلك ، في التراث الصيدلاني الذي اجتمعت فيه خبرةُ العشَّابين والأطباء والحشائشيين عبر القرون الماضية ، وكان جُلُّ اهتمامهم متوجِّهًا إلى النباتات المتوفرة في النطاق الجغرافي لبلادنا - أكثر من اهتمامهم بالنباتات الأخرى - وقد استقصوا الكلام في أفعال كل مفردة عشبية ، بحسب ما سمح به واقع البحث العلمي في زمانهم. . . وهذه الخبرة - من دون شك - تحتاج إلى تجديد معاصر يقوم على قاعدة استخلاص المادة الفعالة المشار إليها، واختبارها إكلينكياً بحسب المعايير المعاصرة ؛ وبذلك يتم التجدُّد المعرفي في هذا الميدان . وبالطبع ، فما ذاك إلا مثالٌ واحدٌ دالٌّ على التجدُّد، ومن ورائه أمثلة أخرى يضيق المقام هنا عن استعراضها.

وبديل التجدُّد هو **التبدُّد** ... ونعني به الجمود الحضاري عند القديم ، واللهاث وراء هدف مستحيل، هو اللحاقُ بركب التحضُّر الغربي قبل امتلاك مقوماته وإتقان وسائله والقعود عن تأسيس منظومة معرفية مستقلة.

---

(١) راجع كتابنا: المتواليات، بحوثٌ في المتصل التراثي المعاصر (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٨) ، ص ١٨٢ وما بعدها.

ومن عجب أنَّ آلية التجدُّد كانت حاضرة دومًا في تراثنا - أعني في مراحل عديدة منه - وقد صيغَتْ في بحوث وجهود علمية وفكرية، أدَّت إلى تحولات جذرية في المنظومة المعرفية على امتداد القرون. كما صيغَتْ هذه الآلية صياغات منهجية يمكن تلمُّسها - مثلاً - في مقدمة كتاب المناظر للحسن بن الهيثم، وفي ديباجة موسوعة «الشامل» للعلاء القرشي (ابن النفيس)... وقد استوفى الأخير التعبير عن هذه الآلية، بعبارة بديعة قال فيها:

وربما أوجب استقصاؤنا النظر عدولا عن المشهور والمتعارف، فمن قَرَعَ سمعه خلافُ ما عهده فلا يبادرنا بالإنكار، فذلك طيشٌ. فرُبَّ شَنِعٍ حَقٌّ، ومألوف محمود كاذبٌ. والحقُّ حقٌّ في نفسه، لا لقول الناس له. ولنذكر قولهم: إذا تساوت الأذهانُ والهِمَمُ، فمتأخِّر كُلِّ صناعةٍ، خَيْرٌ مِن متقدمها[1].

(د) الصورة تضعف الكلمة:

ظلت عملية الاتصال الإنساني تعتمد على الكلمة ردحًا طويلا من عمر البشر، مما زاد معه سلطان اللغة على الإنسان، وساد الاعتقاد بسحرية اللغة وقدرتها على الفعل بواسطة اللفظ... وكأن للكلمة فعلاً بذاتها بصرف النظر عن المتلفظ بها، ومن هنا ارتبطت الكهانة والسحر والعرافة بالكلمة الغامضة المسجوعة الطنانة.

وقد ظهرت في الحضارات القديمة أشكالٌ متنوعة تعبِّر عن سطوة اللغة وأثر الخطابة. ولم يقتصر ذلك على الثقافة العربية - فقد عُرفت الخطابة في الحضارات القديمة - بيد أن العرب ارتبطت ثقافتهم باللغة ارتباطًا أشد... فكان الشعر دومًا **ديوان العرب**، وكانت **البلاغة** هي المفتاح السحري لقبول مقولة المتكلم، ناهيك عن محورية **النحو** وبقية فنون المقول والمتكلَّم به.

(١) علاء الدين (ابن النفيس): شرح معاني القانون (مخطوطة دير الإسكوريال، رقم ٨٢٨)، الورقة الأولى.

ولما نزل القرآن الكريم، عربياً مبينًا ؛ ازداد ارتباط العقلية العربية/ الإسلامية بالكلمة، وصار القرآن الكريم هو **الركيزة** التي انطلقت منها الحضارة العربية الإسلامية خلال القرون الماضية، ولم يقتصر دور **المصحف** على تطوير علوم اللغة والدين، وإنما تعدَّى دورُه الكبير إلى علوم الدنيا ؛ فإذ يوجِّه القرآنُ النظر إلى السماء والنجوم ، يتطور علم الفلك عند المسلمين - ناهيك عن علم المواقيت - وإذ يحرِّم القرآن المسكرات ، ينشأ عند أهل العلم مبحث كامل (الأشربة) لدراسة طبيعة التخمُّر وأثر الأواني في التخمير، وغير ذلك من النقاط المتعلقة بصميم البحث الطبيعي والكيميائي . . . وإذ يجرِّم بعض الفقهاء التصوير، ويحرمون التزيين ؛ يخرج الفنان المسلم من هذا المأزق بالقرآن، يعكف عليه مزخرفًا، ملونًا، مبدعًا أسمى آيات الفن الإسلامي الذي بدأ من أغلفة المصاحف ، ثم تخللها ، ثم تجسَّد في عمارة المساجد والدور والنوافذ[1] .

وأدَّى ذلك كله إلى المزيد من محورية اللغة في ثقافتنا، كما كان الحال في الثقافات الأخرى أيضًا ؛ بيد أن المسيرة الحضارية للعقلية العربية الإسلامية أكَّدت الأمر ، فتعاظم سلطان اللغة حتى غدت لها المكانةُ التي نعرفها.

وقد نُظر دومًا إلى اللغة باعتبارها رَسْمَ العالم فالكلمات تؤطر الأشياء وتبرزها ، وتضيف إلى الواقعة المعبر عنها أفقًا تخيلياً بعيد المدى. . . لكن ثورة الاتصالات المعاصرة ، والوسائل الاتصالية فائقة السرعة والقدرة ؛ أحلَّت الصورة محل الكلمة، وأسهمت التقنيات الحديثة في جَعْلِ الصورة هي الوسيلة المثلى للتعبير. . . ومن ثم للإدراك، فصار الإدراك بالصورة هو الأكثر شيوعًا، وصار سلطان الكلمة إلى ضعف.

---

(١) يوسف زيدان: بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية (الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٧) ، ص١٠ .

ويمكن القول إجمالاً : إن الثـقافة المعاصرة هي ثقافة صورة أكثـر منها ثقافة كلمة. . . ولم يعد الاجتهاد في التصور بالكلمات مجديًا ، مع هذه الطفرة في تقنيـات نقل الصـورة وتعـوُّد الناس على الإدراك من خـلالهـا. ولذلك أزاح التليـفـزيون الراديو ، وتراجـعت الكتب التـقليـدية أمـام المجـلات وتزايدت الاتصالات عبـر الإنترنت بعدما اسـتطاعت الشبكة الدولية معـالجة الصور ولم تعد تقتصر على المادة المكتوبة.

. . . وبعد ؛ فلا نود الإسهاب في الكلام عن هذه الأسس النظرية، فحسبنا ما أوردنا مـنها لتبـيان القـواعد التي ينبـغي - في ما نرى - أن يتم التـخطيط المستقبلي في الميـادين الثقافية المختلفة وفقًا لهـا. . . ومن تلك الميادين ما يتعلَّق بتراثنا المخطوط.

ثانيًا - التطبيقات العلمية :

تأسيـسًا على ما سـبق ، وفي محاولة مـتواضعـة لتطوير العمل في مـجال التراث المخطوط؛ كانت لنا مـجموعة محاولات خـلال السنوات الماضية ، هي تحديدًا محاولات ثلاث نُلمح إليها في ما يلي :

(أ) الكُتبُ المصوَّرةُ :

بحسب ما توفَّـر لدينا من تقنيات الطباعة والتـصور ، والحرص على تطوير الشكل النهائي. . . كانت عنايتنا متوجِّـهة في العديد من أعمالنا ، للجمع بين المادة التراثية المخطوطة والصورة، وهو ما يمكـن للناظر في فهارسنا ملاحظته - حيث أوردنا في كل فهرس نماذج مصورة من المخطوطات المفهرسة - كما يمكنه ملاحظـة الاهتمام الأزيد بـالصورة في كتـبنا المصـورة مثل (تراثنا المجـهول : إطلالة على عالم المخطوطات) ، الذي حرصتُ فيه على تقديم ثلاثين مخطوطة

نادرة ، بصورها ، مع التعريف بمحتواها والإشارة إلى أهميتها[١]. وقد احتلت صورُ المخطوطات مكانةً رئيسة في هذا الكتاب، فأغنت بالتالي عن مسألة (الوصف المادي للمخطوطة) ، وأسهمت في تقريب المادة التراثية إلى القارئ عبر هذا الوسيط عالي الكفاءة : الصورة .

وهناك كثيرٌ من الأعمال المعاصرة - في غير مجال المخطوطات - توخَّت هذا المطلب وبلغت فيه ذرى النجاح التواصلي، باستخدام أعلى تقنيات نقل الصور وطباعتها؛ ومن هذه المحاولات الطبعةُ الأخيرة من موسوعة الدكتور ثروت عكاشة: فنون عصر النهضة (ثلاثة مجلدات) ، التي كادت صورها أن تغني تمامًا عن مادتها المكتوبة[٢].

(ب) كنوز التراث في مدن العالم :

وهي سلسلة من البرامج المقدَّمة في أسطوانات مدمجة (C.D) تحتوي كل أسطوانة منها على مختارات من أندر النسخ الخطية في خزانات هذه المدينة أو تلك ، وتقديم صورها (طِبْق الأصل) منقولة بنظام التصوير الرقمي - الديجتال - الذي يبرز أدق التفاصيل، ومصحوبة بمادة تعريفية لكل مخطوطة على حدة، بالإضافة إلى مداخل عامة، مصورة ومكتوبة ومتلوة - معًا - لإبراز الشخصية التراثية لهذه المدينة.

والصفة الرئيسة لهذه البرامج أنها **تفاعلية** ، بمعنى أن مستخدم البرنامج يمكنه التحكُّم فى مادته تقديمًا وتأخيرًا، والاتجاه مباشرةً نحو جزئية تعنيه أكثر من غيرها ، والوقوف برهة ما أمام إحدى الشاشات أو تصفُّحها بسرعة - كما يمكنه طباعة المادة على الورق ؛ مصورة ، ملونة - وكل ذلك لا يتيحه الشكل التقليدي للكتاب الذي ساد في زمن الثقافة الورقية .

---

(١) صدرت من هذا الكتاب عدة طبعات ، اثنتان منها عن دار الأمين (القاهرة) عامي ١٩٩٣، ١٩٩٨.

(٢) صدرت هذه الطبعة عن دار السويدي (الإمارات) عام ١٩٩٨.

وإنجاز الأعمال في مجال التراث المخطوط على هذا النحو، يتيح أفضل مستويات التوثيق والوصف والضبط الببليوجرافي للمخطوطات ، ويسهم في توثيق الصلة بين المعاصرين وتراثهم ، فيمدُّ جسرًا للتواصل المعرفي - والجمالي - مع الذاكرة المخزنة بين رفوف الخزانات الخطية العتيقة ، وينفضُ عن هذه الأخيرة التراب ويطلُّ عليها من نافذة جذابة الإطار.

(جـ) الإنْتَرْنِت :

الشبكة الدولية (الإنترنت) هي آخر مساعينا للانتقال بالتراث من النص إلى الخطاب ، وللارتقاء بالعملية التراثية ، وللشروع الواسع الخطى سعيًا للنهوض بحال تراثنا المخطوط. . . وهو ما نحاول تحقيقه من خلال موقعنا (المجاني) على الإنترنت www.Ziedan.Com ، الذي يشتمل على ملفات مصورة ، وكاملة ، من أندر المخطوطات التي نضعها بيسر بين أيدي الباحثين. . . وملفات مسموعة لتبيان الإلقاء الصحيح للشعر العربي. . . وملفات بحثية تعالج نقاطًا محورية تتعلق بالتراث والمخطوطات.

ومن غير اللائق أن نفيض هنا في الكلام عن أبواب الموقع ومحتوياتها، خاصةً أن إلقاء نظرة عليه ، تغني عن الإفاضة في الكلام عنه.

***



تعقيبات ومداخلات

■ **د. عبد اللطيف العبد :**

أرى أن يضاف إلى بطاقة الفهرسة التي اقترحها د. طاشكندي في بحثه نُسخ المخطوطة ، ونوع الخط ، إلى جانب نشرات المخطوطة إن كانت قد نُشرت .

أمـا عـبـارات الحمـدلة والسـلام على الـنبي ونحـو ذلك مما يُرى في أول المخطوطة أو آخرها، فلا أراها كافية في التمييز بين مخطوطة وأخرى .

■ **د. محمد السيد الجليند :**

ثمة سؤال هو : مـا بالنا لا نسمي المخطوطات العربية مخطوطات إسـلامية على الرغم من أن ٣٨٪ من تراثنا الإسلامي مكتوب بالفارسية ؟

إن ما فعله د. يوسف خطوة جيدة نرجو أن تُعمم في كافة المؤسسات المهتمة بتحقيـق التراث. وإن كنت أطلب منه أن يستوثق أكثر من صـحة كل مخطوطة ونسبتها إلى مؤلفها، وأعلم أن هذا الأمر من عمل المحقق ، ولكن لا بأس من معلومة يضيفها المفهرس عن صحة نسبة المخطوطة إلى مؤلفها.

أما د. فيصل فـقد تحدث عن فقدان التنسيق بين المؤسـسات العاملة في حقل التراث العربي ، مما نتج عنه تكرار في الجهود وضياع للمال والوقت. والحق أن مهمة التنسيق هذه إنما تقع على عاتق معهد المخطوطات ، وهو بوسائله الخاصة يستطيع أن يقوم بمهمة التنسيق خير قيام.

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

تحـدث د. فيـصل الحفـيـان عن مشـروع لفهـرس شـامل للتراث العـربي

المخطوط، تقوم به مؤسسة آل البيت في الأردن ، وقد رأيت أجزاء منه ، وما هو إلا جهود مأخوذة من بعض الفهارس التي تنقصها الدقة.

والحق أن مشكلة هذا الفهرس ليست في محتواه بالدرجة الأولى، وإنما في القائمين عليه، وكيفية اختيارهم لمادته !

أما قضية الإحياء والنشر ، فإن التخصص هو أساس ضروري لنشر أي مخطوطة.

أما ما يحدث الآن من تهجم كثيرين على مخطوطات التراث ينشرونها بغير علم، فأمر شائن ، خير منه أن تبقى المخطوطات غير منشورة.

ولقد يقال: إن العلماء العرب قديمًا كانوا موسوعيين ، وإذا صح ذلك ، فإن هذا يرجع إلى ظروف أزمانهم التي لم نعد نعيشها. وزماننا هذا من المتعذر فيه أن نجد رجلاً كابن منظور مثلاً.

وفي تعقيب د. الجليند أشار إلى أنه لا بأس من توسعة دائرة التراث العربي المخطوط لتشمل التراث الإسلامي كله ، فتدخل فيه المخطوطات غير المكتوبة بالعربية. وهذه مهمة عسيرة جداً، ومعهد المخطوطات العربية - كما يلوح من اسمه - يهتم فقط بالمخطوط العربي، وثمة مؤسسات أخرى تهتم بما ينادي به د. الجليند، مثل مؤسسة الفرقان في لندن ، فهي تُعنى بكل المخطوطات المكتوبة بالحرف العربي .

* * *

الجلسة السادسة

متابعة إنشاء الشبكة العربية لمعلومات التراث



نحو قاعدة معلومات للتراث العربي المخطوط

د. عباس صالح طاشكندي

■ **د. محمد سالم (رئيس الجلسة):**

يشرفني أن أرأس هذه الجلسة التي تنعقد في رحاب جامعة الدول العربية، ولدينا متحدثان هما : د. عباس طاشكندي، حيث يلقي بحثًا بعنوان «نحو قاعدة معلومات للتراث العربي المخطوط»، يليه د. غسان اللحام ويلقي بحثًا عنوانه «متابعة إنشاء شبكة التراث» .

فليتفضل د. طاشكندي بإلقاء بحثه.

* * *

تجدر الإشارة - بداية - إلى أن الهيئة العربية المشتركة للتراث المخطوط من خلال الجهود المشكورة التي يبذلها القائمون على المعهد، قد خطت خطوات موفقة خلال اجتماعاتها السابقة في طرح العديد من القضايا الفكرية التي تختص بجوانب ترتبط بسمات المخطوط العربي جمعًا وتوثيقًا واستثماراً.

وكان من جملة ما تم نقاشه في الاجتماعات السابقة ما ارتبط بمدى جدوى إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث العربي المخطوط ، هذا التراث الذي تميز عن سائر أوعية التراث الإنساني العام بسمات أبرزها :

- أنه نتاج حضارة شاملة كاملة امتدت لما يزيد على عشرة قرون من الزمان، وعُد من أهم أوعية التراكم المعرفي البشري للعصور الوسطى كتراث إنساني يحتل التعرف عليه وضبطه وتوثيقه ونشره أهمية عالمية.

- أنه يتميز بسمات عددية وموضوعية ما زالت تحتل الأهمية في التواصل المعرفي.

ولم يكن التعامل مع هذا التراث خلال العقود الماضية يتم على أسس مدروسة ومنظمة ، بل كان يخضع لاعتبارات فردية ، واجتهادات متعددة، وبرامج قصيرة المدى ، تعود أسبابها إلى الأساليب اليدوية التي كانت سائدة، وإلى عدم توفر الإمكانات والتقنيات التي أصبحت اليوم نمطًا لازمًا في حياتنا العامة، وهو الأمر الذي أسهم في تبديد الجهود، وإهدار الطاقات ، بالإضافة إلى أن المكتبات الوطنية العربية والإسلامية التي تتحمل بحكم وظائفها وأهدافها جمع وتوثيق التراث الوطني ، لم تكن تضع أعمال التراث ضمن أولوياتها في برامج الضبط الببليوجرافي، مما أدى إلى ترسيخ واقع مؤلم للتراث تمثل في :

١- تشتت التراث المخطوط بين أنواع عديدة من الهيئات القادرة وغير القادرة على التعامل معه.

٢- الفقد القسري نتيجة ضعف الحماية والصيانة وأدوات الضبط.

٣- تباين مناهج الفهرسة والضبط.

٤- غياب الأدوات المساندة.

٥- الازدواجية والتكرار في التعامل معه ضبطًا وتحقيقًا واستخدامًا.

وعلى الرغم من أن الإمكانات المتاحة في الوقت الحاضر بشقيها التجهيزي Software والمادي Hardware - أصبحت أكثر حضورًا وملاءمة للتعامل والتطبيق ، وأخذت في الانتشار في كافة مناحي الحياة ، وشملت تطبيقاتها كافة نظم المكتبات ومراكز المعلومات، فإن الهيئات المعنية بالتراث المخطوط قد تأخرت في استثمار تلك الإمكانات على النحو الذي يجب أن تكون عليه، فهناك محاولات عديدة تتحملها هيئات مختلفة وفق إمكاناتها المتاحة من ناحية، ووفق اتجاهاتها الخاصة من ناحية أخرى ، مما أدى إلى التباين الواضح بين تلك التجارب.

ومن الطبيعي أن التباين في المناهج والأساليب يؤدي إلى سلبيات كثيرة أقلها

عدم إمكانية دمج الملفات الببليوجرافية بعضها مع بعض بهدف خلق نواة للشبكات .

ولقد سبق أن اقترحنا عند مناقشة إنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث المخطوط اقتراحًا بالتزام مراحل ثلاث :

١- التخطيط، ويشمل :

- تحديد حجم التراث المخطوط الأصلي.

- تحديد الفهارس والأدوات.

- تحديد السمات الموضوعية والمادية للتراث المخطوط.

٢- وضع المتطلبات التجهيزية، وتشمل :

- تحديد المسؤوليات .

- الدعم المادي والفني والبشري .

٣- التشغيل :

وفق متطلبات تجهيزية موحدة Software .

وكان الهدف من تلك الاقتراحات الوصول إلى برنامج موحد لفهرسة المخطوط العربي ، يتم اعتماده وتداوله بين الهيئات المعنية كبرنامج معتمد لفهرسة المخطوطات ، ونواة لشبكة عربية يكون مقرها معهد المخطوطات العربية.

إن تحقيق تلك الغاية ليس أمرًا صعبًا في ظل توافر الإمكانات البرمجية ونظم التجهيز الحاسوبي الآلي ، إلا أن الصعوبة تكمن في استكمال البنية الأساسية التي تتمثل عناصرها في:

١- الأدوات، ومنها :

- القوائم الاستنادية بأسماء المؤلفين، وإنشاء قاعدة للأعلام تتشكل نواتها

من مصادر الأعلام .

- القوائم الاستنادية بالعناوين وتكوين قاعدة الأشكال المعتمدة وإحالاتها.
- رؤوس موضوعات مقننة للعلوم التي تحتويها المخطوطات العربية.
- اعتماد نمط موحد لمقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي.
- اعتماد «مكانز» موضوعية لفنون التراث العربي المخطوط (واصفات).

٢- تحديد عناصر الوصف الموضوعية والمادية للمخطوط العربي.

٣- تحديد الواصفات الخاصة بنظم الاتصالات والبث عن بعد.

٤- تحديد روابط الاتصالات Links والنقاط المحورية NODES .

والتجارب الحالية في غياب تلك البنية تفتقر إلى تقنين ، وتخضع للاجتهادات الفردية، فتجربة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في قاعدة المعلومات الخاصة بالمخطوطات الإسلامية تعتمد في نظام استرجاعها على واصفات خاصة بها ، كما تعتمد على نمط معين للاسترجاع بأسماء المؤلفين، وكذلك على رؤوس موضوعات عامة كالطب والرياضيات والفلك وغيرها حسب ما توضحه النماذج التالية :

نماذج المعلومات الواردة في القاعدة

الفن	: حديث.
عنوان المخطوطة	: مصابيح السُّنة.
اسم المؤلف	: حسين بن مسعود الفراء البغوي.
اسم الشهرة	: البغوي.
تاريخ وفاته	: ٥١٦. هـ - ١١٢٢م.
بداية المخطوطة	: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، والصلاة التامة الدائمة على رسوله المجتبى ... إلخ.

نهاية المخطوطة	: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أو آخره».
اسم الناسخ	: إسماعيل بن يعقوب بن حسن.
تاريخ النسخ	: ٠١/٠٣/٠٧٨٧هـ - ١٣٨٥م.
تعريف بالمخطوطة	: لقد بين المؤلف نفسه القصد من تأليف كتابه وبيان موضوعاته وقال ما معناه: إن هذه الأحاديث جمعها حتى تكون للمسلمين دليلاً إلى فهم السنة النبوية والسير على منهاجها.
عدد الأوراق	: ٢٥٢ق.
عدد الأسطر	: ٢١س.
ملاحظات عامة	: نسخة جيدة.
رقم الحفظ	: ٢٤٧٥.
المصادر	: الأعلام ٢/ ٢٥٩. معجم المؤلفين ٤/ ٦١-٦٢.

الاسترجاع بالواصفات

وصف : قياس

رقم الحفظ والتسلسل	: ٣٣٧٨.
عنوان المخطوطة	: حاشية على الفوائد الفنارية.
اسم المؤلف	: قول أحمد بن محمد بن خضر.
الواصفات	: / منطق/ / قياس/ .
رقم الحفظ والتسلسل	: ٣٤٠٨.
عنوان المخطوطة	: التوضيح في حل غوامض التنقيح.
اسم المؤلف	: عبيد الله بن مسعود بن محمود ، صدر الشريعة الحنفي.
الواصفات	: / أصول فقه/ / قياس/ .
رقم الحفظ والتسلسل	: ١٤٥٦.
عنوان المخطوطة	: شرح المختصر في علم المنطق.
اسم المؤلف	: محمد بن يوسف بن عمر، السنوسي.
الواصفات	: / منطق/ / قياس/ .

الاسترجاع باسم المؤلف

مؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي

رقم الحفظ والتسلسل : ٢٤٦٥.
عنوان المخطوطة : إتمام الدراية لقراء النقاية.
اسم المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، السيوطي ، جلال الدين.

رقم الحفظ والتسلسل : ٢٥٠١.
عنوان المخطوطة : شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور.
اسم المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، السيوطي ، جلال الدين.

رقم الحفظ والتسلسل : ٢٦٧١-١.
عنوان المخطوطة : رسالة في الحديث.
اسم المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي، جلال الدين.

رقم الحفظ والتسلسل : ٣٥٦٨.
عنوان المخطوطة : البهجة المرضية في شرح الألفية.
اسم المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، السيوطي، جلال الدين.

الاسترجاع بالفن «طب»

فن : طب

رقم الحفظ والتسلسل : ٢٧٣٦ .
فن : طب .
عنوان المخطوطة : طب الفقراء والمساكين .
المؤلف : أحمد بن إبراهيم بن خالد الجزار .

رقم الحفظ والتسلسل : ٢٠٧٣-١٠ .
فن : طب .
عنوان المخطوطة : كافيه ذي اللب في أصول الطب .
المؤلف : محمد بن عمر اليمني الشحري الحضرمي ، أبو علي .

رقم الحفظ والتسلسل : ٣٤٥١ .
فن : طب .
عنوان المخطوطة : المجربات .
المؤلف : داود بن عمر الأنطاكي .

رقم الحفظ والتسلسل : ٤٥-ف .
فن : طب .
عنوان المخطوطة : الطب النبوي .
المؤلف : محمد بن عبد الواحد، ضياء الدين المقدسي

رقم الحفظ والتسلسل : ٧٩-ف .
فن : طب .
عنوان المخطوطة : شرح كليات القانون في الطب لابن سينا .
المؤلف : أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم ، ابن النفيس .

وقد تختلف تجربة جامعة الملك عبد العزيز في عناصر الوصف الأساسية، وكذلك في النمط المعتمد لأسماء المؤلفين وعناوين الكتب وتحويل التواريخ، إلي غير ذلك، مما يؤدي إلى التباين وانتفاء إمكانات الدمج بين الملفات لتحقيق التكامل بينها في إطار شبكة موحدة.

ثمة تجارب أخرى عديدة ، من بينها تجربة معهد المخطوطات العربية ، ولم أطلع تفصيلاً على مختلف عناصرها.

وقد نرى أن من الحكمة اتخاذ قرار بتكوين لجنة فنية يتوافر في أعضائها مختصون فى:

- فهرسة المخطوطات العربية.
- البرمجيات.
- نظم الاتصالات.
- معرفة المخطوط العربي.

تنظر في التجارب المختلفة ، ومنها تجربة معهد المخطوطات العربية ، ومركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية، ومركز جمعة الماجد، وجامعة الملك عبد العزيز، وتستعين بالخبرة الفنية في البرمجيات ممثلة في وزارة الاتصالات في جمهورية مصر العربية ، وتشترك بعض مؤسسات القطاع الخاص كشركة صخر التي تسهم في إنجاز برمجيات معلوماتية، وخاصة في مجال الأدوات، مما يجعل من الممكن أن نضع بين أيدينا مشروعًا متكاملاً لشبكة المعلومات المستهدفة.

* * *



متابعة إنشاء «شبكة التراث»

د. غسان اللحام

لن يدور حديثي عن الشبكة العربية لمعلومات التراث ، وإنما سيدور حول موضوع هو بسبب منها ، وهو الإنترنت ، وما يمكن أن يقوم به معهد المخطوطات في التعامل معه.

أقترح على المعهد أن يبادر إلى إنشاء عدد من المواقع له على الإنترنت ، فينشئ - على سبيل المثال - موقعًا لمراكز المخطوطات العربية في العالم ، وموقعًا ثانيًا لفهارس المخطوطات المطبوعة، وثالثًا للمخطوطات التي تم تحقيقها ونشرها ، ورابعًا لفتح باب الحوار حول قضايا المخطوطات .

وهذه المواقع التي أقترح على المعهد إنشاءها سيكون لها عدد من المزايا نحن أحوج ما نكون إليها في عملنا التراثي الذي نسعى إلى تحديثه ، ومن هذه المزايا :

١ - العمل الجماعي :

فعندما ننشئ موقعًا لمصطلحات المخطوطات - مثلاً - بهدف وضع معجم عربي لهذه المصطلحات ، يمكن أن نجعل هذا الموقع مفتوحًا أمام العلماء والباحثين في كل أقطار عالمنا العربي حتى يشاركونا عمل هذا المعجم بما قد يكون لديهم من معلومات عن هاته المصطلحات مما ليس لدينا.

٢ - الاختصار في المكان :

إننا حينما نعقد ندوة للحديث عن قضية ما من قضايا المخطوطات ، ونحشد لها الأموال ، وندعو لها العلماء والباحثين من مختلف الأقطار، تتكلف هذه

الندوة أموالاً طائلة، وقد نقول فيها كلامًا مكروراً نعرفه جميعًا، وقد لا تخرج هذه الندوة عن حدود التوصيات، وتكون ذات صدى خافت في أجواء العمل التراثي.

ويمكن من خلال موقع للمعهد على الإنترنت أن يتم الجمع بين هؤلاء العلماء والباحثين والحوار حول قضايا التراث المطروحة، واقترح الحلول المناسبة لها والبدء في تنفيذ هذه الحلول ؛ كل هذا يحدث وهؤلاء العلماء والباحثون في أقطارهم !

٣ - الاختصار في الزمان :

يستتبع الاختصار في المكان اختصاراً في الزمان ، فالوقت الذي كان سيستغرقه انتقال هؤلاء العلماء والباحثين إلى مكان انعقاد هذه الندوة سينعدم ؛ لأنه لن يكون ثمة انتقال، فهؤلاء العلماء والباحثون سيبقون في أقطارهم يباشرون حواراتهم وأعمالهم في حقل التراث العربي دون أن يتجشموا عناء السفر، ويكون الموقع هو قناة الاتصال التي يلتقون من خلالها.

٤ - الاختصار في النفقات :

إن الاختصار في المكان والزمان سيوفر كثيراً من النفقات التي يمكن للمعهد أن يستثمرها في مشروعات أخرى تخدم التراث العربي، بل إن المعهد يمكنه عن طريق هذه المواقع المأمولة أن يُدر على خزانته نوعًا من الدخل يساعده على إنجاز مشروعاته وتعزيز مسيرته على طريق خدمة التراث العربي ؛ وذلك بأن يضع رسومًا - ولتكن رمزية - يدفعها مَنْ يرتادون هذه المواقع على شبكة الإنترنت، كما تفعل جهات أخرى كثيرة.

إن هذه بعض المزايا التي سيكسبها المعهد ، ويكسبها العمل التراثي بصورة عامة إذا ما أقبل المعهد على إنشاء مواقع له على الإنترنت.

غير أن بعض المحاذير تكتنف هذا المسعى الذي نحضُّ المعهد على السعي

فيه ؛ ولعل أهم هذه المحاذير أن مجتمعاتنا العربيــة ليست مجتمعات معلوماتية بما تعنيه هذه العبارة من معان ؛ فما يزال شيء من الرهبة يخامرنا ونحن نتعامل مع التقنيات الحديثــة مستخدمين إياها في خدمة تراثــنا العربي ، مما يحتاج إلى بعض الوقت، قد يطول أو يقصر بحسب إصرارنا على كسر هذه الرهبة.

من هذه المحاذيـر أيضًا أن بعض مراكــز المخطوطات في أقطارنا العــربية لم تَتَبَنَّ بعــدُ الوسائل التقنيــة الحديثة في تعاملهــا مع محصــولها من المخطوطات العربية ، ولا تزال تستعمل الأساليب التقليدية.

ومثل هذه المراكــز لن تستفيــد من المواقع التي نقترح على المعهــد إنشاءها، لذلك لا بد أن يراعي المعــهد غــداة إنشاء هذه المواقع حــال هذه المراكــز، فلا يتخلى تمامًا عن طرقه التقليدية التي يسير عليها، ولابد - بالمقابل - لهذه المراكز أن تبادر إلى تحديث نفسها حتى تلحق بالركب.

وأخيرًا علينا ألا نتوقع ثمرات سريعــة لهذه المواقع على الإنترنت، فالتجربة المعلومــاتيــة في كل الدول ذات الشــأن في هذا المجال لــم تنضج بـين عــشيــة وضحاها ، وإنما أخذت مــداها من الوقت والجهد حتى أصبحــت مواقع عالمية يُشار إليها بالبنان !

* * *



تعقيبـات ومداخـلات

■ أسامة النقشبندي :

اقترح د. طاشكندي بطاقة فـهرسة لم أجد فيها بعض البيـانات المهمة حول كون المخطوطة حُقـقت أو لم تحقق، ومَن محققـها ، وفي أي مكان تم نشرها إذا ما كانت حُققت حقاً. إلى جانب بيانات أخرى.

وثمة نقطة مهمة تتعلق بالمصادر والمراجع التي يتم توثيق المخطوطات منها ، مثل «الفـهرست» للنديم ، تتـعلق بأن لجنة - أنا أحد أعـضائهـا - تقوم الآن بإدخال كل المعلومات الخاصة بهذا الكتاب على الحاسوب ، وذلك تحت إشراف المجمع العلمي العراقي.

كما نشرع الآن في إدخال «كشف الظنون» ، لحاجي خليفة على الحاسوب، ثم نتبعه بذيليه ، إلى جانب الرجوع إلى المراجع العصرية في هذا الشأن، التي استوعبت المصادر القديمة ، مـثل: الأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لكحالة، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع لمحمد عيسى صالحية.

■ د. محمد سالم :

إن شبكة المعلومات يمكن إنشاؤها - في تصوري - بإحدى طريقتين :

الأولى بعمل برنامج على الإنـترنت ، يكون متاحًـا لأي أحد في أي مكان من العالم ، فبمـجرد أن يدخل المستخدم إلى موقع المعهـد يستطيع أن يتصفح محتوياته.

أما الطـريقة الثانيـة فتكون بوضـع المخطوطات والبيـانات الخاصة بهـا على

أسطوانات (C.D)، يشتريها الراغبون فيها.

وأعتقد أن التنسيق سيزداد بين الجهات المعنية بالتراث ، وخصوصًا إذا كانت تتبنى الأسلوب الحديث في التعامل مع المخطوطات ، وما يتعلق بها من فهارس ونحوه.

ذكر د. غسان اللحام أن الإنترنت ما زال في بلادنا العربية محدود الانتشار، لم يصل إلى المستوى المعلوماتي الذي نأمله، كما ألمح إلى شيء من الخوف نحسه تجاه الإنترنت أو تجاه التكنولوجيا المتقدمة بصورة عامة. والحق أن انتشار الإنترنت، والتعامل معه كمصدر كبير للمعلومات ، ليس إلا مسألة وقت، وعدد المستخدمين لشبكة الإنترنت يتزايد يومًا بعد يوم ، خصوصًا بعد انخفاض التكلفة.

والخوف من التكنولوجيا ليس إلا فينا - نحن الكبار - أما الشباب فيتعاملون مع الإنترنت والتكنولوجيا عمومًا بكل سلاسة ، وهو جيل لا بد من تعريفه بماضيه بكل صورة، وليس مثل المخطوطات يحكي لهم عن هذا الماضي ويعرفهم به.

وأتصور أن إنشاء شبكة المعلومات هاته يمكن أن يتم عن طريق قيام مؤسسات التراث في الوطن العربي - وعلى رأسها معهد المخطوطات - بحصر كل المخطوطات الموجودة في كل مؤسسة على حدة ، ثم يتم الإعلان عن مناقصة محلية لإنشاء الشبكة على الإنترنت تفوز بها إحدى الهيئات أو الشركات ، ويأتي بعد ذلك دور اللجنة المتخصصة في البرمجيات التي أشار إليها د. طاشكندي ، فتجمع كل المخطوطات التي سبق أن تم حصرها في قاعدة بيانات واحدة.

■ د. عبد اللطيف العبد:

نقطة مهمة أود أن ألفت إليها هي أن رسائل الماجستير والدكتوراه تُعد في ذاتها مخطوطات بمعنى من المعاني ، فيجب أن يكون لها مكان على شبكة

المعلومات التي نرجوها ، وأن تأخذ حقها من الفهرسة والحفظ ، والتخزين؛ لأن هناك كثيراً من الرسائل يموت أصحابها دون أن تُنشر.

■ **د. عباس طاشكندي :**

إن بطاقة الفهرسة التي جاءت في تضاعيف بحثي ليست اقتراحًا أسوقه كما فهم البعض، وإنما هي تجربة مركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات ، سقتُها لنتدارسها، ونضع أيدينا على أوجه النقص فيها فنستكملها ، أو نقترح بديلا لها ، كما اقترح بعض الزملاء.

وفي ما يخص شبكة المعلومات ، فيجب أن تكون المواصفات فيها واحدة وينبغي أن يكون في حسباننا أن الشبكة لا تخلق أدوات، بمعنى أن المادة التي يراد بثها يجب أن تجمع يدوياً، وإلا عجزنا عن إدخالها على الشبكة.

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

حتى لو كانت بطاقة الفهرسة التي أوردها د. طاشكندي في بحثه خاصة بمركز الملك فيصل ، فإن لنا عليها بعض الملاحظات، وقد تكلمنا من قبل عن الفرق بين الفهرسة البيليوجرافية والفهرسة الكوديكولوجية المأمولة، والبطاقة الواردة في بحث د. طاشكندي لا تشتمل على شيء من الفهرسة الكوديكولوجية.



الجلسة الختامية

البيان الختامي والتوصيات

البيان الختامي والتوصيات

د. فيصل الحفيان

- **د. عبد الله يوسف الغنيم (رئيس الجلسة) :**

وصلنا إلى ختام الاجتماع ، وليبدأ د. فيصل الحفيان بتلاوة التوصيات التي خرجنا بها، تليه كلمة د. أحمد يوسف أحمد ، فليتفضل د. فيصل.

* * *

عقدت الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي اجتماعها الرابع يومي الأربعاء والخميس الموافقين ٢٥، ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠، بحضور معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأستاذ محمد الميلي، ومعالي الأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم رئيس الهيئة.

بدأ الاجتماع بكلمة الدكتور الغنيم ، وأعقبه الأستاذ الميلي ، وشارك في الاجتماع أعضاء يمثلون أربعة عشر بلدًا عربياً، هي: الأردن ، الإمارات، تونس، الجزائر، السودان، السعودية، سورية، العراق ، فلسطين، الكويت، لبنان، مصر، المغرب، موريتانيا.

كما شارك في الاجتماع أعضاء الهيئة الاستشارية للمعهد ، ومجموعة من ضيوف الاجتماع من السعودية وأميركا والكويت ولبنان ، في حين اعتذر عن عدم المشاركة - نظرًا لارتباطات سابقة - عدد من المدعوين ؛ سواء من أعضاء الهيئة أو من أعضاء الهيئة الاستشارية ، وهم : د. أحمد نظيف - وزير المعلومات والاتصالات المصري ، د. حسن الشافعي رئيس الجامعة الإسلامية في باكستان ، د. رضوان السيد مدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بلبنان ، د. محمود فهمي حجازي عضو

مجمع اللغة العربية ، د. نجيب عبد الوهاب أمين عام مركز جمعة الماجد للتراث بدبي.

هدف الاجتماع إلى تحسين أوضاع التراث المخطوط في البلدان العربية، وإنقاذ هذا التراث الذي يتعرض للخطر ، سواءً داخل الوطن العربي أو خارجه، وإيجاد لغة مشتركة للعاملين في مجال فهرسة المخطوطات وتحقيقها ونشرها ودراستها من خلال اللفت إلى المصطلحات الملائمة وتوحيدها وإذاعتها وتنسيق حركة العمل من أجل التراث ، وإيجاد خطة شاملة تضع في حسبانها القضايا المهمة الكبيرة، وتحدد الأولويات، وتضبط الإيقاع والإفادة من التكنولوجيا في عالم التراث، واستمرار الاتصال بين مراكز التراث العربية الرسمية من جهة، والرسمية والخاصة من جهة ثانية ، وهي جميعًا ومعهد المخطوطات العربية من جهة ثالثة.

وتحددت محاور الاجتماع في النقاط التالية :

التعرف على أوضاع التراث المخطوط في البلدان العربية ورسم خريطة واضحة لمواقعه التي تتعرض للخطر أياً كان نوعه ؛ وسواءً كانت هذه المواقع داخل الوطن العربي أو خارجه ، ووضع الخطط الكفيلة بإنقاذه، ووضع مخطط لمعجم عربي لمصطلحات المخطوطات ، وبحث مشروع خطة شاملة للتراث العربي المخطوط من خلال بناء مخطط عام ، ووضع الأطر النظرية مقرونة بأمثلة تطبيقية .

وقد بلغ عدد الأعضاء الحاضرين ثلاثة عشر عضواً في حين تغيَّب ثلاثة أعضاء من مصر والإمارات العربية المتحدة، وشارك في الاجتماع تسعة من أعضاء الهيئة الاستشارية للمعهد، وتغيب أربعة.

انصبَّت بحوث الهيئة ومناقشاتها ومداخلاتها في محورين :

أوضاع المخطوطات العربية ومواقعها الحرجة، والتخطيط المستقبلي للتراث.

وجاءت في سبع جلسات :

أولاها الافتتاحية ، وأخراها الختامية.

في الجلسة الثانية ، وهي جلسة العمل الأولى التي رأسها د. غسان اللحام ، وتحدث فيها الأعضاء الذين يمثلون بلدان: المغرب والعراق والجزائر والسودان وفلسطين ولبنان والأردن.

أما الجلسة الثالثة فخُصصت لموضوع المواقع الحرجة للتراث المخطوط، ورأسها د. عادل سليمان جمال ، وتحدث فيها الأستاذ عصام محمد الشنطي، وعقب عليه د. حمد بن ناصر الدُّخَيِّل، والأستاذ محمد إبراهيم الشيباني.

بدأ اليوم الثاني بالجلسة الرابعة التي كان موضوعها : نحو صناعة معجم عربي لمصطلحات المخطوطات ، ورأسها الأستاذ إبراهيم الترزي ، وتحدث فيها د. أحمد شوقي بنبين، ود. أيمن فؤاد سيد، وعقَّب عليهما د. عبد الستار الحلوجي.

أما الجلسة الخامسة فكان موضوعها: مشروع الخطة الشاملة للتراث العربي المخطوط، ورأسها د. أحمد فؤاد باشا ، وتحدث فيها د. فيصل الحفيان فى جزئية مخطط عام ، ود. يوسف زيدان عن الأطر النظرية والتطبيقات ، وعقب على البحثين كل من د. عبد اللطيف العبد ، ود. محمد السيد الجليند.

الجلسة السادسة خُصصت لمتابعة إنشاء الشبكة العربية لمعلومات التراث، ورأسها د. محمد سالم، وتحدث فيها د.عباس طاشكندي ، ود.غسان اللحام، وعقب الأستاذ أسامة ناصر النقشبندي.

أما الجلسة السابعة والأخيرة ،التي رأسها د. عبد الله الغنيم ، فقد تضمنت البيان الختامي والتوصيات وكلمة المعهد.

هذا ، وقد تُركت مساحة زمنية مناسبة عقب كل جلسة للحوار.

وفي ما يلي بيان بأهم هذه التوصيات :

- تأكيد أولوية الكشف والإنقاذ للمخطوطات العربية في العالم ورسم خريطة مفصلة لمجموعات المخطوطات.

- الدعوة لإنشاء مراكز متخصصة على وفق اعتبارات مختلفة تخدم القضايا الأساسية للتراث العربي المخطوط والمطبوع.

- دعوة المعهد لمتابعة إنشاء الشبكة العربية لمعلومات التراث وإيجاد موقع لها على الإنترنت يخدم أهدافه المختلفة.

- تشكيل لجنة فنية تضم متخصصين في الفهرسة والبرمجيات، ونظم الاتصالات، ومعرفة المخطوط العربي، وممثلين للمراكز ذات التجربة لصناعة برمجيات معلوماتية.

- دعوة المعهد لعقد ندوة خاصة بالمؤسسات الخاصة العاملة في مجال التراث ، لوضع خطة مشتركة تنسق جهودها، وتحقق التكامل بينها.

- البحث عن مصادر لتمويل خطة لإنقاذ المخطوطات ، وبخاصة في المناطق الحرجة.

- وضع آلية للتنسيق بين الدول العربية في مسألة تصوير المخطوطات من المكتبات الغربية ، ترشيداً للمال وصونًا للجهد ، وتجنبًا لتكرار الجهود.

- مطالبة المعهد بأن يعمم مجدداً القانون النموذجي الذي أعده لحماية المخطوطات ، على الدول العربية ، ويدعوها إلى اعتماده أو الإفادة منه في إطار قانوني.

- المطالبة بتعديل مناهج تكوين المكتبيين في الجامعات العربية ، بغية إدخال مواد تعليمية تتعلق بحفظ المخطوطات وفهرستها وترميمها.

- ضرورة التنسيق بين معامل الترميم التي تم إنشاؤها في البلدان العربية،

واعتماد مواصفات قياسية تراعي التوازن بين تكلفة الأجهزة العالية، وقلة الأيدي المدرّبة.

- تأكيد ضرورة توظيف التراث في خدمة السياسة ، وفلسطين نموذج واضح على ذلك.

- الاهتمام بالمخطوطات الحديثة نسبياً، وكذلك المخطوطات ذات الموضوعات التي لا تحظى باهتمام ، مثل المخطوطات التي تتعلق بعالم البحار واللؤلؤ، لما تضيفه إلى المكتبة العربية.

- الاهتمام بالخرائط وتصنيفها ، وكذلك تحقيقها ، شأنها في ذلك شأن النصوص المكتوبة.

- البحث عن الأساليب المناسبة لإيجاد صلة مع المكتبات التركية لتصوير ما يمكن تصويره منها، ويمكن الاستعانة لتحقيق هذا الغرض بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

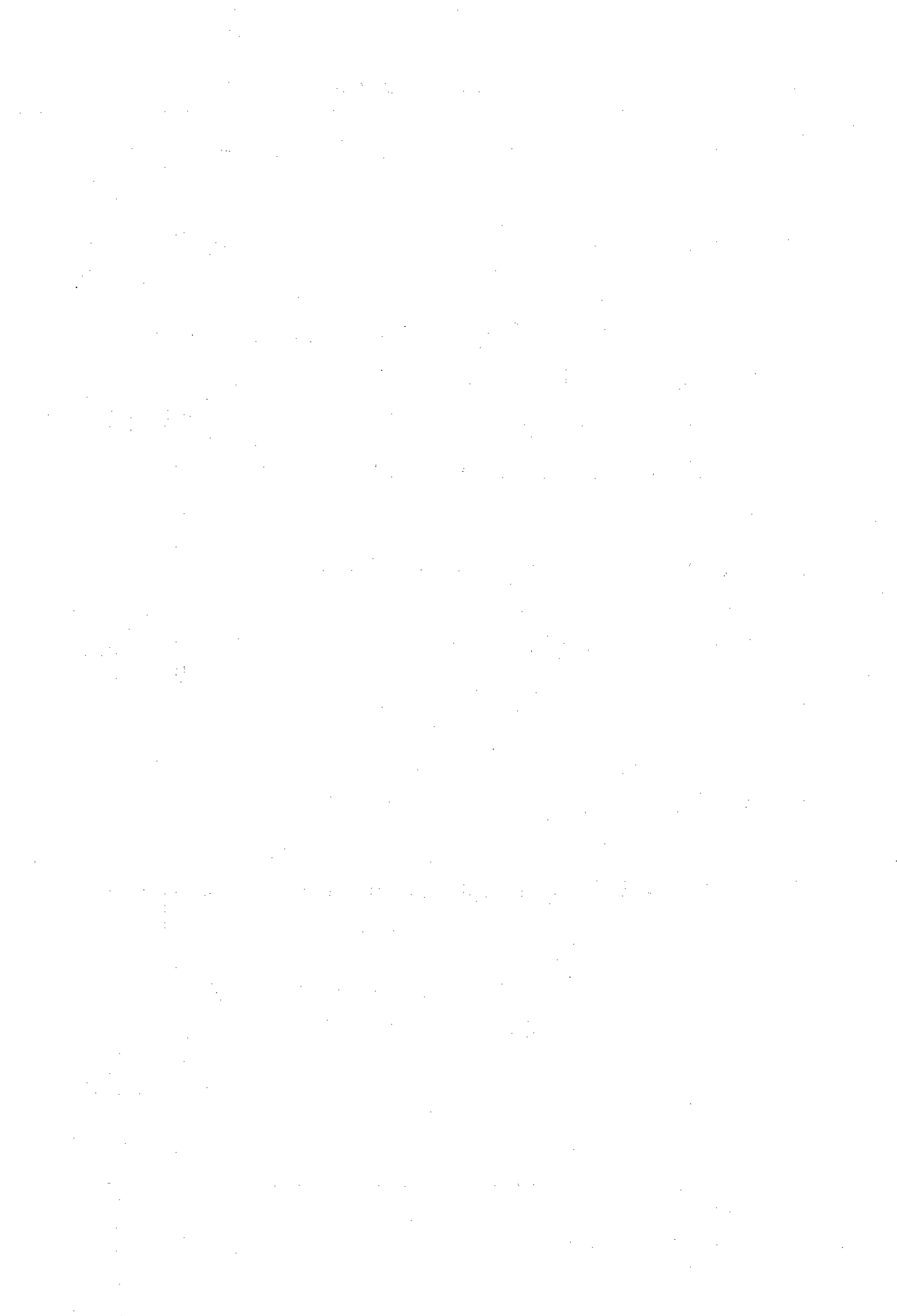
- تشجيع المؤسسات الخاصة العاملة في حقل التراث ، والتعاون معها؛ لتصل في نشاطها إلى أبعد مدى ممكن.

- ترتيب الأولويات في العمل من أجل التراث اختصاراً في الطريق للوصول إلى الغاية.

- دعوة المعهد لتبني وضع خطة شاملة للتراث العربي المخطوط تكون نواتها البحوث الثلاثة التي قدمت في الاجتماع.

- إعادة النظر في مفهوم التراث ، والنظر إليه على أنه قوة كامنة نبعث فيها الحياة بالتحقيق والدرس والنشر واستلهام معطياته الإنسانية.

* * *



كلمة الختام

د. أحمد يوسف أحمد محمد

أود في هذه الكلمة الموجزة أن أعبر عن سعادتي بالحصيلة التي انتهينا إليها، وقد لاحظتم أن عملنا في هذا الاجتماع أدى إلى زيادة كمية ونوعية في المعرفة بأوضاع التراث العربي المخطوط في عدد من الأقطار العربية، وبصفة خاصة تلك التي شارك ممثلون منها في عرض أوضاع التراث العربي المخطوط في بلدانهم، بالإضافة إلى ما اطلعتم عليه من المواقع الحرجة لهذا التراث في البلدان العربية والإسلامية وخارجها.

كما عرفنا كثيراً من الجهود والإنجازات التي أنجزتها عديد من المراكز والهيئات المعنية بالتراث في بلدان عربية مختلفة، مما يبشر - في تقديري - بأمل كبير.

وشهدنا بعض الموضوعات المهمة، بعضها يثار للمرة الأولى - في ما أحسب- مثل الموضوع الخاص بصناعة معجم عربي لمصطلحات المخطوطات، ومشروع الخطة الشاملة للتراث العربي المخطوط بأبعادها الفكرية وأبعادها التكنولوجية، بالإضافة إلى متابعة الشبكة العربية لمعلومات التراث.

وأذكر أنه بمجرد الانتهاء من عقد الاجتماع السابق لهيئتكم هذه ، فوجئنا بسيل من المراسلات من عدد من الجامعات ومراكز التراث السعودية ، وأدركنا بعد مدة قصيرة أن السبب في هذا يعود إلى اتصال د. طاشكندي بهذه الجامعات والمراكز في بلاده وإحاطتها بما تم الاتفاق عليه خلال اجتماع الهيئة.

والحق أن مبادرة د. طاشكندي لم تكن سوى القطرة التي بدأ بعدها الغيث ينهمر، فقد نقل الأعضاء المشاركون في الهيئة توصيات الاجتماع بالتبادل والتعاون إلى مراكز التراث العربي مما عزز كثيراً من علاقتنا بها.

ولم يكن غريبًا بعدُ أن نلمس في نشاط المعهد زيادة ملحوظة في التنسيق مع مراكز التراث في الوطن العربي ، كان من تجلياته ثلاث دورات للتدريب على ترميم المخطوطات ، عُقدت اثنتان منها بالتعاون مع مكتبة الأسد التي تشرُف برئاسة د. غسان اللحام ، والثالثة تتم الآن بالتعاون مع المكتبة الوطنية الجزائرية ، بالإضافة إلى دورات في الفهرسة كان لصلاتنا مع مراكز التراث التي تمثلونها دور في ترشيد اختيار المتدربين لها.

وفي السنوات القليلة الماضية - بعد فترة طويلة من الانقطاع - تم للمعهد إرسال بعثات تصوير لكل من موريتانيا والمغرب ولبنان، ولا بد أن أنوه في هذا المقام بالدكتور أحمد شوقي بنبين، فقد بذل جهداً كبيراً في إنجاح عمل البعثة أثناء وجودها في المغرب، ولدينا أمل في أن نُنجز بعثة تصوير إلى السودان في ما تبقى من هذا العام.

لقد خرجنا من هذا الاجتماع بتوصية ذات أهمية كبيرة ، وذلك عندما أوصانا د. غسان اللحام بأن نسعى إلى عقد ندوة لفاعليات تصوير المخطوطات في الوطن العربي من أجل تنسيق الجهود في هذا الصدد.

وإلى جانب بعثات التصوير تلك أرسل المعهد بعثة إنقاذ متواضعة إلى موريتانيا، في إطار التنسيق مع الجهات المعنية هناك ، وقد كانت نتائج هذه البعثة باهرة ، شهد بها المعهد العلمي الموريتاني !

ولدينا الآن مشروع للفهرسة والتصوير، بالاشتراك مع دار الوثائق القومية السودانية. بالإضافة إلى محاولات جادة نقوم بها من أجل إنقاذ مخطوطات فلسطين.

والحقيقة أن خطة الإنقاذ هذه متعثرة لأن السلطة الوطنية الفلسطينية وضعت خطة طموحة للغاية تحتاج تمويلاً كبيراً ليس في مقدورنا. نحن نسعى الآن في وضع أولويات لهذه الخطة ، كي يمكن تنفيذها، سواء بإمكانات المعهد

المتواضعة، أو عن طريق مزيد من التنسيق ، أو من خلال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مباشرة.

وأخيراً، وليس آخراً، فإن التبادل العلمي بيننا وبينكم في السنوات الأخيرة الماضية قد زاد زيادة ملحوظة ، كل هذا يجعلني بصفتي مشرفًا على معهد المخطوطات ، أعتز كثيراً بهذه الهيئة ، وبثقتكم في المعهد، وهي ثقة لا تجعلنا نلتفت كثيراً إلى قلة الإمكانات ، لأننا نعتقد أنه من خلال حسن التنسيق، وتحسينه دائمًا بيننا وبينكم- نستطيع أن نرقى بهذه الإمكانات دائمًا إلى الأفضل، وأن نوظفها في مجال خدمة غاياتنا.

أود في نهاية كلمتي أن أشكر لكم جميعًا تجشمكم مشقة حضور هذا الاجتماع ، وأشكر بصفة خاصة كل مَن قدم ورقة بحثية في هذا الاجتماع أو عقَّب عليها أو رأس جلسة أو شارك برأي مفيد ، واسمحوا لي أن أتقدم بشكر خاص للأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم الذي امتد عطاؤه - وما زال - للمعهد حباً ورعاية ودعمًا.

أكرر التعبير عن عميق امتناني لحضراتكم ، وأتمنى دوام عطائكم في خدمة تراث الأمة.

* * *